القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة الرابعة والثلاثون العدد 10964 الأحد 23 نيسان (أبريل) 2023 – 3 شوال 1444 هـ
Volume 34 - Issue 10964 Sunday 23 April 2023

حوار: نورية حفصي أمينة اتحاد المرأة الجزائرية

قصر البنات السورية: تاريخ حافل وحاضر مخجل

ماذا يحدث لكبار البريميرليغ أمام ريال مدريد؟

غموض حول الإنزال الأمريكي في جرابلس السورية 02

المقدسية لمى غوشة: عيد في «الحبس المنزلي» 18

موجة تضامن مع الغنوشي على شبكات التواصل 31

جنرالات السودان: حرب الانفراد الدامية

على حساب دماء المئات من أبناء السودان والمدنيين خصوصاً، وتخريب المقارّ والمنشآت والمطارات، واحتلال المشافي ومراكز الخدمات المدنية المختلفة، يشتد الصراع بين الجنرال عبد الفتاح البرهان قائد الجيش ورئيس مجلس السيادة، وشريكه السابق محمد حمدان دقلو قائد «قوات الدعم السريع»، ويدخل في حرب انفراد دامية. والأكذوبة التي يعلنها الجنرالات هي الحرص على وحدة الجيش السوداني وتحقيق أهداف انتفاضته التي أطاحت بدكتاتورية عمر حسن البشير، ولكن ما خلف الأكاذيب هذه أشد وضوحاً من أن ينطلي على الشعب السوداني والعالم بأسره. هي حرب استئثار بالسلطة، وإفشال للاتفاقات مع المكونات المدنية، وبسط سيطرة العسكر على مقدرات البلاد وثرواتها، وإعادة إنتاج منظومات الفساد والاستبداد.

(حدث الأسبوع 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

غموض حول الإنزال الأمريكي في جرابلس السورية: من هو المستهدف؟

قوات أمريكية في سوريا

يأتي الهجوم الأمريكي الثالث ليعزز فرضية وجود صلة بين القادة الثلاثة ويشير إلى أن التنظيم أصبح أكثر قدرة على خلق تهديدات خارج منطقة نشاطه الفعلية في الصحاري العراقية والسورية.

منهل باريش

أقلعت ثمان طائرات مروحية من قاعدة «خراب عشق» الجوية الأمريكية جنوب مدينة عين العرب/ كوباني، فجر الاثنين، هبطت ثلاث مروحيات فيما استمرت الأخريات بمهمة الرصد والتغطية النارية على كامل محيط قرية السويدة الجنوبية بمنطقة الغندورة التابعة لبلدة جرابلس بريف حلب الشرقي.

بدأت العملية الساعة 1:30 فجرا واستمرت قرابة الساعتين، حلقت الطائرات الثماني في محيط المنطقة، قرابة الساعة، حتى ضمنت توقف الحركة بشكل كامل ومن ثم هبطت ثلاث منها ونزل قرابة 30 جنديا من القوات الخاصة الأمريكية بهدف مطاردة قيادي في تنظيم «الدولة الإسلامية» وطالب رجل يتحدث اللغة العربية بلهجة عراقية الهدف بتسليم نفسه وطالب أهالي القرية بالتزام منازلهم.

وقصفت الطائرات المروحية المكان بواسطة صاروخين على الأقل وطارد الجنود إبراهيم الشيخ موسى الملقب بـ «الدليمي» وهو قيادي محلي سابق لتنظيم «الدولة الإسلامية» ومن أبناء القرية، وروى أحد شهود العيان أن القتيل جرى استهدافه بنحو20 رصاصة بعد هروبه من المنزل الطيني الذي كان يقيم فيه باتجاه أحد الأزقة ولكن تمكنت القوات من اللحاق به وإطلاق النار عليه من مسافة قريبة جدا.

كما دفع الانزال غير المنسق عناصر من فصيل «صقور الشمال» في الفيلق الأول بالجيش الوطني السوري المعارض للاشتباك مع فرقة المهام الخاصة الأمريكية، وأدى ذلك إلى مقتل عنصرين من الفصيل المعارض. واستمرت عملية الهجوم البري من لحظة هبوط الطائرات قرابة 50 دقيقة، حسب مصدر عسكري معارض في المنطقة.

بعد الانسحاب الأمريكي وصلت سيارات الدفاع المدني ونقلت جثتي العنصرين في الجيش الوطني إلى مستشفى الأمل في الغندورة، فيما قام أقارب القيادي في التنظيم بسحب جثته ودفنها، ومن المرجح أن القوات الأمريكية قد قتلت القيادي وسحبت جثته إلى مكان أقرب للطائرات بهدف أخذ عينات الحمض النووي والتحقق من شخصه.

من جهة أخرى، قالت القيادة المركزية الأمريكية، في بيان لها، الاثنين، أن الشخص المستهدف في الهجوم هو عبد الهادي محمود الحاج علي وهو المخطط العملياتي المسؤول عن التخطيط لهجمات إرهابية في الشرق الأوسط وأوروبا.

وأشارت أنه «قتل في غارة جوية أحادية الجانب أُعلن عنها سابقا في شمال سوريا» مشيرة إلى أن الحاج علي كان «الهدف الرئيسي للعملية» في تجنب واضح إلى مقتل عناصر الجيش الوطني التابعين لفصيل «صقور الشمال». ولفت البيان إلى أن هذه العملية مرتبطة بكشف استخباراتي «عن مخطط لداعش لاختطاف مسؤولين في الخارج واستخدامهم كأحد وسائل الضغط». وقال المتحدث باسم القيادة المركزية الأمريكية جو بوتشينو «نعلم أن لدى التنظيم التوجه في ضرب أهداف خارج منطقة الشرق الأوسط» وقيم الغارة بأنها تشكل «ضربة كبيرة لعمليات داعش في المنطقة لكنها لا تقضي على قدرة داعش على القيام بعمليات».

وفي تعليقات أخرى حول العملية، قال البيت الأبيض أنه جرى التخطيط المكثف لهذه العملية بهدف «ضمان تنفيذها بنجاح. ولم يصب أي جندي أمريكي، ولم تتضرر أي طائرات هليكوبتر أمريكية، وتقديراتنا تشير إلى أنه لم يسقط قتلى أو جرحى بين المدنيين».

تضارب الأنباء بين الإعلان الأمريكي وشح المعلومات وتكتم الجيش الوطني تشير إلى وجود شخص رابع غير معلن عنه أو جرى تجاهله عن قصد وهو قيادي آخر غير «الدليمي» المعلن عنه. وهو عبد الهادي الحاج علي والذي ينحدر من منطقة السفيرة حسب مصادر محلية وهو هدف العملية الأمريكية، ويبدو أنه معروف بالنسبة لقادة «صقور الشمال» باسم هلال العايد، وليس المستهدف هو «الدليمي» رغم أن الأخير – حسب تقصي «القدس العربي» واتصالاتها– كان يشغل منصب أمني منطقة الغندورة في تنظيم «الدولة الإسلامية» قبل عام 2016.

وحسب معلومات متقاطعة من شهود عيان، فقد تفاجأ أهالي القرية بوجود إبراهيم الشيخ موسى «الدليمي» في القرية منذ طرد تنظيم «الدولة» من المنطقة بعد معركة «درع الفرات» عام 2016. وهو الذي سجن عدة سنوات في سجون «قسد» وجرى إطلاق سراحه قبل نحو عام ليقيم في مدينة منبج التي ما زالت «قسد» تسيطر عليها. والسياق الأكثر منطقية أن يكون الشيخ موسى قد عاد بمهمة للقاء الهدف الذي تسعى له القوات الأمريكية.

وفي سياق منفصل، علمت «القدس العربي» أن صلة قرابة تجمع بين الشيخ موسى وأحد قتلى عناصر «صقور الشمال» ونفى مصدر محلي ما جرى تسويقه أن يكون الشيخ موسى قد سجن لدى الشرطة العسكرية في جرابلس، مؤكدا أن دخوله إلى القرية حديث ولم يفت عليه أكثر من أسبوع.

اللافت، أن واشنطن نفذت عمليتين منفصلتين في وقت متقارب، استهدفت الأولى القيادي اليميني المعروف باسم حذيفة اليميني وهو «المسؤول عن تسهيل العمليات الهجومية في تنظيم داعش واثنين من مساعديه في غارة نفذتها مروحية» في شرق سوريا. كما قتلت القوات الأمريكية القيادي في تنظيم «الدولة» خالد اياد أحمد الجبوري، وزعمت القيادة المركزية الأمريكية أنه «خطط لتنفيذ هجمات في أوروبا». ويأتي الهجوم الثالث ليعزز فرضية وجود صلة بين القادة الثلاثة ويشير إلى أن التنظيم أصبح أكثر قدرة في خلق تهديدات خارج منطقة نشاطه الفعلية في الصحاري العراقية والسورية.

وفي إطار محاربة تنظيم «الدولة الاسلامية» اعتقلت «قسد» بدعم من قوات «التحالف الدولي للقضاء على داعش» قيادياً في التنظيم خلال عملية أمنية شرقي سوريا.

وقال المكتب الإعلامي لـ«قسد» الخميس، إن قوات «مكافحة الإرهاب» شنت عملية أمنية في بلدة جديد بكارة بريف محافظة دير الزور الشرقي، وأدت العملية إلى اعتقال «متزعم سابق في تنظيم داعش بدعم جوي من التحالف الدولي» وإن المعتقل كان «ينشط في نقل الأسلحة والعبوات الناسفة والذخيرة والأموال إلى خلايا التنظيم» في منطقة دير الزور وشمال وشرق سوريا.

وقبل ذلك بيوم، قامت القيادة المركزية الأمريكية بعملية إنزال جوي بمساندة برية من قوات مكافحة الإرهاب في وحدات «حماية الشعب» الكردية في قرية السجر بدير الزور.

في المقابل، تستمر خلايا التنظيم بمهاجمة الموظفين المدنيين في الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، حيث تبنى مقتل عنصرين من عناصر «مجلس دير الزور العسكري» الأربعاء، وفقد العنصران منذ قبيل ظهر نفس اليوم، ووجدت جثتيهما على طريق أبو خشب غرب دير الزور ويشير مقتلهما إلى أنهما قتلا برصاصات في الرأس. وأعلنت وكالة «أعماق» الناطقة باسم التنظيم تفجير عربة عسكرية تتبع لـ«قسد» جنوب الحسكة بالقرب من قرية جزمر.

وجرح عنصران من «قسد» في إطلاق نار، الخميس، بهجوم نفذه ملثمون مسلحون يستقلون دراجة نارية، أطلقوا النار على حاجز في قرية الحريجي شمال دير الزور.

وتعتبر عملية الإنزال الأمريكي الثانية من نوعها في منطقة جرابلس، حيث نفذت قوات التحالف الدولي إنزالا سابقا استهدف والي الرقة في تنظيم «الدولة الإسلامية» في 16 حزيران (يونيو) 2022 في قرية أم دم.

وأعلن «التحالف الدولي للقضاء على داعش» في آذار (مارس) القضاء على التنظيم رسمياً في جيب الباغوز الحدودي مع العراق، شرق نهر الفرات، ولا يزال التنظيم منذ تلك اللحظة يعمل بنظام «الولايات الأمنية» في سوريا والعراق وينشط على شكل خلايا ولا يفضل إعلان سيطرته على منطقة جغرافية مطلقا، تجنبا لاستهدافها من قبل التحالف الدولي الذي تقوده واشنطن.

هروب ومطاردة تنتهي باعتقاله ووفاته: غموض يلف قضية وفاة مسؤول ديني عراقي مدان بالفساد

لم يتضح بعد مصير الأموال التي جناها كمبش جراء عمليات «الفساد» الموثقة لدى السلطات الرقابية، كما لا يزال مصير المتورطين بقضية هروبه من السجن مجهولا أيضا.

بغداد ـ «القدس العربي»: مشرق ريسان

رئيس ديوان الوقف السني العراقي السابق سعد كمبش

لا يزال الغموض يلف قضية «الوفاة المفاجئة» لرئيس ديوان الوقف السني العراقي السابق، سعد كمبش، عقب مطاردته في إحدى مناطق الساحل الأيمن بمدينة الموصل، مركز محافظة نينوى الشمالية، كان قد لجأ إليها فور هروبه من سجن «كرادة مريم» في المنطقة الخضراء شديدة التحصين وسط العاصمة بغداد.

قصة كمبش بدأت في 21 آذار/مارس الماضي، بإعلان هيئة النزاهة الاتحادية تنفيذ أوامر القبض الصادرة عن محكمة تحقيق الكرخ ببغداد، المختصة بقضايا النزاهة بحقه، جراء «مخالفات وخروقات مالية» ارتكبها أثناء توليه المنصب (شباط/ فبراير 2020 – آذار/ مارس 2022) تقدر بعشرات ملايين الدولارات.

وطبقا لبيان الهيئة حينها، فإن كمبش متورط بعقد شراء فندق بـ47 مليار دينار، أكثر من 35 مليون دولار، «وتأجيره للجهة المالكة» فضلا عن قضايا أخرى من بينها «المُغالاة» في أسعار تنفيذ مشروع مآذن حديدية للجوامع في عموم محافظة صلاح الدين، وصرف مبالغ كبيرة لها، ما تسبب بهدر أكثر من 1.5 مليار دينار (أكثر من مليون دولار) من المال العام، وكذلك المخالفات الإدارية والمالية التي شابت العقد المُبرم بين ديوان الوقف وإحدى الشركات اليابانية؛ لغرض بناء جامع نينوى الكبير في الموصل، بمبلغ قدره أكثر من 42 مليار دينار (نحو 32 مليون دولار) فضلا عن تهم تتعلق بهدر110 مليار دينار (أكثر من 83 مليون دولار) بشراء عقارين تبلغ مساحتهما 460 دونما بمبلغ 57 مليار دينار؛ بالرغم من كونهما يقعان خارج حدود البلدية في «أرض صحراوية».

وفي 11 نيسان/أبريل الجاري، أعلنت هيئة النزاهة في العراق، صدور «حكم حضوري بالحبس الشديد لأربع سنوات» بحق رئيس ديوان الوقف السني السابق سعد كمبش.

وعقب مرور أسبوع على قرار الحكم، هرب المسؤول العراقي السابق من السجن بعجلة «مدنية» كانت تنتظره خلف أسواره.

وفي التفاصيل التي ذكرها الناطق العسكري باسم رئيس الحكومة العراقية، فإنه «بعد زيارة النائبة اسماء حميد كمبش (القيادية في تحالف تقدم برئاسة محمد الحلبوسي، رئيس البرلمان) إلى مركز الشرطة وقت الإفطار ومغادرتها له، وعند الساعة 22:30 هرب المحكوم بمساعدة ثلاثة أشخاص من خلف المركز والوصول إلى عجلتين كانتا بانتظاره لتأمين هروبه إلى جهة مجهولة». الحادثة دفعت رئيس الوزراء محمد شياع السوداني إلى عقد اجتماع أمني سريع بحضور وزير الداخلية، وقادة أمنيين كبار، قرر خلاله إقالة قائد الفرقة الخاصة المكلفة بحماية «المنطقة الخضراء» الفريق حامد الزهيري، ومحاسبة جميع المقصرين ومعاقبتهم قانونيا، وإعادة تقييم أداء الأجهزة الأمنية.

كما وجه السوداني أيضا بغلق مركز التوقيف في مركز شرطة «كرادة مريم» داخل المنطقة الخضراء، الذي شهد عملية الهروب، ونقل المحكومين إلى سجون وزارة العدل، وإيداع من وصفهم «كبار الفاسدين» الموقوفين فيه في مراكز توقيف أخرى أسوة مع المطلوبين الآخرين، وإلغاء أية خصوصية في التعامل معهم مثلما كان معتادا.

وبعد مرور نحو 24 ساعة على فرار المسؤول العراقي المدان بقضايا الفساد، تحدثت مصادر متطابقة (أمنية وصحافية) عن القبض عليه في مدينة الموصل، لكن سرعان ما توالت أنباء أخرى أفادت بـ«وفاته» بظروف غامضة.

وزارة الداخلية العراقية روت في بيان صحافي تفاصيل عملية القبض على كمبش قائلة:«في لحظة هروب المحكوم سعد كمبش تم تشكيل فريق عمل مختص ميداني من وكالة الاستخبارات والتحقيقات الاتحادية في وزارة الداخلية للاحقة المحكوم، وبجهد فني وبإشراف وزير الداخلية ومتابعة القائد العام للقوات المسلحة، وبعد أن انتقل هذا المحكوم في عدد من المناطق، استقر في إحدى أحياء مدينة الموصل، حيث تمكنت القوة من تطويق مكان تواجده وأثناء عملية إلقاء القبض حاول الهرب، إذ باشرت القوة بمطاردته واصيب بالإعياء وتدهورت حالته الصحية، خلال ذلك نقل المحكوم إلى مستشفى الموصل العام ووصل متوفيا وتم تأكيد الوفاة سريريا».

وأضاف البيان، أنه «تم إحالة الجثة إلى الطب العدلي وتشكيل لجنة من ثلاثة أطباء اختصاص لغرض التشريح ومعرفة أسباب الوفاة» مشيرا إلى أنه «لا توجد آثار شدة خارجية على جسد المتوفي الذي كان يعاني من الأساس بعض الأمراض المزمنة».

وفي ساعة مبكرة من صباح المغادرة، أصدرت وزارة الصحة العراقية، توضيحا جديدا يخص وفاة رئيس ديوان الوقف السني الأسبق سعد كمبش، مؤكدا أن التشريح السريري أثبت وجود «جلطة قديمة» في عضلة القلب مع تصلب في الشرايين.

وقالت الوزارة في بيانها إنه «إلحاقا بالبيان المشترك الصادر عن وزارتي الصحة والداخلية بخصوص وفاة المدعو سعد كمبش، تبين وزارة الصحة أن تقرير الطب العدلي الأولي يشير عادة إلى الفحص الظاهري للمشاهدات الأولية ومن ثم يتبعه تشريح لجوف وأعضاء الجسم وحسب السياقات الفنية المعمول بها».

وأضافت: «أظهر التشريح السريري وجود احتشاء (جلطة) قديم في عضلة القلب مع تصلب في شرايين القلب، وتم أخذ قطعة نسيجية من القلب وإرسالها للفحص النسيجي للتحري عن وجود أي ذبحة صدرية أو جلطة قلبية جديدة» مؤكدة أن «التشريح أظهر وجود تدوم (تجمع للسوائل) في الرئتين».

ولفت بيان الصحة إلى أنه «تم إجراء التشريح العدلي للرأس ولم تظهر أي آثار لنزف في الدماغ أو كسر في الجمجمة».

وأردف البيان: «فيما يخص المشاهدات السطحية؛ السجات السطحية الظاهرة ناتجة عن نقل الجثة وإجراءات الكادر الطبي والتمريضي في ردهة الطوارئ، حيث أنه يتم إجراء الإنعاش القلبي–الرئوي وإجراء التنفس الاصطناعي والضغط على منطقة الصدر لأي حالة وصول لشخص متوفي حديثا للمستشفى وضمن الفترة الزمنية المحددة حسب الدلائل الإرشادية المعتمدة في مثل هذه الحالات».

وتابع البيان: «يستخلص التقرير الطبي العدلي الأولي وجود احتشاء (جلطة) قلبية ووجود تصلب في شرايين القلب مع تدوم في الرئتين، وتم أخذ نماذج من أحشاء الجسم وأرسلت للتحليل النسيجي، وتم أخذ نماذج أخرى من الجسم لإجراء فحص السموم في المختبرات المختصة في دائرة الطب العدلي في بغداد وحسب السياقات والضوابط المعمول بها».

الغموض في قضية هرب ووفاة رئيس ديوان الوقف السني السابق، دفع لجنة الأمن والدفاع في مجلس النواب العراقي إلى مطالبة رئيس الحكومة بتشكيل «لجنة تحقيقية مشتركة بين وزارتي الداخلية والصحة» لمعرفة الملابسات.

وذكرت اللجنة في بيان صحافي، أنه من واجبها الرقابي «سوف تشكل لجنة فرعية لمتابعة مجريات التحقيق بخصوص كيفية هروب المدان كمبش من مركز شرطة كرادة مريم» مشيرة إلى أنها «ستتابع عن كثب تقرير الطب الشرعي لكشف أسباب الوفاة».

وأكدت اللجنة، حسب البيان، على أنها «لن تسمح بأن يمر الموضوع بدون معرفة تفاصيله وتقديم توصيات ترفع إلى رئاسة مجلس النواب».

وتعليقا على الحادثة، طالب رئيس البرلمان الأسبق، سليم الجبوري، بالكشف عن ظروف وفاة سعد كمبش «بكل شفافية وحيادية» أمام الرأي العام العراقي، وفقا لـ«تدوينة» تعزية.

أما الكاتب والصحافي العراقي، فلاح المشعل، فرأى أهمية توحيد «الأوقاف الدينية» بوزارة واحدة تخضع لسلطة الحكومة الاتحادية، على خلفية قضية رئيس ديوان الوقف السني السابق.

وأضاف في «تدوينة» له، أن «هروب سعد كمبش وفضائح فساد دوائر الأوقاف، تستدعي إعادة النظر بموضوع الأوقاف عموما الشيعي والسني والمسيحي والإيزيدي والصابئة».

وأشار إلى إن «هناك إسرافا كبيرا للاهتمام بها (الأوقاف) وتخصيص الموازنات السنوية لها والحمايات والامتيازات بما يعادل ثلاث وزارات، وهي دوائر غير منتجة بل استهلاكية بامتياز، ينبغي دمجها جميعا بوزارة واحدة تخضع لمجلس الوزراء». ومضى إلى القول: «بلادنا تعاني التخلف والأمية والتراجع الثقافي وانعدام الثقافات الدينية التي تخدم العراق. لتكن التخصيصات المليارية الكبيرة توجه لخدمة هذا التخلف الثقافي والمعيشي عند الطبقات المسحوقة للعراقيين، وليس لمظاهر التدين الزائف» حسب قوله.

ولم يتضح بعد مصير الأموال التي جناها كمبش جراء عمليات «الفساد» الموثقة لدى السلطات الرقابية، كما لا يزال مصير المتورطين بقضية هروبه من السجن مجهولا أيضا.

«محور الممانعة» يُراقب قدرة واشنطن على «خربطة» الانفتاح السعودي على طهران ودمشق

وزير الخارجية السعودي يلتقي الرئيس السوري

تتحدث معلومات مقربة من دمشق أن في الأفق دعوة للأسد لزيارة السعودية من دون تحديد ما إذا كانت قبل أو بعد انعقاد القمة التي لن يكون في عدادها مبدئيا.

رلى موفّق

يقول منظرو «محور إيران» إن المحور لم يتّخذ بعد قراراً بإخراج القوات الأميركية من سوريا، بل على العكس، هو يُريد أن يبقى الجنود الأميركيون، وعددهم بضع مئات، رهائنَ في يد أذرع إيران وتحت تهديدها اليوميّ. ويُبدي هؤلاء ثقتهم بتيقّن البنتاغون التام من أن قواعده في الشرق السوري ساقطة عسكرياً حين تحين الساعة، لكن حصول ذلك يعني عملياً الدخول في الحرب الإقليمية التي ستتعدد جبهاتها. وينظرون إلى مجيء رئيس أركان الجيش الأميركي الجنرال مارك ميلي قبل أسابيع إلى منطقة الجزيرة على أنه رسالة لـ«المحور» بأن أميركا ما زالت تنظر إلى سوريا كساحتَي صراع وحرب، وأن أحداً لا يستطيع تالياً إنهاء الحرب هناك خارج الإرادة الأميركية.

في الأساس، يضع «المحور» تحت المجهر ردّ الفعل الأميركي على الانفراجات التي تشهدها العلاقات الإيرانية – العربية على وقع الاتفاق الإيراني – السعودي لاستئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بضمانة الصين، والتي كانت انقطعت إثر الاعتداء على السفارة السعودية في طهران وقنصليتها في مدينة مشهد احتجاجاً على إعدام السلطات السعودية رجل الدين الشيعي السعودي نمر النمر المعارض للعائلة الحاكمة بتهم من بينها الإرهاب. الاقتناع السائد لدى «المحور» أن لدى واشنطن القدرة على «خربطة» مسار الانفتاح العربي الجاري في المنطقة على إيران وسوريا، رغم علامات التراجع. وهو المسار الذي يسير بوتيرة متسارعة مستفيداً، أولاً، من زخم الاتفاق الإيراني – السعودي، ومتكئاً، ثانياً، على انتهاج المملكة سياسة «تصفير المشاكل» إنجاحًا لرؤية 2030 التي يقودها ولي عهدها محمد بن سلمان، لجعل الشرق الأوسط «أوروبا الجديدة»، ومُعوِّلاً، ثالثاً، على التموضع خارج الاصطفاف الدولي الناجم عن الغزو الروسي لأوكرانيا، وصعود الصين في لعبة التوازنات التي ستتبلور معها معالم النظام العالمي الجديد ومدى خروجه من عباءة القطبية الأحادية إلى قطبية متعددة الاتجاهات.

وما يزيد من سلوك درب الانفتاح العربي أن المملكة، التي ستنعقد القمة العربية في رحابها في 19 أيار/مايو من الشهر المقبل، تسير أغوار مرحلة ما بعد القمة، على مستوى الدور الذي ستلعبه في ترتيب «البيت العربي» حيث لم تُفلح الاتصالات الخليجية – العربية في خلق توافق عربي على عودة دمشق إلى مقعدها في الجامعة العربية نتيجة تمسُّك بعض الدول ولاسيما قطر، والكويت، والمغرب، بالموقف الرافض لتلك العودة من دون موافقة نظام بشار الأسد على «خريطة طريق» واضحة للتوصل إلى تسوية سياسية شاملة للأزمة السورية.

زيارة وزير الخارجية السعودي فيصل بن فرحان إلى دمشق ولقاؤه رئيس النظام، لم تخرجْ بنتائج إضافية عن زيارة فيصل المقداد إلى جدة سوى تأكيد عزم الرياض على السير في تطبيع العلاقات مع سوريا. تتحدث معلومات على مقربة من دمشق أن في الأفق دعوة للأسد لزيارة السعودية من دون تحديد ما إذا كانت قبل أو بعد انعقاد القمة التي لن يكون في عدادها من حيث المبدأ. ومن غير المتوقّع أن يُفضي الاجتماع المرتقب في عَمّان لوزراء خارجية دول مجلس التعاون، والأردن، ومصر، والعراق، والجزائر، إلى اختراق في هذا الموضوع.

كان لافتاً صدور بيانين مختلفين عن لقاء الأسد – بن فرحان. البيان السعودي أعاد تكرار نفس المحتوى والمفردات التي وردت في البيان المشترك لبن فرحان – المقداد، وبيان الخارجية السعودية عقب الاجتماع الخليجي – العربي في جدة عن أنّ الحل السياسي يُحافظ على وحدة سوريا، وأهمية توفير البيئة المناسبة لوصول المساعدات إلى الجميع، وتهيئة الظروف اللازمة لعودة اللاجئين والنازحين السوريين إلى مناطقهم، فيما جاء بيان الرئاسة السورية ليتحدث عن «السياسات المنفتحة والواقعية التي تنتهجها السعودية» و«أن التغيّرات التي يشهدها العالم تجعل من التعاون العربي أكثر ضرورة في هذه المرحلة» عاكساً «تمترُس النظام» في مكانه، ومُعرِّجاً بشقّ النفس على مسألة «تهيئة البيئة لعودة اللاجئين والمهجّرين».

يؤكد أكثر من مصدر بأن الحركة السعودية، وقبلها الإماراتية، باتجاه سوريا، لم تتمّ بمعزلٍ عن «رضا أميركي ما» لكن لواشنطن مطلباً بأن يكون للانفتاح السعودي – الإماراتي ثمن سياسي يدفعه الأسد في إطار التسوية المنتظرَة. وفيما يقول البعض إن انزعاج واشنطن يُعبِّر عن مناخات عدم مراعاة فعلية لمطلبها، فإن على مقلب الرياض مَن يقول إن الانفتاح سيكون مدروساً، وتدريجياً، وخطوة بخطوة، وسيأخذ وقته، وإن إعادة الإعمار وبناء البنى التحتية، بما يعني نهاية الحرب، لا يمكنها أن تكون من دون رفع العقوبات الأميركية.

ما هو ملموس، على مستوى الملفات، أن التنسيق الأمني يسيرُ بخطى ثابتة، ولا سيما في ما خص «الداتا الأمنية» وملف الإرهاب المتعلّق بالتنظيمات المتشددة وتجارة المخدرات. ويقول عارفون بوضع دمشق أن ورقة «الكبتاغون» أضحت محروقة بالنسبة للنظام الذي كان جزءاً من صناعتها، وبات من الأفضل له «بيعها» قبل تلاشي فائدتها كلياً، إذ إن مغاميلِ تلك التجارة تراجعتْ بعدما انخرطتْ دولٌ عدة في التصدي لـ«حرب المخدرات» ومنها الأردن المعبر البريّ، ولبنان المعبر البحريّ، وستصبح المسألة أكثر تعقيداً بعد انتهاء مهلة الأشهر الستة في النصف الأخير من أيار/مايو التي حدّدها الكونغرس للإدارة الأميركية لوضع الاستراتيجية والآليات التنفيذية لـ«قانون الكبتاغون» الذي وقّعه الرئيس الأميركي في شهر كانون الأول/ديسمبر 2022 بهدف تعطيل «تجارة الكبتاغون» وشبكات المخدرات وتفكيكها، وهو القانون الذي اعتبر أن إتجار الحكومة السورية بـ«الكبتاغون» هو تهديد أمني عابر للحدود الوطنية للحكومة الأميركية.

وما يحصل بين النظام السوري والعرب يتم بمتابعة إيرانية. يحضر الحديث هنا عن تنسيق إيراني – سوري يوميّ، وعن تنسيق بين الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصر الله والأسد بما يخدم الأجندة السورية – الإيرانية حيث بدأ يظهر في خطابات قادة «الحزب» من أمينه العام إلى نائبه نعيم قاسم، ابتعادٌ في اللغة عن مصطلحات التشنج والصدام مع الدول العربية، ولا سيما السعودية، فيما يمضي مسار التطبيع الإيراني – السعودي نحو ما هو مرسوم له في الاتفاق، حيث فتح السفارات رهن الانتهاء من الترتيبات اللوجستية، بينما سيعاود وزيرا خارجية البلدين الاجتماع لترتيب زيارة الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي إلى المملكة، وستعقبها لاحقاً زيارة للملك سلمان بن عبد العزيز إلى إيران، وذلك في معرض التأكيد على توسيع أطر التعاون ونقل العلاقة إلى المستويات الاقتصادية، والتجارية، والاستثمارية.

لبنان: فرنسا تتراجع تكتيكيا بعد تعاظم الانتقادات المسيحية ولا دخل للمقايضة بالرئاسة

تبرز الحاجة لاختيار رئيس جمهورية خارج الاصطفافات يفصل بين الدولة والدويلة ويوحي بالثقة والاطمئنان للدول العربية والخليجية ويلعب دوراً وطنياً وازناً ويوقف عجلة الانهيار.

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

تتباين الآراء حول ما سيؤول إليه الاستحقاق الرئاسي بعد الاطلالة الثانية لرئيس «تيار المردة» سليمان فرنجية من على منبر بكركي وما أثارته من انطباعات عن ارتفاع حظوظه الرئاسية ومن دعوة للمسيحيين لعدم تفويت فرصة التسوية.

وقبل صدور موقف الخارجية الفرنسية عن أن «لا مرشح لباريس إلى رئاسة الجمهورية في لبنان وأن على اللبنانيين اختيار قادتهم» أصرّ مقربون من تيار المردة على أن الفترة الممتدة من بداية شهر ايار/مايو ولغاية منتصف حزيران/يونيو هي فترة حاسمة لانتخاب رئيس وإلا فإن انتظار الانتخاب سيطول. وبدا أن هؤلاء يراهنون على إيجابيات لصالح رئيس «المردة» بعد الاتفاق السعودي الإيراني وما ستحمله القمة العربية المقررة في المملكة العربية السعودية لناحية تغيّر موقف الرياض من ترشيح فرنجية بعد تلقّيها الضمانات من مستشار الرئيس الفرنسي باتريك دوريل الذي زار أخيراً المملكة ناقلاً أجوبة فرنجية على التساؤلات التي طُرحت حول رأيه من بعض الملفات وفي طليعتها العلاقة مع الدول العربية والخليجية وكيفية التعاطي مع مسألة النازحين السوريين والاستراتيجية الدفاعية والإصلاحات وصندوق النقد الدولي وتهريب الكبتاغون.

ويعتبر المقرّبون من تيار المردة أن أي مرونة في الموقف السعودي ولو بعد حين ستنعكس على موقف رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط وستجعله يعيد النظر في موقفه من ترشيح فرنجية لجهة تصويت «اللقاء الديمقراطي» له إلى جانب حسم النواب السنّة المترددين موقفهم وخصوصاً نواب «تكتل الاعتدال الوطني» والنواب الذين يدورون في فلك «تيار المستقبل» سابقاً، الأمر الذي من شأنه تأمين 65 صوتاً لانتخابه في الدورة الثانية في حال تأمّن نصاب الثلثين أي 86 نائباً، وهو ما سيفتح باب النقاش مع التيار الوطني الحر لتأمين نصاب الجلسة ولو من دون التصويت لفرنجية، تماماً كما فعل الأخير بحضور جلسة انتخاب الرئيس ميشال عون من دون الاقتراع له. وفي محاولة للتقرّب من زعيم المختارة ونجله تيمور حرص فرنجية على الاتصال بجنبلاط الأب لتعزيته بوفاة شقيق زوجته نورا وعلى إيفاد نجله النائب طوني فرنجية إلى كليمنصو لتقديم التعازي، كما أبدى فرنجية استعداده لمحاورة الكتل المسيحية والتأكيد على انفتاحه.

وتزامن تسويق هذه الانطباعات مع ترويج لرصد رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي مناخاً سعودياً جديداً وعدم وضع المملكة فيتو على فرنجية استناداً إلى كلام منسوب إلى النائب وائل أبو فاعور سرعان ما نفته مفوضية الإعلام في الحزب التقدمي الاشتراكي.

لكن في المقابل، يقلّل خصوم فرنجية من أهمية ما يُحكى عن مرونة سعودية تجاه ترشيحه إلى الرئاسة، ويرون أن كل موجة التفاؤل مبنية على عبارة قالها المستشار في الديوان الملكي نزار العلولا لمستشار الرئيس الفرنسي الذي سلّمه لائحة ضمانات خطية موقعة من فرنجية «إتركها لندرسها».

ولاحظ الخصوم أن موقف الخارجية الفرنسية حول عدم تبنّيها أي مرشح إلى الرئاسة جاء في أعقاب تسريبات متعمّدة عن اتصال الرئيس ايمانويل ماكرون برئيس مجلس النواب نبيه بري تمت في خلاله مناقشة الاستحقاق الرئاسي إضافة إلى اتصال آخر من مستشاره باتريك دوريل استوضح فيه رئيس المجلس عن نتائج المحادثات التي أجرها في السعودية ومع شخصيات لبنانية، ونقل عنه أن هناك مؤشرات أفضل من السابق وأنه أبلغ القيادات التي التقاها أن فرنجية هو المرشح الأكثر جدية، داعياً بري إلى إطلاق حوار تمهيدا لتحديد جلسة جديدة لانتخاب رئيس الجمهورية، ومن هنا جاءت زيارة رئيس «المردة» إلى بكركي وعزمه محاورة الأحزاب المسيحية وتحضيره لاطلالة تلفزيونية في منتصف الأسبوع المقبل.

ويبدو أن العاصمة الفرنسية ستواصل استقبال القيادات اللبنانية وتستعد لدعوة كل من رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع ولرئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل لزيارة الاليزيه ومحاولة اقناعهما بأهمية الوصول إلى تسوية، علماً أنهما يمثلان أكبر حزبين مسيحيين، ويحتاج فرنجية إلى حضور نواب إحدى هاتين الكتلتين لتأمين النصاب والميثاقية. ولكن لا يوجد مؤشر على تغيّر موقف القوات من رفض وصول رئيس تابع لمحور الممانعة بعد التجربة المريرة مع الرئيس عون وتغطيته سلاح حزب الله، فيما لم يفقد تيار المردة والثنائي الشيعي الأمل بإمكان سير باسيل في نهاية المطاف بخيار فرنجية، إلا اذا أعاد التاريخ نفسه مع سليمان فرنجية الجد عندما اتفق جعجع وعون على منع وصول النواب إلى جلسة الانتخاب، وعندما عادا ليتوافقا على رفض معادلة مخايل الضاهر رئيساً أو الفوضى في نهاية عهد الرئيس أمين الجميّل.

أما الموقف الفرنسي المستجد الذي نفى وجود مرشح رئاسي لباريس، فهو إما خطوة تكتيكية إلى الوراء في ضوء تصاعد الانتقادات من أصدقاء فرنسا التاريخيين في لبنان وتحديداً المسيحيين لدور الاليزيه المتناغم مع الثنائي الشيعي والذي سيخسّرها بكركي والمسيحيون ولن يربّحها الشيعة، وإما هو تعبير فعلي عما واجهته باريس من الدول الممثلة في اللقاء الخماسي من عدم تأييد ظاهر لترشيح فرنجية وللمقايضة المقترحة وخصوصاً من قبل السعودية والولايات المتحدة الأميركية حيث أبلغت مساعدة وزير الخارجية بربارة ليف الوفد النيابي اللبناني الذي زار واشنطن ان بلادها ترفض تدخل أي دولة في الانتخابات الرئاسية. ودائماً حول المقايضة، بدأت تبرز إشارات جديدة بشأنها تشدّد على أن هذه المقايضة المفترضة بين رئاستي الجمهورية والحكومة غير عادلة وغير متوازنة. ففريق الممانعة لديه الآن رئاسة مجلس النواب والمقايضة الحقيقية تكون مع رئاسة الحكومة للفريق السيادي وليس مع رئاسة الجمهورية، إذ لا دخل لحزب الله بموقع رئاسة الجمهورية الذي يجب أن يكون معبّراً بالدرجة الأولى عن تطلعات المسيحيين وبكركي وليس رئيساً ملحقاً بالضاحية وبمشروع لا يشبه لبنان ولا هويته، ولم تتدهور الأوضاع في البلاد إلا عندما بات الرئيس يدافع عن مشروع حزب الله وسلاحه أو يغضّ الطرف عنه. من هنا، تبرز الحاجة في حدّها الأدنى لاختيار رئيس جمهورية خارج الاصطفافات يفصل بين الدولة والدويلة ويوحي بالثقة والاطمئنان للدول العربية والخليجية ويستطيع أن يكون أكثر من حَكَم ويلعب دوراً وطنياً وازناً ويوقف عجلة الانهيار.

احتجاجات مطلبية في بيروت

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10964 الأحد 23 نيسان (أبريل) 2023 – 3 شوال 1444 هـ

المهاجرون في المغرب من العبور إلى الاستقرار

تثيره هجرة الأفارقة مخاوف لدى بعض المغاربة على الصعيد المجتمعي ويفكرون في الأفق والتزايد والتكاثر وما إلى ذلك، كما تطرح المسألة من جانبها الأمني أيضا.

الرباط ـ «القدس العربي»: عبد العزيز بنعبو

إلى سنوات قريبة، لم يكن المهاجرون في المغرب يتجاوزون جنسيات عربية معدودة على رؤوس الأصابع، ويحظون بكل المحبة والتقدير ومكانتهم في المجتمع لا نقاش في رفعتها، إلى جانب طلبة أفارقة كانوا يتابعون دراستهم في المملكة، ومنهم من عاد إلى دياره وصار يتحمل مسؤوليات عليا في الدولة.

لكن في العقد الأخير، تغير الوضع أولا على مستوى تصدير المهاجرين، والحديث هنا عن المغاربة من الشباب الذين كان حلمهم ولا يزال لدى البعض هو الوصول إلى «فـردوس أوروبـا» وعلى مستوى احتلال المغرب لموقع الجسر للعبور دائما إلى «الجنة الشمالية» في دول «شينغن» وهو ما كان هدفا لموجات من المهاجرين من دول أفريقيا جنوب الصحراء، صار الأمر فيه رهان لمافيات كانت تتعامل مع ظاهرة «الهجرة غير المشروعة» أو كما اصطلح عليها إعلاميا في المغرب «الهجرة السرية» ومرادفها «قوارب الموت».

تلك سنوات خلت، وعبرت إلى غير رجعة، وتحول المغرب من مصدر إلى محتضن، بل لم يعد بلد عبور، وإنما صار مسقرا للعديد من الأفارقة الذين تخلوا عن حلم العيش في أوروبا ومغامرة الوصول إليه، بحلم أكثر واقعية وهو العيش في المغرب الذي فتح لهم الباب دون موارية ومكنهم من تحقيق التوازن بمنحهم وثائق ثبوتية والاندماج في المجتمع والاشتغال جنبا إلى جنب مع المغاربة، صارت المواطنة الكونية علامة فارقة في المعيش المغربي، وأن يتكاثر المهاجرون الأفارقة من جنوب الصحراء في المغرب، ذلك يحتمل تأويلا واحدا وهو كون الأرض خصبة لزراعة التكافل والرعاية الإنسانية.

ليس المهاجر الأفريقي وحده من يصنع اللحظة الفارقة في المقاربة الإنسانية المغربية، بل إن اللاجئ السوري، إبان فورة الحرب واندلاع المعارك الطاحنة والخراب الذي شمل الشام، كان له موطن في المغرب الذي احتضنه إسوة ببقاقي المهاجرين، ولم يفرق بين عربي وعجمي أو أبيض أو أسود وجعل الكل سواسية أمام القانون أولا، وأمام الوازع الإنساني وعقيدة التضامن ثانيا.

الحديث عن الهجرة في المغرب لا يمكن فصله عن أجيال مغاربة العالم في كل دول المعمورة من أوروبا إلى أمريكا وتجدهم في أمريكا اللاتينية أيضا وآسيا، وهذه الأخيرة ربما لهم قدم السبق فيها بحكم الرحالة الشهير ابن بطوطة، كما يتناقل ممازحون وهم يتأملون خريطة انتشار المغاربة في العالم.

الجالية المغربية في الخارج لها وزنها في المغرب كما الحال بالنسبة لجميع الدول التي لديها جاليات عاملة عبر العالم، وبالنسبة للمملكة فإن مغاربة العالم لهم وضعية خاصة جدا، ويحظون باهتمام ورعاية مباشرة من العاهل المغربي، ولديهم مجلس خاص بهم كما لديهم وزارة تتكفل بمصالحهم وتجدها لأهميتها مدمجة في وزارة الشؤون الخارجية.

المغرب والميثاق العالمي للهجرة

تغير وتيرة الحياة في المغرب وتطورها على جميع الأصعدة جعله يتحول فجأة من بلد للعبور والتصدير إلى بلد للاستقرار واحتضان الآلاف من المهاجرين من دول أفريقيا جنوب الصحراء الذين تخلوا نهائيا عن حلم الوصول إلى أوروبا وفضلوا البقاء في المغرب.

وهو ما تؤكده «المنظمة الدولية للهجرة» إذ تصف المغرب بكونه «بلد منشأ وعبور ومقصد للهجرة» ووجهة للعديد من المهاجرين، الأمر الذي يجعله في مواجهة وضع معقد ويضعه أمام التحدي المتمثل في وضع سياسة شاملة للهجرة تحتوي على جميع الأبعاد: الهجرة الاقتصادية، وحركة اللاجئين وطالبي اللجوء، والهجرة غير النظامية والإتجار بالبشر والهجرة الداخلية والهجرة البيئية، إلخ.

وبالنسبة للمنظمة الدولية للهجرة، ففي «ظل هذا السياق، أحرز المغرب تقدماً في تحسين سياسته المتعلقة بالهجرة والانـدمـاج من خـلال تطوير وتنفيذ الاستراتيجية الوطنية للهجرة واللجوء، وإطـلاق حملتين لتسوية الأوضـاع في عامي 2014 و2017 وتطوير قانون جديد لمكافحة الإتجار بالبشر (بدعم من المنظمة الدولية للهجرة) مع قوانين معلقة بشأن الهجرة واللجوء».

وتركز المنظمة في تدخلاتها على ثلاثة محاور رئيسية، أهمها هي مسألة التنمية وارتباطها بالهجرة، وهو ما كان موضوع مؤتمرات احتضنها المغرب وخلصت إلى توصيات هامة جدا، ونذكر أهمها «المؤتمر الحكومي الدولي من أجل المصادقة على الميثاق العالمي للهجرة» الذي احتضنته مدينة مراكش وكان ساعتها قلبا نابضا لكل المتتبعين في العالم.

المؤتمر المذكور تمت خلاله المصادقة الرسمية على «الميثاق العالمي من أجل الـهـجـرة الآمـنـة والمـنـظـمـة والمنتظمة» وسمّي «ميثاق مراكش» الذي أكدت الأمم المتحدة أنه سيظل مرجعية بالنسبة لكافة المبادرات المستقبلية المتعلقة بالهجرة، وأن المصادقة عليه تأتي لتأكيد القيم والمبادئ التي يستند إليها ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي.

وفـي سـيـاق مأسسة البعد الكوني للهجرة وإعطائه ما يستحق من عناية في المغرب، تذكر افتتاح المرصد الأفريقي للهجرة في الرباط عام 2020 والذي كان قد أشرف عليه وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة، ومفوضة الشؤون الاجتماعية بالاتحاد الأفريقي، أميرة الفاضل.

المرصد المذكور هو ثمرة اقتراح من العاهل المغربي محمد السادس سنة 2018 وترجمة لكونه رائدا لأفريقيا في موضوع الهجرة.

هـكـذا، إذن، أخـذ المـغـرب على عاتقه النهوض بأوضاع المهاجرين في العالم، وخاصة الأفارقة من أبناء القارة السمراء الذين يجدون أنفسهم في حالة اضطرار إلى ركوب الصعب من أجل حياة أفضل، وهنا ينتصب التضامن الأفريقي. وبذلك، تمكنت المملكة المغربية من التكيف السريع والجدي مع تغيرات الهجرة، كما حوّلتها من عامل انتكاس وهلع يصيب العديد من الدول الأوروبية، إلى عامل إنساني يساهم في التنمية ويتم العمل على تسوية الوضع على أرض الواقع عبر قوانين ومواثيق ملزمة لفائدة الحياة الكريمة المنشودة للمهاجرين.

من العبور إلى الاستقرار

إلى وقت قريب فقط كان المغرب مجرد رقم يضيف بعض المهاجرين ويعتلي الأخبار العاجلة التي تفيد بوفاة عدد من المهاجرين في عرض البحر وهم يخوضون غمار الهجرة غير الشرعية في «قوارب الموت»؛ ذلك زمن ولى بكل تأكيد، لكن لا يمنع من ظهور حالات متفرقة لمحاولات هجرة غير شرعية من هنا أو هناك من شواطئ الشمال والجنوب المغربيين، والأهم هو وجود الأمن والبحرية الملكية التي تحول دون العديد من الكوارث الإنسانية وتنقذ العديد من المرشحين للهجرة غير النظامية من الموت المحقق.

اليوم، وعندما يقول وزير خارجية المغرب، ناصر بوريطة، «المهاجرون الأفارقة يشكلون دعما اقتصاديا هاما للقارة» فهو يحيل على عامل التنمية البشرية والتداخل الاقتصادي للوضع، وبالتالي فإن المهاجر لم يعد رقما خاسرا في معادلة الدول الأفريقية بل هو رقم رابح يضاف إلى جملة الأرقام التي تراهن عليها القارة بأكملها.

وبلغة الأرقـام، أفاد بوريطة في كلمة خـلال الاجتماع الخامس للجنة العليا المكلفة بـ «أجندة عشرية الجذور الأفريقية والمغتربين الأفارقة» الذي عقد عبر تقنية التناظر المرئي، بأنه على مدار الفترة ما بين 2010 و2020 بلغت تحويلات المهاجرين الأفارقة أكثر من 600 مليار دولار، منها 440 مليارا إلى أفريقيا جنوب الصحراء، ونحو 200 مليار إلى باقي البلدان الأفريقية، مبرزا أن الأمر يتعلق بدعم اقتصادي هام يتجاوز بكثير مستويات التنمية، بل مستويات الاستثمارات أيضا.

وأضاف أن هؤلاء المهاجرين يشكلون رصـيـدا هاما ليس فقط على المستوى الاقـتـصـادي، بـل أيـضـا على الصعيد اللامادي بـ 150 مليون مهاجر أفريقي، مشيرا إلى أن الاتـحـاق الأخـيـر للتنمية المستدامة عرف تقدما بنسبة 6.2 في المئة بالنسبة للقارة الأفريقية مقارنة بمتوسط إجمالي من 8 إلى 9 على المستوى العالمي.

حديث الوزير المغربي يشمل الجالية المغربية المقيمة في الخارج والتي تعتبر تحويلاتها المالية السنوية خير داعم للاقتصاد الوطني في مختلف تجلياته.

وتعتبر إسبانيا، الجار الشمالي، الرباط بأنها «حليف أسـاسـي» في مكافحة الهجرة غير الشرعية، ذلك ما أكده بيدرو سانشيز، رئيس الوزراء الإسباني، من جديد، الأربـعـاء المنصرم، بقوله أمام مجلس النواب إن المغرب «حليف أساسي لأمننا وللهجرة المنظمة في بلادنا وفي القارة الأوروبية».

وأضـاف قـائـلا «أعـتـقـد أن الأرقـام تتحدث عن نفسها: الطريق الأطلسي (إلى أرخبيل الكناري) هو الطريق الوحيد في أوروبا حيث يتناقص عدد المهاجرين غير الشرعيين، في سياق الزيادة العامة في الهجرة غير الشرعية إلى القارة الأوروبية».

واستنادا إلى الأرقـام المتعلقة بالربع الأول من هـذا الـعـام، أفـاد سانشيز أن وصـول المهاجرين غير الشرعيين إلى جزر الكناري قد انخفض بنسبة 63 في المئة، بينما زاد عدد الوافدين إلى اليونان وإيطاليا على التوالي خلال نفس الفترة بنسبة 95 في المئة و300 في المئة.

الهجرة كقوة إيجابية

«تغيير تصوراتنا للهجرة، والتعامل معها، ليس كعائق أو تهديد، ولكن كقوة إيجابية» تلك كانت الكلمة المفتاح التي ألقاها العاهل المغربي محمد السادس، في القمة التاسعة والعشرين لرؤساء دول وحكومات الاتحاد الأفريقي، والتي فتحت أفقا مغايرا لنظرة أخرى من زاوية إيجابية لقضية الهجرة.

قناعة المغرب في هذا المجال ترجمها إلى أفعال وواقـع معيش بالنسبة لعدد ممن المهاجرين من دول أفريقيا جنوب الصحراء، وبعض الجنسيات الأخرى مثل اللاجئين السوريين.

الأمر ببساطة تم في عام 2014 عندما جرت تسوية وضعية 25000 شخص، كما تم تمكينهم من الوصول الرعاية الصحية، ناهيك عن ممارسة حياتهم بشكل قانوني وعـادي، مثل الشغل والتدريب وما إلى ذلك، ولم يغفل المغرب أن يمنح لـ 7000 طفل من المهاجرين واللاجئين فرصة التعليم والتطبيب وخلافه من الخدمات الاجتماعية الإنسانية.

هي خطوات إجرائية أساسية لفتح أفق العيش الكريم أمام المهاجرين وترجمة حديث القوة الإيجابية إلى واقع أمر وليس شعارا.

بعض القلق المجتمعي

ليس الأمر ورديا فقط، بل تتخلله بعض الألوان الأخرى ومن بينها ما تثيره هجرة الأفـارقـة من دول جنوب الصحراء من مخاوف لدى بعض المغاربة على الصعيد المجتمعي ويفكرون في الأفق والتزايد والتكاثر وما إلى ذلك، كما تطرح المسألة من جانبها الأمـنـي أيـضـا، فالسلطات المغربية تبقى دائما أمام تحد خاصة من أجل توفير الخدمات للمهاجرين الذين قرروا الاستقرار في المملكة، وتتمثل في الخدمات الأساسية.

بعض الحوادث والصدامات المتفرقة والقليلة التي تطفو مثل شعرة في كوب مـاء، لكنها عابرة وتستند على العامل الشخصي والاحـتـكـاك البشري لا أقل ولا أكثر، لكن في حالات توجد تدخلات للأمن من أجل إخلاء أماكن محددة يعمل المهاجرون على احتلالها، ونذكر في الدار البيضاء محطة الحافلات «أولاد زيان» والتي تم إخلاؤها في ظرف وجيز دون أي اصطدام كبير أو حوادث تذكر.

عـلـى الـعـمـوم، بالنسبة للمغاربة والمهاجرين على حد سواء، فإن الأمر يدعو إلى التعايش والتساكن، وهو ما يترجمه أفارقة من دول جنوب الصحراء قرروا البقاء في المغرب، يؤكدون أن المجتمع المغربي منفتح ومتعدد الثقافات.

Volume 34 - Issue 10964 Sunday 23 April 2023

ليبيا: هل هناك حاجة لاستفتاء قبل الانتخابات؟

رغم اعتقاد مراقبين أنه يتم الترتيب حاليا لتسمية حكومة جديدة تشرف على العملية الانتخابية، بالتنسيق مع الجهات الدولية الفاعلة في ليبيا، من المستبعد أن يقبل الدبيبة بالتنحي.

رشيد خشانة

سـواء تـوقـفـت الـحـرب الأهـلـيـة في السودان أم استمرت المعارك الطاحنة، فإن ليبيا ستكون في مقدم المتأثرين سلبا بتداعيات الـحـرب، بعدما أغلقت تشاد حدودها مع السودان بالكامل. ويؤكد وزير الإعلام الليبي الأسبق محمود شمام أن ما يجري في السودان يُلقي بظلاله على ليبيا، وخاصة على معسكر اللواء المتقاعد خليفة حفتر، بالنظر للدعم الـذي لقيه الأخير طيلة سنوات، من محمد حميدتي دقلو، قائد قوات الدعم السريع. والأرجح أن الـنـازحـين والـلاجـئـين السودانيين سيتجهون بالآلاف إلى جنوب شرق ليبيا، هربا من الحرب. كما أن ليبيا ستكون الملاذ الآمن، نسبيا، لقوات «الجنجويد» في حال انتصار الجيش، بموقف يلتقي مع مواقف الـرافـضـين، تحت الـطـاولـة، لإجرائها، بالاعتماد على الخريطة التي أعدها الموفد الأمـمـي عبد الله باثيلي، وحـازت على موافقة مجلس الأمن. وأفـاد باثيلي في إحاطته لمجلس الأمن الأربعاء الماضي أنه اتفق مع الأطراف الأمنية والعسكرية على تأمين الانتخابات ونبذ العنف وإطلاق المحتجزين وضـمـان مصالحة وطنية جامعة.

والغريب أن روسيا صارت تتحدث، هي أيضا عن ضرورة انسحاب «كل القوات المسلحة غير الليبية والوحدات العسكرية، بشكل متدرج ومنسق، من أجل الإبقاء على التوازن في الميدان» وهي تقصد التوازن بين قوات حفتر والقوات الموالية لحكومة الوحدة. أما القوة الأخرى الداعمة لحفتر والتي تُطالب، مع ذلك، بسحب القوات الأجنبية من ليبيا، فهي الإمـارات، التي أكدت أن «تحقيق الاستقرار يتطلب سحب المرتزقة الأجانب والقوات الأجنبية بشكل مُتزن ومتزامن». كما حضت «الأطراف» من دون أن تُسميها، على تحديد أجندة واضحة لتنفيذ الاستحقاق الانتخابي، واللافت أن كلاما كثيرا يُقال عن ضرورة إسـراع لجنة 6–6 بـإعـداد الـقـوانـين الانتخابية، وهي اللجنة المؤلفة من ستة أعضاء من مجلس النواب، وستة آخرين من مجلس الدولة، غير أن حركتها ما زالت بطيئة. لكن لا أحد ناقش الأسباب التي قادت إلى إرجاء الانتخابات بعدما كانت مُقررة ليوم 24 كانون الأول/ديسمبر 2021. «استكمال المرحلة الانتقالية الثالثة». أما الثاني (باشاغا) فعليه أن يُواجه تآكل شعبيته، حتى في مدينته مصراتة، لأنه أطلق وعودا لم يف بها، فضلا عن عجزه على الاستقرار في العاصمة، وعن تحصيل اعترافات دولية وإقليمية، بوصفه رئيسا للحكومة المنبثقة من مجلس الـنـواب.

البرلمان الليبي

ومن الواضح في هذا المشهد أن القضية الليبية تم تدويلها بالكامل، وأن الليبيين لن يكونوا أصحاب الكلمة الأخيرة في حسم الصراع. من ذلك أن روسيا أصبحت تُشددُ على ضرورة انسحاب كل القوات المسلحة غير الليبية والوحدات العسكرية من ليبيا، بشكل متدرج ومنسق، من أجل الإبقاء على التوازن في الميدان. وفي هذا الإطار يحرص الروس على البقاء بعيدين عن الأضـواء في هـذه المرحلة، لضمان مصالح شركتهم «أس أم بي» التي أسسها إفغيني بريكوجين صديق بوتين الحميم، وهـي الـذراع الاقتصادية لروسيا في أفريقيا. أما الإمـارات فرحبت بالتعديل الدستوري الـ13 داعية الأطراف إلى جدول زمني واضح وجاد، لتحقيق الاستحقاق الانتخابي، مشيرة في الوقت ذاته إلى أن تحقيق الاستقرار يتطلب سحب المرتزقة الأجانب والقوات الأجنبية بشكل متزن ومتزامن.

على الصعيد الإقليمي، يبدو أن الجولة التي قام بها الموفد الأممي باثيلي، أواخر الشهر الماضي، على ثلاث من دول الجوار، هي الـسـودان وتشاد والنيجر، والتي تركزت على إخراج المقاتلين الأجانب والمرتزقة من الأراضـي الليبية، كأنها لم تُحقق الآمال المعقودة عليها. مع ذلك لا يُخفي الأمريكيون، سواء في الأمم المتحدة أم في لقاءاتهم مع الليبيين، قناعتهم بأن عودة الاستقرار إلى البلد الغني بمصادر الطاقة، ستجعل من الممكن إحداث زيادة كبيرة في صادرات النفط والغاز، وبالتالي ستعزز الـصـادرات الليبية الإمكانات المُتاحة لشركاء واشنطن الأوروبـيـين للحصول على المحروقات، وتُؤمن قدرا من الاسـتـقـرار الإقليمي، في مواجهة مـحـاولات زعزعة الأمـن التي تقوم بها روسيا من جهة، والجماعات المسلحة في المناطق الصحراوية المجاورة لليبيا، وخاصة «الجنجويد» من جهة ثانية. وقد اعتاد «الجنجويد» على حرية الحركة في منطقة المثلث الشاسعة بين ليبيا والنيجر وتشاد، وبالتالي فهم مصدر خطر كبير على الجهود الرامية لإجراء الانتخابات قبل نهاية العام.

استفتاء شعبي على الدستور؟

هناك سـؤال لم يُطرح بوضوح حتى الـيـوم، وهـو يتعلق بالاستفتاء على مشروع الدستور، الذي يُفترض أنه يسبق الانتخابات. لكن الفسحة الزمنية الباقية إلى نهاية العام، لا تُتيح إجراء اقتراعين متوالين، خاصة مع صعوبة المسارات الانتخابية في الجنوب الليبي. وكان مجلس النواب أصدر قانون الاستفتاء على الدستور، غير أن مفوضية الانتخابات لـم تُـجـر بـعـدُ الاسـتـفـتـاء على الإعـلان الدستوري. وتتمسك شخصيات عدة، بينها رئيس مجلس النواب عقيلة صالح، بـضـرورة عـرض الوثيقة الدستورية، الخاصة بتنظيم عملية الانتخابات، على استفتاء شعبي قبل اعتمادها، معتبرا أن التدخل الخـارجـي هـو «سـبـب عدم الاستقرار السياسي في ليبيا» مُتناسيا الدور السلبي للمجلس في التغاضي عن وجود قوات أجنبية في البلد، وسكوته على تزويد معظم الأجـسـام العسكرية الليبية بالمال والسلاح، من دول إقليمية.

وعلى الرغم من اعتقاد مراقبين عدة أنه يتم الترتيب حاليا لتسمية حكومة جديدة تشرف على العملية الانتخابية، بالتنسيق مع الجهات الدولية الفاعلة في ليبيا، من المستبعد أن يقبل الدبيبة بالتنحي، وهو الذي وعد بألا يُسلم السلطات إلا لحكومة منتخبة. وقد يُعطل هذا الجدل التقدم نحو الانتخابات، ذلك أن شخصيات سياسية وقيادات قبلية عقدت أخيرا اجتماعات في مصراتة أسفرت عن جملة من التوصيات، من بينها إيجاد سلطة تنفيذية موحدة، تمهد المناخ لإجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية، ويكون لخليفة حفتر دور في تكوينها. وهذا طريق غير مضمون، لأن هذه السلطة التنفيذية قد تتشبث بالحكم، بوسائل مختلفة، مثلما فعلت الحكومات السابقة، فيعود البلد إلى المربع الأول.

للانتخابات الرئاسية في 2021 بسبب صـدور قـرارات قضائية باتة في حقه، من هيئات قضائية خارجية وداخلية، بسبب ارتكابه جرائم حرب. ويُتداول في الكوالِيس مخرج مُحتمل من مصدر العطل المُتعلق بترشُح العسكريين، يتمثل في تعهُد من يرغب بالترشح، من التابعين للمؤسسة العسكرية، بالاستقالة من الجيش قبل الانتخابات، على ألا يعود إلى منصبه العسكري، إذا لم يفز في الاقتراع.

حاجز ازدواج الجنسية

أمـا الحـل المُـقـتـرح لحـاجـز ازدواج الجنسية فهو اشتراط التخلي عن الجنسية الأجنبية نهائيا، قبل الاقتراع. ولا يُعرف ما إذا كان حفتر سيقبل بهذه الصيغة أم لا، لكن طالما لم يوجد حلٌ سياسيٌّ وقانونيٌّ لمعضلة ازدواج الجنسية، بالنسبة لحفتر، الحامل للجنسية الأمريكية، إلى جانب جنسيته الليبية، فإن أعمال لجنة 6–6 لن تكون لها فعالية ونجاعة في تعبيد الطريق للانتخابات. والظاهر أن صعوبات ترشيح حفتر قد تُبرر اللجوء إلى بديل يتمثل بحليفه رئيس مجلس النواب عقيلة صالح.

لا يقتصر الـسـاعـون الـبـارزون إلى الرئاسة على الثلاثة خليفة حفتر وسيف الإسـلام القذافي وعقيلة صالح، فهناك شخصيات نافذة لا تُخفي أيضا عزمها على الترشح للانتخابات المقبلة، ومن بينها رئيس حكومة الوحدة عبد الحميد الدبيبة ورئيس الحكومة الموازية فتحي باشاغا، لكنهما ليسا في أوج قوتهما هذه الأيام، إذ أن الأول غير مقتنع بإجراء الانتخابات، على أمل تمديد بقائه في السلطة، على طريقة «المؤقت الدائم» بحجة «استكمال المرحلة الانتقالية الثالثة». أما الثاني (باشاغا) فعليه أن يُواجه تآكل شعبيته، حتى في مدينته مصراتة، لأنه أطلق وعودا لم يف بها، فضلا عن عجزه على الاستقرار في العاصمة، وعن تحصيل اعترافات دولية وإقليمية، بوصفه رئيسا للحكومة المنبثقة من مجلس الـنـواب. ومن المسؤولين الروس. أكثر من ذلك تتولى قوات «فاغنر» وقوات الدعم السريع حماية مناجم ذهب في السودان، حسب مركز الأبحاث «يوروبيان كاونسيل أون فورين ريلايشن» (المجلس الأوروبي حول العلاقات الخارجية). ويضم باطن الأرض في السودان ثروات كبيرة، فهو ثاني أكبر منتج للمعادن الثمينة في القارة الأفريقية، والتي يُباع معظمها في الأسواق الموازية. أكثر من ذلك، تُسيطر قوات الدعم السريع بقيادة حميدتي، على عدد لم تُحدده المـصـادر، من مناجم الذهب والمعادن الثمينة في السودان.

على هـذه الخلفية يبدو أن حميدتي يُخطط منذ سنتين للإرتقاء من منصب الـرجـل الـثـانـي فـي الحـكـم (المجلس الـرئـاسـي) إلـى المـركـز الأول، وهـو ما يقتضي تنحية الرئيس الحالي للمجلس عبد الفتاح البرهان. ولم تكن الطموحات الرئاسية لحميدتي خافية منذ تكاثرت زيـاراتـه إلـى المناطق الداخلية وارتياده المجالس القبلية، لربط علاقات مع الزعماء المحليين، الذين كانوا يُعتبرون أركـان نظام الجنرال عمر البشير، قبل أن تُطيح به ثورة شعبية في 2019. ويكمُنُ الخطر، حسب بعض الخبراء، في اتخاذ المُعرقلين للانتخابات في ليبيا، الحرب في السودان وتداعياتها الإنسانية والسياسية على الجنوب الليبي، ذريعة للمطالبة بتأجيل الانتخابات، وهو موقف يلتقي مع مواقف الـرافـضـين، تحت الـطـاولـة، لإجرائها، بالاعتماد على الخريطة التي أعدها الموفد الأمـمـي عبد الله باثيلي، وحـازت على موافقة مجلس الأمن. وأفـاد باثيلي في إحاطته لمجلس الأمن الأربعاء الماضي أنه اتفق مع الأطراف الأمنية والعسكرية على تأمين الانتخابات ونبذ العنف وإطلاق المحتجزين وضـمـان مصالحة وطنية جامعة.

والغريب أن روسيا صارت تتحدث، هي أيضا عن ضرورة انسحاب «كل القوات المسلحة غير الليبية والوحدات العسكرية، بشكل متدرج ومنسق، من أجل الإبقاء على التوازن في الميدان» وهي تقصد التوازن بين قوات حفتر والقوات الموالية لحكومة الوحدة. أما القوة الأخرى الداعمة لحفتر والتي تُطالب، مع ذلك، بسحب القوات الأجنبية من ليبيا، فهي الإمـارات، التي أكدت أن «تحقيق الاستقرار يتطلب سحب المرتزقة الأجانب والقوات الأجنبية بشكل مُتزن ومتزامن». كما حضت «الأطراف» من دون أن تُسميها، على تحديد أجندة واضحة لتنفيذ الاستحقاق الانتخابي، واللافت أن كلاما كثيرا يُقال عن ضرورة إسـراع لجنة 6–6 بـإعـداد الـقـوانـين الانتخابية، وهي اللجنة المؤلفة من ستة أعضاء من مجلس النواب، وستة آخرين من مجلس الدولة، غير أن حركتها ما زالت بطيئة. لكن لا أحد ناقش الأسباب التي قادت إلى إرجاء الانتخابات بعدما كانت مُقررة ليوم 24 كانون الأول/ديسمبر 2021. «استكمال المرحلة الانتقالية الثالثة». أما الثاني (باشاغا) فعليه أن يُواجه تآكل شعبيته، حتى في مدينته مصراتة، لأنه أطلق وعودا لم يف بها، فضلا عن عجزه على الاستقرار في العاصمة، وعن تحصيل اعترافات دولية وإقليمية، بوصفه رئيسا للحكومة المنبثقة من مجلس الـنـواب.

حدث الأسبوع

حرب المدن بين الجيش السوداني والدعم السريع تضع البلاد على حافة الهاوية

الخرطوم – «القدس العربي»: ميعاد مبارك

تدخل المعارك العنيفة بين الجيش السوداني، بقيادة رئيس المجلس السيادي– السلطة الأعلى في البلاد– ونائبه قائد قوات الدعم السريع محمد حمدان دقلو «حميدتي» أسبوعها الثاني، فيما يبدو أنها حرب حتى النهاية، بعد ما لم يعد بإمكان أي منهما تشارك كرسي الحكم مع آخر.

ومنذ انقلاب الجيش بالاشتراك مع الدعم السريع على الحكومة الانتقالية، في 25 تشرين الأول/ اكتوبر 2021 أصبح البرهان ونائبه حميدتي، الحاكمين الفعليين للبلاد، بينما كان المحتجون في شوارع البلاد، يطالبون بالحكم المدني الديمقراطي، رافعين شعار «عودة الجيش للثكنات وحل الدعم السريع».

«أعتقد أن طبيعة العلاقة بين البرهان وحميدتي، هي ما عززت وجودهم حتى الآن» هذا ما قاله القيادي في الحرية والتغيير ياسر عرمان في حوار مع «القدس العربي» في آذار/مارس الماضي، بالتزامن مع تصاعد حدة الخلافات بين الجيش والدعم السريع وبداية التحشيد العسكري لجنود وأسلحة كلا الجانبين التي بدت على أهبة الاستعداد. والذي اتهم الإسلاميين وعناصر النظام السابق بدفع الأطراف العسكرية في اتجاه الحرب، لاستعادة السلطة في غمار الفوضى التي تخلفها.

ولكن، إلى أي مدى كان التقارب بين البرهان وحميدتي، والذي يبدو أنه شكلا حماية متبادلة لكليهما، على الرغم من أن مصالح كل من الرجلين لم تكن متوافقة دائما.

حرب دارفور

ولم تكن النشأة الأولى للعلاقة التي بدت وطيدة بين الرجلين، في العام 2015 بالتزامن مع عاصفة الحزم، في اليمن، حيث أشرف البرهان على القوات السودانية في التحالف العربي، بالتنسيق مع حميدتي، والتي كان يشارك فيها بالإضافة إلى الجنود المبتعثين من الجيش السوداني عدد كبير من قوات الدعم السريع التي يقودها حميدتي. ولكنها نشأت قبل نحو 20 عاما، إبان مشاركتهما في حرب دارفور، التي اندلعت في العام 2003 حيث كان حميدتي، مقاتلا في ميليشيا عشائرية، استخدمها نظام البشير في حربه ضد الحركات المسلحة، بينما كان البرهان ضابطا في القوات البرية، وخاضا العديد من المعارك معا.

لاحقا، تم تدريب تلك المجموعات العشائرية، وتكوين قوة شبه عسكرية، سميت «حرس الحدود» مهمتها إسناد الجيش في حربه ضد المجموعات المسلحة التي أعلنت التمرد ضده هناك.

وينتمي البرهان (63 عاما) والذي ولد بولاية نهر النيل شمال البلاد إلى عائلة دينية متصوفة تتبع طريقة الختمية – من الطرق الدينية البارزة في السودان– وتدرج بعد تخرجه في الدفعة 31 من الكلية الحربية في الخدمة العسكرية، حيث شارك في حرب الجنوب ودارفور، وقوات المشاة، وانخرط ضمن حرس الحدود التي أصبح قائدها لاحقا، كما عمل ملحقا عسكريا في الصين، وتدرج ليصبح مفتشا عاما للقوات المسلحة السودانية في شباط/ فبراير 2018 قبل نحو عشرة أشهر على اندلاع الثورة الشعبية التي أطاحت بنظام الرئيس السابق عمر البشير، في 11 نيسان/ابريل 2019 ليصبح البرهان الذي برز أسمه وقتها لأول مرة، على الرغم من خدمته لأكثر من ثلاثة عقود في الجيش.

وبعد رفض الشارع تولي عوض ابن عوف رئاسة المجلس العسكري الذي أعلن انحيازه للثورة السودانية، والذي كان يشغل منصب وزير الدفاع، في نظام البشير، أعلن استقالته بعد يوم واحد وتنازل القائد الثاني بعده في التراتبية كمال عبد المعروف عن المنصب أيضا، ليصبح البرهان الذي لم يكن يعرفه السودانيون وقتها، رئيسا للمجلس العسكري وقائدا عاما للجيش.

ووفق جنرال متقاعد، تحدث لـ«القدس العربي» كان ضمن القادة العسكريين الذين دربوا قوات الدعم السريع وشارك في معارك مع البرهان وحميدتي، «كان الرجلان يعملان بانسجام في دارفور».

وأضاف: «حميدتي، الذي وجه أكبر ضربة للرئيس المعزول عمر البشير، بانحيازه لمجموعة المجلس العسكري، كان يرى أنه صاحب الفضل على البرهان والسبب في توليه الرئاسة، وأنه مارس ضغوطاً كبيرة داخل المجلس لإبعاد إبن عوف وعبد المعروف عن المقعد والذي آل بطبيعة الحال إلى البرهان».

معركة «قوز دنقو»

وفي معركة «قوز دنقو» بولاية جنوب دارفور، غرب البلاد، مطلع العام 2015 برز نجم حميدتي، الذي كبدت قواته التي تشكلت قبلها بعامين، الحركات المسلحة هزيمة فادحة، احتفل بها الرئيس السوداني السابق عمر حسن البشير، في الميدان، ومنح خلالها وسام الشجاعة لقوات الدعم السريع، التي تشكلت من ذات الميليشيات ذات الطابع القبلي وورثت تركة «مجموعة حرس الحدود».

«أنا إنسان ليس لي أي علاقة بالحكومة ولا بالقتال، والسياسة أو العسكرية، عملت في تجارة الإبل، ما بين تشاد ونيجيريا وليبيا منذ العام 1991 حتى عام 2003 حيث بدأت التعاون مع الجيش وجمعت لهم الناس كان وقتها عمري 28 عاما فقط» هذا ما قاله حميدتي (48 عاما) معرفا عن نفسه في حوار أجرته مع صحيفة «أول النهار» المحلية في العام 2016.

وبعد تولي البرهان رئاسة المجلس السيادي في الحكومة الانتقالية في آب/اغسطس 2019 تم تعيين حميدتي نائبا له، ومنذ ذلك الوقت بدأ الرجل الثاني في الدولة بناء إمبراطورية اقتصادية وعسكرية مستقلة، ذات ارتباطات دولية وإقليمية.

ووصولا إلى انقلاب 25 تشرين الأول/اكتوبر 2021 الذي أطاح بالشراكة مع المدنيين والحكومة الانتقالية برئاسة عبد الله حمدوك، بدا أن الرجلين ما يزالان متقاربين. وفي أعقاب الانقلاب، تعقد المشهد السياسي في البلاد، وأصبحت الخلافات بين الأطراف تتصاعد يوماً بعد يوم، وسط استمرار التظاهرات الشعبية المطالبة بإنهاء حكم البرهان وحميدتي.

وأثارت إعادة البرهان الإسلاميين إلى مؤسسات الدولة، مخاوف حميدتي الذي يعتبره الإسلاميون عدوهم اللدود، وتحمله مسؤولية سقوط نظام البشير، كما بدا أن الرجلين بدأت تتقاطع تحالفاتهما الداخلية والخارجية، على نحو يهدد وجود الآخر.

وفي 5 كانون الأول/ديسمبر الماضي، وقعت مكونات الحرية والتغيير والعسكر وعدد من التنظيمات السياسية الأخرى والحركات المسلحة اتفاقا إطاريا كان من المنتظر أن يقود إلى تسوية تعيد الانتقال الديمقراطي إلى البلاد إلا أنه مثل كذلك أساساً للخلافات بين الجيش والدعم السريع اللذين يتبنيان وجهتي نظر مختلفتين حوله ترتبط بأطراف الاتفاق.

وفي أعقاب ذلك تصاعدت شيئاً فشيئاً الخلافات بين الجانبين، واندلعت حرب التصريحات، بينما اشتدت مخاوف السودانيين، من احتمالية نشوب صدام مسلح بين الجيش والدعم السريع، وهو الأمر الذي أبدى قادة سياسيون قلقهم منه بشكل معلن، قبل أن يحاولوا التوسط بينهما.

وفي ظل تلك الأوضاع الأمنية والسياسية المضطربة، نجح الوسطاء في جمع البرهان وحميدتي، في اجتماع وصفته أطراف العملية السياسية بالمفصلي. وشارك الرجلان بالفعل في مفاوضات حول الإصلاح العسكري تمهيدا لتوقيع الاتفاق النهائي وتسليم السلطة للمدنيين.

وتصاعدت الخلافات خلال ورشة الإصلاح الأمني والعسكري ما أدى إلى انسحاب ممثلي الجيش، الذين رفضوا مطالب لحميدتي بدمج قواته في الجيش خلال فترة زمنية مدتها عشرة أعوام، والذين تمسكوا بإنهاء العملية خلال عامين، ومقابل تصور قدمه حميدتي بتبعية قوات الدعم السريع لرئيس الوزراء في الحكومة الانتقالية المقبلة تمسك الجيش بتبعية تلك القوات لقيادته.

وفي صباح السبت 15 نيسان/ ابريل الجاري، تحولت مخاوف السودانيين إلى واقع، واندلعت حرب البرهان حميدتي في شوارع العاصمة الخرطوم وأنحاء أخرى في البلاد، مخلفة مئات القتلى وآلاف الجرحى، وسط دمار واسع للمواقع الاستراتيجية السيادية والعسكرية، لم تنج منها الأحياء السكنية والمشافي والمرافق المدنية. وفي ظل هدنة هشة من المقرر استمرارها لثلاثة أيام، ما تزال تشتد وتيرة الحرب، التي يتمسك الطرفان بالوصول إلى نهايتها، التي لا تبدو واضحة المآلات وسط مخاوف من تحولها إلى حرب أهلية تحول ثالث أكبر دولة في أفريقيا إلى دويلات صغيرة متنازعة وفق مصالح إقليمية ودولية متضاربة.

إجلاء الأجانب والقتال مستمر رغم هدنة العيد

قال الجيش السوداني السبت إنه وافق على المساعدة في إجلاء رعايا أجانب بينما سُمع دوي إطلاق نار متقطع وضربات جوية في أنحاء من الخرطوم رغم تعهدات طرفي الصراع في السودان بوقف إطلاق النار لمدة ثلاثة أيام.

وقال بيان للقيادة العامة للقوات المسلحة إن البرهان وافق على تقديم المساعدة اللازمة لتأمين عمليات إجلاء الرعايا والبعثات الدبلوماسية لمختلف الدول، وذلك بعد إعلان حميدتي استعداد قوات الدعم السريع فتح جميع مطارات السودان أمام حركة الملاحة جزئيا لتمكين «الدول الشقيقة والصديقة التي تود إجلاء رعاياها من مغادرة البلاد بسلام».

واستمر دوي القتال خلال الليل لكنه بدا أقل حدة صباح السبت مقارنة بيوم الجمعة. وأظهر البث المباشر لقنوات إخبارية عربية تصاعد الدخان ودوي انفجارات.

ولم تبرز أي مؤشرات حتى الآن على أن أيا من الطرفين يستطيع تحقيق نصر سريع أو أنه مستعد للتراجع وإجراء حوار. ويملك الجيش قوات جوية لكن تنتشر قوات الدعم السريع بشكل كبير في المناطق الحضرية بما في ذلك المناطق المحيطة بالمنشآت الرئيسية في وسط الخرطوم.

واستغاث أشخاص على وسائل التواصل الاجتماعي طلبا للمساعدة الطبية والنقل للمستشفيات والأدوية الموصوفة طبيا.

ومن شأن أي هدوء في القتال أن يسرع وتيرة تسارع سكان الخرطوم اليائسين على الفرار إلى خارج العاصمة بعدما قضوا أياما في منازلهم أو أحيائهم تحت تهديد القصف وتحركات المقاتلين في الشوارع.

وتتذر الأعمال القتالية بتأجيج التوتر الإقليمي.

جنرالات السودان: ظاهر حفتر وباطن «فاغنر»

صبحي حديدي

في عداد الألغاز القليلة، أو النادرة، التي تكتنف صراع عسكر السودان على السلطة، بعد انهيار عقود المصالح بين الجنرالَين عبد الفتاح البرهان ومحمد حمدان دقلو؛ ذلك الذي يتساءل عن الموقع الراهن لمرتزقة «فاغنر» الروسية، وما إذا كانت قد اختارت الاصطفاف إلى جانب هذا أو ذاك، بما ينطوي عليه الانحياز من غمزة مصادقة آتية من الكرملين.

معروفة، على سبيل المثال المقارن، نوعية الأسلحة التي واظب على إرسالها إلى «قوات الدعم السريع» جنرال ثالث ليبي هذه المرّة، الانقلابي خليفة حفتر؛ ليس من باب ردّ الجميل لفضائل سابقة بادر إليها حميدتي وخدمت حملات حفتر، فحسب؛ بل كذلك لأنّ جغرافية الصراعات وراهنها ومستقبلها، وكذلك طبائع تحالفات حميدتي الإقليمية والدولية، تستوجب إغاثة الجنرال السوداني الحليف.

معروفة، أيضاً، أنواع الأسلحة (صربية الصنع، بصفة خاصة) التي قدّمتها أبو ظبي إلى حميدتي وكشفت النقاب عنها أجهزة البرهان خلال قتال الأيام الأخيرة فقط؛ بعد أن سكتت عنها دهراً، مثلما تواطأت على تمويه شحناتها المتعاقبة. وبصرف النظر عن مقادير الاختلال في التقاسم الإماراتي – السعودي بصدد تدجين الجنرالَين حميدتي والبرهان، فإنّ محمد بن زايد ذهب بعيداً في المراهنة على «قوات الدعم السريع»؛ وقد ينحصر عزاؤه اليوم في ما يردده حميدتي من مزاعم ركيكة حول قيادة البرهان لـ«عصابة إسلامية متشددة».

يبقى لغز «فاغنر» قائماً، حتى إشعار قريب أغلب الظنّ، اتكاءً على قاعدة ذهبية قديمة تقول بأنّ ولاء المرتزقة ينتهي دائماً عند حامل دفتر الشيكات؛ وبالتالي فإنّ يفغيني بريغوجين، طبّاخ بوتين السابق ومؤسس وقائد ميليشيات «فاغنر»، قد ينتظر سكوت المدافع، أو اتضاح موازين النصر أو الهزيمة لأيّ من الجنرالَين، قبل الانخراط في صفوف هذا أو ذاك، جهاراً نهاراً هذه المرّة.

ذلك لأنّ معادلات بريغوجين في السودان تتجاوز الارتزاق المعتاد وتحصيل غنائم الحرب، إلى خريطة «بزنس» واسعة النطاق من حيث الاستثمارات، تشمل بصفة خاصة مناجم الذهب التي تتولى ميليشيات حميدتي بسط السيطرة عليها وحمايتها، ثمّ تهريب المنتجات خارج السودان؛ فصلاً عن مكامن اليورانيوم والمنغنيز والسيليكون وسواها. ومنذ عام 2017 حصلت شركة M Invest وفرعها Meroe Gold، وكلاهما ملكية بريغوجين، على حقوق التنقيب عن الذهب في السودان، وذلك بالتعاون مع شركة «أسوار» السودانية (الخاضعة للمخابرات العسكرية السودانية، حسب تقارير متقاطعة).

غير أنّ وضعية الانتظار لم تمنع بريغوجين (وخلفه مافيات روسيا، وإذن سيّد الكرملين) من تزويد «قوات الدعم السريع» بصواريخ أرض – جو حاسمة لكسر تفوّق جوّي يتمتع به جيش البرهان؛ كما لم تحرمه، قبل اندلاع القتال، من تقديم خدمات مباشرة إلى أجهزة البرهان، بينها التشويش الإلكتروني على مواقع القوى الوطنية المدنية في السودان وخارجه.

وكان موقع «مشروع الإبلاغ عن الفساد والجريمة المنظمة»، بالتعاون مع صحيفة «لوموند» الفرنسية، قد نشر سلسلة من الوثائق المسرّبة التي تتضمن مراسلات ومذكرات وعقوداً واتفاقيات؛ كشفت ملايين الدولارات التي سددتها شركة بريغوجين لأجهزة الجيش السوداني، في عهد عمر حسن البشير وبعد الإطاحة به أيضاً. وفي إطار احتفاظ جنرالات السودان ببعض العناصر الكبرى التي كانت ناظمة خلال عقود دكتاتورية البشير (على رأسها ميليشيات «الدعم السريع» ذاتها، إلى جانب مختلف تعاقدات الفساد والاستثمار والتنقيب عن الثروات)؛ تعيّن أن يكون الإبقاء على التعاون مع «فاغنر» قاسماً مشتركاً بين البرهان وحميدتي.

وعلى منوال الشراكات السابقة التي نقضتها صراعات الجنرالين، لن يطول الوقت حتى ينجلي الغموض عن لغز «فاغنر»، وبالتالي لن يتأخر بريغوجين في اختيار الصفّ الذي يلائم مصالحه، لدى المنتصر بالطبع؛ إلا إذا أسفر عجيج الحرب عن مصالحة بين الجنرالين، على حساب دماء المئات من أبناء السودان، وإعمال الدمار والخراب، والإجهاز على ما تبقى من خرافة «أخوّة السلاح» في صفوف العسكرتاريا.

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10964 الأحد 23 نيسان (أبريل) 2023 – 3 شوال 1444 هـ

سيناريوهات الحل السياسي للأزمة السودانية ما بعد حرب الجنرالات

عبدالهادي الحاج

أربع سنوات مرت على الإطاحة بنظام الرئيس السوداني المعزول عمر البشير، والبلاد ما تزال تعيش مخاض فترة انتقالية شهدت العديد من المنعطفات الخطرة التي كانت أبرز سماتها الصراع المستفحل بين أطراف الانتقال الذين يمثلهم العسكريون من جانب والقوى السياسية الحزبية من الجانب الآخر. ومنذ إعلان الجنرال عوض ابنعوف الاستيلاء على السلطة في 11 نسيان/ابريل 2019 سعت القوى السياسية الحزبية لإيجاد صيغة تمكنها من وضع أساس دستوري لحكم انتقالي تصل بنهايته البلاد إلى انتخابات عامة تمنح شرعية الحكم لمن يختاره الشعب.

كان التوقيع على الوثيقة الدستورية في آب/اغسطس 2019 والتي أقرّت تقاسم السلطة بين العسكريين والقوى المدنية، أهم محاولات التأسيس لمرحلة انتقالية بتوافق الجميع، لكن سرعان ما انقلب العسكر على شركائهم المدنيين في 25 تشرين الأول/اكتوبر 2021 بالتحالف مع الحركات المسلحة التي دخلت شريكاً ثالثا في السلطة بموجب اتفاق سلام جوبا الذي تم توقيعه في تشرين الأول/اكتوبر الأول 2020.

وعلى مدى أكثر من عام دخلت البلاد في مرحلة جديدة كان أبرز ملامحها الاحتجاجات الشعبية المستمرة الرافضة لخطوة العسكر المتمثلة في الانفراد بالحكم مع حلفائهم من قادة الحركة المسلحة، كما شهدت تلك الفترة موجة استقطاب حادة تسببت في انقسام القوى الحزبية والمدنية إلى قوى تمثل خط التسوية السياسية الراغب في إيجاد صيغة لأساس دستوري ينهي الانقلاب العسكري بالتفاوض مع قادة الجيش والدعم السريع، وتمثل هذه القوى مجموعة المجلس المركزي بتحالف الحرية والتغيير، مقابل تحالف التغيير الجذري الرافض لتكرار تجربة الوثيقة الدستورية والذي يمثله الحزب الشيوعي السوداني وعدد مقدر من لجان المقاومة التي تقود الاحتجاجات في الشارع.

أسفرت الجهود الدولية والإقليمية في دفع العسكريين ومجموعة واسعة من القوى الحزبية للتوقيع على الاتفاق الإطاري مطلع كانون الأول/ديسمبر 2022 والذي كان من المقرر أن يؤسس لواقع سياسي جديد يقود لإكمال مسار الانتقال، رغم معارضته من قوى سياسية أخرى تمثلها مجموعة الكتلة الديمقراطية المنشقة من تحالف قوى الحرية والتغيير، بجانب المعارضة الشرسة من أنصار النظام السابق الذين رأوا فيه تهديداً للمكتسبات التي حققها لهم الانقلاب العسكري في 25 تشرين الأول/اكتوبر 2021.

لكن الاتفاق الإطاري الذي كان من المؤمل أن يكتمل التوقيع عليه منتصف نيسان/ابريل الحالي، تسبب في تفجر خلاف حاد بين قادة الجيش المدعومين من أنصار النظام السابق وقوات الدعم السريع التي بدأت التقارب مع مجموعة المجلس المركزي بتحالف الحرية والتغيير، حيث أدى الخلاف على الجوانب الفنية الخاصة بدمج قوات السريع في الجيش لتفجر صراع مسلح وحرب شرسة مسرحها الأبرز العاصمة الخرطوم، دفعت تلك الحرب كلا من قائد الجيش الجنرال عبدالفتاح البرهان وقائد الدعم السريع الجنرال محمد حمدان دقلو الشهير بـ «حميدتي» بالسعي لتخلص كلاهما من الآخر بقوة السلاح، ووضعت مستقبل الاتفاق الإطاري والعملية السياسية برمتها أمام امتحان عسير.

توقيع الاتفاق الإطاري

الاتفاق الإطاري والحرب

يرى الصحافي والمحلل السياسي خالد التجاني، أن الاتفاق الإطاري كان هو السبب المباشر للحرب التي تدور رحاها الآن، والاتفاق– على حد قوله– جاء بوصفة خلقت تناقضاً بين العسكريين، وكان هذا التناقض سبباً إضافياً للأسباب الموجودة أصلاً منذ عهد الرئيس السابق عمر البشير.

ويوضح التجاني: «كانت هناك اعتراضات من قبل ضباط الجيش على وضعية قوات الدعم السريع، لكنها كانت معركة مؤجلة، ليأتي الاتفاق الإطاري ويجعل هذه المعركة حتمية».

وأشار إلى أن استخدام قوة السلاح من قبل قوات الدعم السريع جاء لتغيير المعادلة السياسية في البلاد، وإن هذا ما دلت عليه الحشود التي تم تجهيزها من قبل قادة هذه القوات.

وحسب ما ذكر التجاني لـ «القدس العربي» فإن الاتفاق الإطاري لم تعد لديه القدرة على الصمود، لأن تصميمه تم على أساس معادلة لم يعد أحد أطرافها موجوداً.

ويضيف: من المؤسف أن ثورة كانون الأول/ديسمبر 2018 ورغم الزخم الكبير الذي صنعته بدأ يتراجع تأثيرها بسبب أخطاء النخب السياسية ذات الأجندة الخارجية، لاسيما أنها جاءت بمشاركة كتلة اجتماعية ضخمة، لكنها فشلت في تحقيق النتائج المرجوة منها مقارنة بثورتي نيسان/ابريل 1985 وتشرين الأول/اكتوبر 1964 وهما اللتان حققتا انتقالا محدودا أعقبته انتخابات عامة شاركت فيها جميع القوى السياسية.

وحسب الصحافي والمحلل السياسي، كان من المؤمل أن تكون التجربة الثالثة وهي تجربة ثورة كانون الأول/ديسمبر 2018 أكثر نضجاً، لكنها للأسف عجزت عن تحقيق مطلوباتها.

كما يرى أن هناك مشكلة في تعريف مفهوم الانتقال، الذي قال إنه يمثل علماً قائماً بذاته وليس مجرد آراء، وأنه حدث خلط بين مفهوم الحراك الثوري والثورة، فالحراك الثوري حسب ما ذكر التجاني يعني إحداث تغيير متدرج داخل النظام القديم، أما الثورة فهي تعني الإطاحة بالنظام القديم برمته.

ويتابع: «ما حدث هو أن الناس قد ذهبت إلى المؤسسة العسكرية التي هي جزء من النظام القديم لإحداث هذا التغيير، وهذا الأمر يعكس تناقضاً في مفهوم الثورة التي تقتلع القديم وتؤسس للجديد».

ويشير التجاني، إلى أن عدم إكمال مسار الإطاحة بالنظام القديم، تم وضعاً عنه التوصل إلى تسوية سياسية مع جنرالات الجيش، وأنه إذا ما تم إكمال المسار على هذا الأساس كان يمكن أن يتم إنجاز تسوية تاريخية، لكن تناقضاً حصل لدى القوى المدنية بقبولها هذه التسوية فيما جاءت أفعالها بمفهوم الثورة.

ويضيف: «جاء الاتفاق الإطاري في وقت كانت تطالب فيه القوى السياسية بإنهاء انقلاب 25 تشرين الأول/اكتوبر 2021 بينما هي تتحالف مع قوات الدعم السريع بجانب السعي للاحتفاظ بالعديد من الامتيازات التي سينتج عنها لعب العسكريين دوراً سياسياً، وتصادف ذلك مع رغبة القوى الدولية والإقليمية بوجود سلطة ما للعسكريين».

أما السيناريو المستقبلي للحل السياسي في السودان وفقاً لما يراه التجاني، فيتمثل في خلق تغيير تام لمفهوم الاتفاق الإطاري الذي كانت تعارضه قوى سياسية أخرى مثل مجموعة الكتلة الديمقراطية وجزء من العسكريين، وأن ذلك يتطلب إيجاد صيغة لمعادلة جديدة على نحو ما تم في نيسان/ابريل 1985 وتشرين الأول/اكتوبر 1964.

المضي قدما

لكن من ناحية أخرى يرى أستاذ العلوم السياسية بالجامعات السودانية صلاح الدومة، أن الفرصة ما تزال موجودة للمضي في الاتفاق الإطاري، ويؤكد إن ذلك سيجد قوة دفع من مجموعة الآلية الثلاثية، وهي فريق الوساطة الذي يضم الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي ومجموعة دول الإيقاد، إضافة إلى الآلية الرباعية، وهي مجموعة وساطة غير رسمية تضم الولايات المتحدة وبريطانيا والمملكة العربية السعودية والإمارات، ويشير إلى أن الرغبة القوية لدى هذه الأطراف في العودة لمسار الانتقال ستدفع في اتجاه العودة للاتفاق الإطاري.

ويقول الدومة لـ «القدس العربي» إنه سينتج عن توقيع اتفاق نهائي تشكيل حكومة مدنية رغم معارضة أنصار النظام السابق والدولة العميقة الذين يرى أنهم كانوا سبباً في إشعال الحرب بين الجيش وقوات الدعم السريع.

ويضيف: كان في اعتقاد أنصار النظام السابق أنهم بإشعال هذه «الفتنة» بين العسكريين سيخلقون تعاطفاً شعبياً مع الجيش، لكن حدث العكس، وأصبح الشارع يحملهم ما آلت إليه الأوضاع الأمنية والمعيشية من تدهور.

ويوضح أستاذ العلوم السياسية أن التجمع الدولي بدوره يتطلع إلى خلق استقرار سياسي في السودان، لأن ذلك هو ما يحقق لهم مصالحهم التي يعلمون أنها سوف تتضرر بعودة أنصار النظام السابق، لذلك سيدفعون بقوة ليتم هذا الاستقرار من خلال الاتفاق الإطاري الذي بذلوا فيه جهداً كبيراً على حد قوله.

ويشير الدومة إلى أن العسكريين باتوا ينقسمون إلى معسكرين هما معسكر «الحمائم» والذي أشار إلى أنه يمثله قائد الجيش الجنرال عبد الفتاح البرهان، ومعسكر «الصقور» والذي يمثله عضو مجلس السيادة الجنرال شمس الدين الكباشي، ويدعمه أنصار النظام السابق بقيادة علي كرتي وأسامة عبدالله، وهؤلاء – حسب ما ذكر– هم الذين تسببوا في إشعال الحرب بمهاجمة معسكر قوات الدعم السريع من دون علم الجنرال البرهان، حتى يضعوه أمام الأمر الواقع وقد كان ذلك.

سيناريوهات متوقعة

بدوره يشير أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة قطر، والعميد المشارك للعلوم الإنسانية والاجتماعية بكلية الآداب والعلوم أحمد إبراهيم أبوشوك، إلى عدة سيناريوهات توقع حدوثها عقب هذه الحرب التي أشار إلى أنها تحركها المصالح الحزبية والذاتية.

وحسب ما أوضح أبوشوك في مقال له بعنوان: «هل الاتفاق الإطاري هو القشة التي قصمت ظهر البعير؟» يتمثل السيناريو الأول في إضعاف قوات الدعم السريع والتخلص من قياداتها العليا، ثم دمجها ودمج قوات الحركات المسلحة الأخرى في جيش واحد، وتشكيل حكومة أمر واقع تحت إشراف القوات المسلحة، بمهام محدودة تتمثل في إصلاح ما دمرته الحرب وتجهيز الساحة السياسية والدعوة إلى إجراء انتخابات عامة لكسب المساندة الخارجية، دون اهتمام كبير بما تفرزه مثل هذه الانتخابات.

ويرى أن هذه الخطوة ربما تدفع قوى ثورة كانون الأول/ديسمبر إلى إعادة ترتيب تحالفاتها السابقة مرة أخرى ومواصلة النضال ضد الحكومة التي يفرزها هذا السيناريو.

ويتجسد السيناريو الثاني حسب أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، في كسر شوكة قوات الدعم السريع وإعادة النظر في الاتفاق الإطاري وتوسيع دائرة المشاركة لصوغ الاتفاق السياسي الذي سينتج عنه، ثم تشكيل حكومة توافقية من المناصرين للقوات المسلحة والاتفاق الإطاري، تُحصر مهامها في إجراء الانتخابات العامة.

ويتوقع أبوشوك أن السيناريو الثاني سيواجه معارضة من دعاة التحول الديمقراطي والتغيير الجذري، وأن تحقيق أي من السيناريوين سيعتمد في الأساس على قوة دفع التفوق العسكري، الذي ستحرزه القوات المسلحة على قوات الدعم السريع.

أما السيناريو الأخير فيرى أنه يتمثل في إيقاف الحرب فوراً، والدخول في تفاوض بين طرفي الصراع، لأن استمرار العملية السياسية في ظل تفاوض مثل هذا ربما يقتضي أبعاد الفريقين المتشاكسين (البرهان وحميدتي) من المعادلة السياسية، وإفساح المجال لانقلاب عسكري مبطن لصلحة أنصار النظام القديم، الذين أداروا هذه المعركة بالريموت كونترول على حد وصفه.

Volume 34 - Issue 10964 Sunday 23 April 2023

رصاصة أولى «مجهولة» تطلق المواجهة المؤجلة بين الجيش السوداني والدعم السريع

عمر الفاروق

كان إطلاق رصاصة أولى «مجهولة» في العاصمة السودانية الخرطوم صباح السبت الخامس عشر من نيسان/أبريل والتي أشعلت حرباً تدخل الأحد يومها التاسع في البلد الذي عاش طوال تاريخه الحديث داخل دورات دموية من الحروب الأهلية والتمردات المسلحة، تتويجاً لتوترات مركبة بين الجيش وقوات الدعم السريع من ناحية، وبين قائديه عبد الفتاح البرهان ومحمد حمدان دقلو «حميدتي» من ناحية أخرى.

على غير عادة الحروب الأهلية المتطاولة في البلاد، مثلت الخرطوم مسرحاً لها، كان هذا الأمر شديد الوقع على حوالي 10 ملايين شخص يقطنون في العاصمة المكونة من ثلاث مدن يعيش فيها جميع السودانيين، باختلاف انتماءاتهم.

ومع ذلك، ورغم ارتفاع حدة التوترات العسكرية والأمنية والسياسية في الأسابيع والأيام الأخيرة التي سبقت اندلاع الحرب، بما في ذلك الخلافات السياسية وحشد القوات العسكرية من الطرفين، كان اندلاع الحرب في الخرطوم في قلب المقار الاستراتيجية للدولة التي ظلت محصنة تاريخياً، مفاجئاً وصادماً للملايين من سكان العاصمة الذين كان يعمل معظمهم على تأمين حاجيات العيد، في خضم غلاء طاحن وظروف اقتصادية بالغة التدهور، لكنهم مع اندلاع شرارة الحرب، أصبحوا يبحثون عن ملاذ آمن يقيهم الموت.

مطار الخرطوم الدولي

نعم، لم يستبعد أولئك اللصيقون بديناميات الصراع المركب في السودان، وبناء على المعطيات الماثلة، نشوب حرب بين الجيش والدعم السريع، لكنهم مع ذلك قبضوا على أمل متخيل بداخلهم قد يحول دون ساعة صفر لحرب جديدة، كانت رجاءاتهم مبنية على حراك دبلوماسي كبير واجتماع مزمع يوم اندلاع الحرب نفسها بين القائدين المتنافسين على السلطة، لكن شرارة الحرب كانت أقوى.

منذ إطاحة الرئيس المخلوع عمر البشير، عام 2019 في أعقاب ثورة شعبية واستيلاء الجيش على السلطة بمساعدة الدعم السريع، كان يتحدث مراقبون عن معركة حتمية بين الطرفين، عززها على مدى السنوات الأربع الماضية، سباق حميدتي مع الزمن في جعل قوات الدعم السريع جيشاً موازياً لجيش البلاد التاريخي، وهو ما أثار حفيظة قادة الجيش بشكل كبير وصل لتحفظهم إلى ذروته من خلال محاولة انقلابية قادها سلاح المدرعات في 21 أيلول/سبتمبر عام 2021 سرعان ما قدم قادتها إلى محاكمة عسكرية كشفت بشكل جلي عداوتهم المستحكمة مع قوات الدعم السريع.

عقود تسليح

مثلت علاقات «حميدتي» الخارجية والعسكرية والأمنية المستقلة عن الدولة، وانخراطه في عقود تسليح لقواته وتقويتها، وتنامي نفوذه السياسي والاستقلال بإمبراطورية اقتصادية هائلة من خلال سيطرته على قطاع الذهب، أسباب اشتعال فتيل الأزمة الرئيسي والذي انفجر في الخامس عشر من نيسان/ابريل الجاري.

ومن بين الأسباب القوية لاندلاع الحرب فيما يبدو أيضاً، تلك الموارد المالية الضخمة والإمبراطورية الاقتصادية الهائلة التي تمكن حميدتي من تشييدها على مدى سنوات معدودة، التي تقوم على الذهب والتي أثارت مخاوف الجيش وحتى الولايات المتحدة الأمريكية، خصوصاً أنها ارتبطت بين القائدين المتنافسين على دولة داخل الدولة من ناحية أخرى.

وبينما كان يطالب المحتجون السلميون في الشوارع، طيلة السنوات الأربع الماضية، حتى في أعقاب انقلاب 25 تشرين الأول/اكتوبر 2021 بحل قوات الدعم السريع وعودة الجيش إلى ثكناته، لإفساح المجال لنشوء حكم مدني غاب عن البلاد لعقود، بالتزامن مع تحذير القوى السياسية والمنخرطين في العمل السياسي، بخطورة تنامي دور الدعم السريع على حساب الجيش، كان قادة الأخير خصوصاً البرهان، يبثون التطمينات كون الدعم السريع هو جزء من الجيش ويعمل تحت إمرته، وكثيراً ما أكد قائد الجيش، أن من ينتظرون صداماً بين الجيش والدعم سريعاً سينتظرون طويلاً، فيما معناه سينتظرون إلى الأبد.

لكنه، اليوم، أي الجيش وقادته، كأنما يتحدثون بلسان المتظاهرين السلميين الذين قتل المئات منهم برصاص القوات الأمنية خلال احتجاجات سلمية وهم ينادون بالحكم المدني وتوحيد الجيش، في خطابهم ضد الدعم السريع، بعد اندلاع الحرب.

لم ينتظر البرهان كثيراً بعد اندلاع الحرب، حتى سارع بحل الدعم السريع، وإعلانه قوات متمردة وصار يطلق عليها اسم الميليشيا وهو اللقب الذي طالما جر العديدين إلى المحاكم عندما كان شهر العسل بين الطرفين في أوجه.

في خضم تلك الفترة ساد اعتقاد سياسي أن البرهان وحميدتي مصيرهما واحد، وكانت الحجة في ذلك، أنهما يحتميان ببعضهما البعض مخافة الجيش والشعب، لكن الاعتقاد بدأ يتبخر في أوساط المراقبين في أعقاب انقلاب 25 تشرين الأول/اكتوبر 2021 والذي كشف على مدى 18 شهراً من عمره، حتى لحظة انفجار المواجهات المسلحة، بأن لا رابط عضوياً يجمع الجيش والدعم السريع. كما أن تلك الفترة مثلت حدة التنافس السياسي على الانفراد بالسلطة، وانفجار تضارب المصالح، واتساع الفجوة في ظل تحالفات داخلية وخارجية بدأ يصطف فيها كل طرف.

مبادرات سياسية

وبينما ذهب حميدتي إلى إقليم دارفور في حزيران/يونيو 2022 فيما بدا أنها حالة غضب من رئيسه في المجلس السيادي البرهان، أصدر الأخير قراراً في الخرطوم قضى بخروجه من العملية السياسية وتشكيل مجلس أعلى للقوات المسلحة، قال حميدتي إن البرهان لم يستشره في القرار.

من دارفور بدأ حميدتي يتحدث عن فشل انقلاب 25 تشرين الأول/أكتوبر وما إلى ذلك، ليعود إلى الخرطوم وينخرط في مبادرات سياسية لعلها تعيد تموضعه في المشهد السياسي والعسكري في البلاد، ومع وصول جميع الأطراف – محل الصراع، بمساعدة الآلية الثلاثية المكونة من الاتحاد الأفريقي، إيقاد والأمم المتحدة ودول الرباعية إلى توقيع اتفاق إطاري في الخامس من كانون الأول/ديسمبر الماضي، كان ذلك الاتفاق نذراً للحرب على عكس المأمول منه.

بعدها أصبحت المعركة بين الطرفين مطروحة في العلن، حيث كان الاتفاق الإطاري نفسه حجةً لظهورها إلى العلن، إذ شدد كبار قادة الجيش في المجلس السيادي، على أنهم لن يمضوا في ذلك الاتفاق بشكله الحالي، مشترطين لتنفيذه دمج الدعم السريع أولاً، في المقابل تحدى قادة الدعم السريع الجيش مشددين على أنهم سيحمون الاتفاق.

عند هذه النقطة، في الأشهر الأربعة الماضية، لم يكن ما يوحي بأن هناك مجلسا سياديا، حيث انخرط الجميع في معارك كلامية وجولات خارجية تركزت في دولة الإمارات، ثم تلا ذلك ما بدأ أنه طبول الحرب تسمع على وقع استقدام الحشود العسكرية إلى عاصمة البلاد، أكدها هجوم صحافي قوي من شقيق حميدتي ونائبه في قوات الدعم السريع، عبد الرحيم دقلو على البرهان، لكن تمركز قوات الدعم السريع يوم الأربعاء، 12 نيسان/ابريل في قاعدة مروي الجوية وإصدار الجيش بيانا شديد اللهجة، كان بمثابة إعلان الحرب، وبالفعل بعد ثلاثة أيام كانت أمراً واقعاً.

بالنسبة للجيش السوداني الذي تشكلت نواته الأولى في التاريخ الحديث في عام 1925 وتمت سودنته في عام 1955 قبل عام من الاستقلال، لطالما استعان بقوات شبه عسكرية في حقب الحروب الأهلية التي تفجرت ما قبل الاستقلال وحتى الآن، يستعد للاحتفال بمرور 100 عام على تأسيسه، فيما أنشئ الدعم بشكل رسمي في عام 2017 والتي في الأصل أنشأها الجيش خلال الحرب في إقليم دارفور، حيث تمكن من سحق التمرد ما ضمن لها ذلك الصعود المتواتر ما قبل اندلاع الحرب الأخيرة.

ورغم تلقي قوات الدعم السريع تدريبات عسكرية احترافية ودرجة ما من التنوع الإثني في السنوات الأخيرة، إلا أنها ظلت محافظة على طابع قيادتها العائلي وهو الأمر الذي لم يكن يحظى بأي درجة من القبول في أوساط السودانيين.

ومع ذلك، مع دخول الحرب يومها التاسع، الأحد، وسط هدنات يتم خرقها مراراً وتكراراً، في خضم المواجهات الدامية التي خلفت مئات القتلى وآلاف الجرحى حتى الآن، ودمرت البنية التحتية المتهالكة في الأساس، يبدو واضحاً أن الجيش يبني استراتيجيته على حسم الدعم السريع على الأرض بأسرع وقت ممكن، مقابل استراتيجية الدعم السريع القائمة على إطالة أمد الحرب، للخروج بمكاسب تكاد تكون منعدمة. في استراتيجيته الخاطئة للحرب، يحاول الجيش تجنب شبح التدخل الدولي بأشكاله كافة، فيما تراهن قوات الدعم السريع من خلال استراتيجيتها في إطالة أمد الحرب إلى جلب التدخل، والذي يبدو أنه سيحسم أمره في ميادين المعركة، إذا ما حقق الجيش نصراً حاسماً، أو تمكن الدعم السريع من تأخير مثل هكذا انتصار.

السودان: الجنرالات والمتاهة

سيد أحمد بلال

لا تعتبر الأحداث الأخيرة التي وقعت في السودان جديدة أو فريدة من نوعها، لكن ربما تختلف قليلا عن مثيلاتها من حيث الحجم، فقد سبقتها حالات مشابهة في 22 تموز/يوليو 1971 إبان فشل انقلاب الرائد هاشم العطا، وفي 2 تموز/يوليو 1976 عند فشل محاولة غزو مجموعة مسلحة من المعارضة السودانية للخرطوم من ليبيا كانت تهدف للإطاحة بالسلطة بقيادة محمد نور سعد.

كما أن خلق أجواء حزنٍ ومأتم مع حلول عيد الفطر المبارك لا يعتبر أمراً جديداً، فقد أعدم نظام البشير عام 1990، 24 ضابطا من دون محاكمات علنيّة، ويقال انهم دفنوا أحياء، وعرفوا باسم «شهداء رمضان» وفي 3 حزيران/يونيو 2019 ارتكب نظام البشير جريمة فض الاعتصام رغم تطميناته للمعتصمين بانه لن يفض الاعتصام. وقد صحبت فض الاعتصام اعتداءات وعمليات قتل واغتصاب وإلقاء جثث في النيل.

خلفيّة

بدأ صعود نجم الجنرالين من دارفور حيث كان أحدهما (البرهان) قائدا عسكريا على رأس حملة للقضاء على حركات الكفاح المسلح الدارفوريّة شنّها نظام البشير واستقطب لها ميليشيا قبلية هي ميليشيا الجنجويد والتي تكونت من قطاع طرق. ومع انها وجدت تقنينا لها عام 2017 حينما اجيز قانون يضفي عليها الصفة العسكرية الرسمية تحت الإدارة المباشرة للقائد العام، إلا أنها كانت منذ عام 2013 ميليشيا قبليّة ينحدر أفرادها من القبائل العربيّة الدارفوريّة وتوظيفها كي تقوم بمهمة قمع حركات الكفاح المسلّح الدارفوريّة، وكانت متهمة هناك بالقيام بمذابح. وقد تمتع حميدتي قبل ذلك بسيطرته على مناجم الذهب في منطقة جبل عامر، وعندما انفجرت ثورة كانون الأول/ديسمبر 2019 تحالف البرهان وحميدتي بوصفهما يمثلان الكيان العسكري الأقل حمولة ايديولوجيّة ضمن تركيبة السلطة التي استندت إلى الوثيقة الدستوريّة بعد ان صار حميدتي فريقا دون مؤهلات عسكرية سابقة، كما حصل أخوه عبد الرحيم أيضا على رتبة لواء.

لم يلتق الجنرالان في سياق معارك دفاع وطنيّ وانما التقيا في سياق قمع واخضاع حركات سياسية مسلحة، وكانت قوات حميدتي تستند إلى أساس عرقي. وأسهم الجنرالان بقواتهما في مجزرة فض الاعتصام وواصلا تحالفهما معا بالثورة وكسبا رهانهما الأول بان كانت لهما كمعسكرين قيادة النصف الأول من الفترة الانتقالية (حسب الوثيقة الدستوريّة) وحينما جاء أوان ان تؤول سلطة مجلس السيادة للمكون المدني قاما بتنفيذ انقلاب 25 تشرين الأول/اكتوبر 2021 وأقدما على وضع زملائهما السابقين في السجن لكنهما استبقا ذلك بان أوفد البرهان حليفه حميدتي للتوقيع على اتفاق جوبا مع حركتي تحرير السودان بقيادة مني اركو ميناوي وحركة العدل والمساواة بقيادة جبريل ابراهيم، ليموضع نفسه بين قوى تحالف الحرية والتغيير وقوى اتفاق جوبا، وأعلن ان نصوص اتفاق جوبا تعلو على نصوص الوثيقة الدستورية التي تحكم الفترة الانتقاليّة.

الامتداد الطبيعي والأفق المغلق

كان الجنرالان يمثلان امتدادا طبيعيا لنظام البشير. ففي مقابلة مع صحافية مصرية في أول عهده قال البشير يصف أسلوب عمله «أنا جندي مشاه أجيد التمويه» إذ يبدو انه يتباهى بنصب شباك الخديعة للشعب ولحلفائه. وهكذا، خطط ونفذ خديعة «الذهاب إلى كرسي السلطة حاكما وان يذهب قائده حسن الترابي إلى السجن رئيسا».

عموما يبدو أن مسيرة الجنرالين معا قد وصلت محطتها الأخيرة، كما يبدو انهما ينتميان إلى مدرستين مختلفتين تنتمي إحداهما للعنف العاري والميليشاوي «حميدتي» بينما تنتمي الأخرى للعنف المبطن «البرهان» لكنهما يشتركان في قبول كلما يسهل عملهما، فقد قبلا دون أي تردد بند تطبيع العلاقات مع إسرائيل بوصفه من التسهيلات. كما قبلا المساهمة في حرب اليمن كتوسيع لنفوذهما المالي والسياسي. وصارا، بين عشيّة وضحاها، يجلسان مع كبار القادة السياسيين في المنطقة. ولم يتردد حميدتي من الذهاب للكرملين لمقابلة بوتين غير آبه بتفسير موقفه على ضوء الحرب في أوكرانيا.

تقييم من الخارج

ويورد مقال للمبعوث الأمريكي السابق للقرن الأفريقي نشرته صحيفة «واشنطن بوست» جيفري فيلتمان أن «من المحزن أن ينتشر العنف الذي اندلع في 15 نيسان/ابريل الجاري بين أقوى اثنين من جنرالات السودان وقواتهما» مشيرا إلى أن «زواج المصلحة انهار بين أميري الحرب».

وأضاف فيلتمان «سعى الإثنان إلى التهرب من المساءلة عن الجرائم التي تعود إلى الإبادة الجماعيّة في دارفور والمذبحة الأخرى التي راح ضحيتها أكثر من 120 متظاهرا غير مسلح في حزيران/يونيو 2019 وفوق كل شيء اسند ترتيبهم على الفهم المشترك بأن الجيش السوداني لن يخضع أبداً للمساءلة المدنيّة. وكان حميدتي على وجه الخصوص يثري نفسه، بما في ذلك من خلال مشاريع التعدين مع الروس».

مناشدات دوليّة

عدم إكتراث حميدتي لأيّ مسؤوليّة تجاه ممارسات ميليشياه تمثل حالة مستمرة، فهو لا يحفل كثيراً بآثار ممارساته، ويمكن النظر إلى ذلك من خلال مشاهدة الفيديو الذي يظهر سلوك عناصر ميليشياته مع الأسرى المصريين. ويمكن ان يبرز أيضاً سلوك تلك الميليشيا في مجال مكافحة الهجرة.

ومع ذلك يستمر العشم عند الكثيرين في الجنرالين، على المستوى الخارجي، ان يتوصلا لهدنة أو فتح مسارات آمنة للعلاج أو للتزود بالغذاء أو للابتعاد من مناطق الخطر. ففي وقت سابق من يوم الخميس صرح ستيفان دوجاريك المتحدث الرسمي باسم الأمم المتحدة أن الأمين العام زاره في وقت سابق (اليوم) كل من الرئيس الكيني ورئيس مفوضية الاتحاد الأفريقي وسيد فكي محمد حول التطورات الأخيرة في السودان وسيستمر (اليوم) في بذل مساعيه في هذا الشأن. وعلى صعيد آخر نشرت وكالة الأنباء السعودية بيانا مشتركا للرباعية الدوليّة (المملكة العربية السعوديّة والإمارات والولايات المتحدة والمملكة المتحدة) جاء فيه ما يلي: «دعا سفراء دول الرباعية الدولية طرفي النزاع في جمهوريّة السودان إلى وقف إطلاق النار والعودة إلى الحوار والالتزام بحماية المدنيين والبعثات الدبلوماسية والعاملين في المجال الإنساني وتوفير الممرات الآمنة للعمليات الإنسانية».

القدماء يطلون برؤوسهم

أظهرت بعض الفيديوهات بعض ملامح عودة النظام القديم إلى الحياة مجدداً حيث ظهر محمد طاهر إيلا وانس عمر يهددان بالحشد ما دفع كثير من الناشطين إلى تصور ان ما يحدث هو انقلاب من عناصر النظام القديم، لكن الذي لا شك فيه ان البرهان ورهطه (كباشي وياسر العطا وغيرهم) قدموا ويقدمون ما يساهم في توسيع حراكهم ولو تطلب الأمرعودتهم إلى حاضنتهم السابقة.

المفاجأة الشعبية

من الظواهر البديعة التي عمت الفضاء السياسي السوداني روح التطوّع العالية التي تمددت وسط السودانيين فتعالت صيحات مناهضة الحرب وروح التبرع بكل شيء داخل السودان وخارجه حيث أثبت الشعب ان روحه المناضلة لا يستهان بها وأن موقف مناهضة الحرب ليس لغظيا بل عميقا وعاتيا، وهذا يعبر عن نفسه في حملات التبرع وتوفير المعلومات التي تمكن الناس من ان يعيشوا حياتهم، وهي الحملات التي انتشرت في كل وسائط التواصل الاجتماعي على مستوى الأسرة والحي والقرية والدفعة الدراسيّة، وتجلت عند الأطباء وغيرهم من المهنيين وكل من يستطيعون المساهمة في تخفيف وطأة الحرب.

السودان: تصاعد حرب الشوارع في ظل أوضاع إنسانية كارثية

محمد الأقرع

على الرغم من دعوات التهدئة، تصاعدت الجمعة، في أول أيام عيد الفطر، المعارك الشرسة بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع في شوارع العاصمة السودانية الخرطوم، ومدن أخرى.

وبينما تمضي الحرب بين رئيس المجلس السيادي السوداني، القائد العام للجيش عبد الفتاح البرهان ونائبه محمد حمدان دقلو، نحو أسبوعها الثاني، تتفاقم على نحو كارثي، الأوضاع الإنسانية في البلاد، التي كانت تشهد بالأساس أزمات حادة سياسية وأمنية واقتصادية.

«طلعات جوية، أسلحة ثقيلة ورصاص كثيف، يبدو أنها لا تنتهي أبدا، مئات القتلى والمصابين، والآلاف من النازحين، تهدمت العديد من المنازل بينما تفوح من شوارع الخرطوم، رائحة الموت، وتتناثر الجثث على الطرقات، هكذا قضينا أسبوعا داميا من الحرب بين البرهان وحميدتي، ربما تحيل البلاد إلى خراب» هذا ما قاله المواطن زكريا سعيد 50 عاما الذي تحدث لـ«القدس العربي» من حي جبرة، جنوب العاصمة الخرطوم والذي شهد خلال الساعات الماضية اشتداد الاشتباكات بين العسكر داخل الأحياء والتي تعاظمت معها حالة الهلع السائدة بالأساس بين المواطنين.

أما زينب علي 46 عاما، العالقة مع عائلتها شرق الخرطوم، قالت لـ«القدس العربي» عبر الهاتف، أنهم مع ارتفاع وتيرة الحرب قرروا الفرار إلى ولاية الجزيرة التي تبعد نحو 190 كيلو مترا عن الخرطوم، بعد تطمينات تلقوها من الذين سبقوهم، إلا أنهم فوجئوا بمقتل جارهم في المنطقة، عندما كان يحاول إخراج أسرته إلى مكان أكثر أمنا، مضيفة: «علمنا بعدها بساعات أن الطريق إلى الجزيرة لم يعد آمنا ويشهد معارك عنيفة بين الجيش والدعم السريع. نحن ما نزال عالقون في منازلنا، يقتلنا الرعب».

وفي خضم ذلك يتبادل البرهان وحميدتي الاتهامات، بمحاولة الانقلاب على الحكم والاستيلاء على السلطة، ويزعم كل منهما أنه يحارب من أجل الديمقراطية ومنع عودة الإسلاميين للحكم.

والعاصمة الخرطوم التي كانت آمنة إلى حد كبير، طوال سنوات اقتتال وتمردات سابقة في البلاد، تحولت خلال الأسبوع الماضي إلى مدينة أشباح بعد أن أصبحت أحياؤها ميادين حرب.

وفي صباح اليوم الأول للعيد، تعالى دوي المدافع والأسلحة الثقيلة مخالطا تكبيرات العيد المرفوعة في مآذن المساجد.

وعلى الرغم من محاولة المواطنين إقامة صلاة العيد في بعض الأحياء، إلا أن العيد غاب أيضا عن السودانيين هذا العام، بالتزامن مع الذكرى الرابعة لمجزرة القيادة العامة، والتي فض خلالها المجلس العسكري– الذي كان يضم وقتها الجيش والدعم السريع– اعتصام المدنيين أمام مقر القيادة العامة للجيش والذي راح ضحيته مئات القتلى والجرحى.

ووفق منظمة الصحة العالمية، قتل أكثر من 400 مدني وأصيب نحو 4000 آخرين. يأتي ذلك في ظل خروج معظم مستشفيات العاصمة عن الخدمة بسبب قربها من مناطق الاشتباك أو قصفها أو لنقص المعدات والأدوية.

وأوضحت نقابة الأطباء السودانيين في آخر رصد لها، أن 70 في المئة من المستشفيات المتاخمة لمناطق الاشتباك متوقفة عن الخدمة، من أصل 78 مستشفى أساسية بالخرطوم والولايات يوجد 55 مستشفى لا يعمل. في حين تعرضت 5 عربات إسعاف للاعتداء من قبل القوات العسكرية وغيرها لم يسمح لهم بالمرور ونقل المرضى وإيصال المعينات.

دمار وجثث محترقة

حركة محدودة في شوارع الخرطوم، يمكن أن تكشف حجم الدمار الذي خلفته الحرب في أسبوع، وعدد الجثث المحترقة والملقاة على الطرقات والتي دخلت في أطوار التحلل والتعفن من دون أن تقوم أي جهات رسمية بدفنها.

مؤخراً أطلق شباب الأحياء مبادرة لجمع ودفن جثث العسكريين، وفي هذا السياق قال رد أدم وهو أحد أعضاء المبادرة: «نحن مجموعة من ثوار الأحياء وبعض الخيرين في المناطق التي تشهد اشتباكات، نقوم بجمع مساهمة مالية أو عينية يتم تجميعها في المساجد، بالمقابل يقوم الشباب بتجهيز القبور والدفن».

وأضاف في حديثه لـ«القدس العربي»: «الأيام الماضية تعفنت الجثث في الطرقات وكان لابد من ستّرها، دفنا حتى الآن حوالي 60 جثة تقريباً في الخرطوم مع وضع الشواهد في القبور لمعرفتها لاحقاً».

يشار إلى أن مدير الطب العدلي في ولاية الخرطوم، هشام فقيري، كان قد كشف عن صعوبات في استقبال وتشريح جثامين الاقتتال الدائر متمثلة في ضيق سعة المشرحة الوحيدة التي تعمل الآن وصعوبة الحركة في الوصول إليها واقترح أن تباشر الجهات المعنية بالدفن إكراماً للموتى وحفاظاً عليها حتى تنجلي الأزمة التي بعدها يمكن تتم إجراءات التشريح.

بالموازة، تفاقمت الأوضاع المعيشية، المتداعية بالأساس، في ظل انقطاع خدمات الكهرباء والمياه عن أجزاء واسعة من العاصمة الخرطوم، بعدما تعطلت العديد من محطات التوليد بسبب القصف. فضلا عن إغلاق المحال التجارية والأسواق وفرار أصحابها مع حرب العسكر وأعمال النهب والعصابات التي بدأت تنتشر في شوارع الخرطوم، الأمر الذي أدى إلى اشتداد حالة الهلع بين المواطنين، مع تزايد ندرة السلع وصعوبة الحصول على احتياجاتهم الأساسية.

مدينة نيالا بولاية جنوب دارفور، غرب البلاد، لم تكن أحسن حالاً من الخرطوم، والتي عاش مواطنوها أياما من الرعب المتواصل وأعمال النهب والسلب التي طالت الأسواق والمؤسسات والدواوين الحكومية ولم تسلم منها مقار المنظمات الأممية والشركات ومخازن السلع. كذلك شهدت ولاية شمال دارفور غربي السودان أحداثا مماثلة لكن نجحت حكومة الولاية وبعض القيادات الأهلية في عقد هدنة بين طرفي الصراع.

ووفقا للإعلام المحلي، نجحت تلك المساعي في وقف إطلاق الرصاص داخل المدينة بشكل نهائي بين الجيش وقوات الدعم السريع بالإضافة إلى فتح المسارات الآمنة لعبور المدنيين وتوكيل مهام حماية الأسواق والبنوك والمرافق العامة إلى قوات الشرطة، فيما أوكلت مهام حماية الأحياء الغربية ومقرات البعثات الدبلوماسية والمنظمات الدولية إلى قوات الحركات المسلحة الموقعة على اتفاقية سلام جوبا.

وعاد الهدوء بشكل نسبي إلى مدينة مروي، شمال البلاد والتي شهدت انطلاق الشرارة الأولى للحرب بعد سيطرة الجيش عليها. ذات الأمر حدث في مدينة الأبيض شمال كردفان والتي شهدت هي الأخرى هدوءا حذرا في أعقاب معارك عنيفة بين قوات الجيش والدعم السريع وآخر الأسبوع الماضي، أودت بحياة أكثر من 50 شخصا وفق أعمال الرصد الأولية التي تقوم بها لجان المقاومة هناك.

ودعت الأمم المتحدة ودول غربية وعربية إلى وقف إطلاق النار فوراً وحماية المدنيين العزل وإعلان هدنة لتوفير الممرات الآمنة للعالقين والمصابين وتقديم الدعم الدوائي للمستشفيات، لكن لم تجد تلك الدعوات أي آذان صاغية واستمرت حسب شهود عيان أعمال ترويع الناس والاقتتال وانتهاك القانون الدولي الإنساني والبروتوكولات والأعراف المتبعة في النزاعات المسلحة.

وإلى ذلك، حذر النائب العام السوداني السابق، تاج السر الحبر من الإخلال بالاتفاقات والمواثيق الدولية المتعلقة بحماية المدنيين في أوقات النزاعات، وقال في بيان صحافي: «أوضحت الاستطلاعات والأخبار المتداولة تضرر المنشآت المدنية الحيوية بالنسبة للمواطنين مثل محطات الكهرباء والمياه مما ترتب عليها انعدام مياه الشرب وانقطاع التيار الكهربائي لأيام في كثير من الأحياء السكنية، كذلك تضمنت التقارير الإخبارية تعرض الأحياء للقصف بالأسلحة الثقيلة ومقتل عدد كبير من المدنيين، كما لا توجد أي مسارات آمنة لنقل وإسعاف المصابين إلى القليل من المستشفيات التي في الخدمة».

وقال البيان: «إن طرفي النزاع المسلح يقع عليهما عبء الالتزام باتفاقيات جنيف الأربع وبصفة خاصة الاتفاقية الرابعة والتي تتعلق بحماية المدنيين وعدم قصف المنشآت المدنية».

وأشار إلى أن عدم الالتزام بالمواثيق الدولية يعتبر بموجب القانون الدولي جرائم ضد الإنسانية، مؤكداً بأن الحرب لا تعني سلب المدنيين ونهب ممتلكاتهم كما حدث في مطار الخرطوم السبت قبل الماضي.

وبعد مقتل عدد من موظفي المنظمات الدولية والاعتداء على مقر تابع للاتحاد الأوروبي وإطلاق الرصاص على سيارة دبلوماسية أمريكية، شدد النائب العام السابق على ضرورة التزام الطرفين بعدم التعرض للبعثات الدبلوماسية بل حمايتها، لافتاً إلى أن هذا التعدي من شأنه أن يعيد البلاد إلى الفصل السابع وإنهاء كل الجهود التي بذلت في الخروج منه ومن قائمة الدول الراعية للإرهاب وأنها قد تدخل البلاد في نفق مظلم يصعب الخروج منه.

إدارة بايدن تستعد لفرض عقوبات «متأخرة»

واشنطن ـ «القدس العربي»: رائد صالحة

كشفت الأزمة السودانية عن عدم قدرة الإدارة الأمريكية على فعل أي شيء من شأنه المساعدة في حل الصراع الدموي بين الجنرالات، ومن الواضح أن الولايات المتحدة فقدت نفوذها في السودان بطريقة تأثير الأسى على حد تعبير العديد من الدبلوماسيين الأمريكيين، في حين أشار بعض الخبراء إلى أن «العجز الأمريكي» الحالي ما هو إلا نتيجة لسياسة الرئيس السابق دونالد ترامب، الذي أوكل مهمة «القرن الأفريقي» إلى بعض وكلاء واشنطن في المنطقة، بما في ذلك إسرائيل والإمارات ومصر.

وبطبيعة الحال، حصل بنيامين نتنياهو على ما يريده من جنرالات السودان وهو الاعتراف بإسرائيل، وأراد الرئيس السيسي «نسخة» أصغر من نظامه في الخرطوم، في حين ساهم تدخل الإمارات في البلاد بطريقة ما في خنق فرص خلق مسار سياسي حقيقي نحو دولة ديمقراطية في السودان، وبالنسبة لإدارة الرئيس جو بايدن، لم يكن السودان أبداً أولوية.

وعلى أي حال، تستعد إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن لفرض عقوبات جديدة على أعضاء الفصائل العسكرية المتنافسة في السودان، وفقاً للعديد من المسؤولين الأمريكيين، مع استمرار الصراع على السلطة بين جنرالين متنافسين في صراع واسع النطاق في جميع أنحاء العاصمة الخرطوم في الأيام الأخيرة.

وتهدف حزمة العقوبات، التي لا تزال قيد الصياغة، إلى استهداف أفراد القوات المسلحة السودانية ومنافستها قوات الدعم السريع شبه العسكرية، التي أوقعت الخرطوم في حالة من الفوضى، حيث يتنافس قادة المجموعتين على السيطرة على البلاد، وفقاً لمجلة «فورين بوليسي». إذا تم وضع اللمسات الأخيرة على العقوبات وتنفيذها، فمن الممكن أن ترسل ضربة قوية لقادة القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع الذين جروا بلادهم إلى صراع وأخرجوا الانتقال الذي استمر لسنوات إلى الديمقراطية عن مساره.

وحسب ما ورد، يخشى العديد من المسؤولين الأمريكيين أن تكون حزم العقوبات الجديدة قليلة جدًا ومتأخرة للغاية وسط نقاش أوسع داخل إدارة بايدن حول ما إذا كانت برامج العقوبات ضد منتهكي حقوق الإنسان في أفريقيا خجولة جدًا.

وقال متحدث باسم وزارة الخارجية ردا على ذلك: «بصفة عامة، نحن لا نعاين العقوبات المحتملة، نحن نبحث في المجموعة الكاملة من الخيارات المتاحة لنا، ونعمل مع شركائنا لضمان تنسيق الاستجابة واتساقها حيثما أمكن ذلك.»

وانتقد نشطاء مؤيدون للديمقراطية في السودان ومنظمات حقوقية دولية الولايات المتحدة ودولا غربية أخرى لعدم تنفيذ عقوبات ضد القادة العسكريين في السودان في السنوات الأخيرة بعد مذبحة عام 2019 ضد المتظاهرين المؤيدين للديمقراطية وانقلاب 2021 الذي قلب جهود السودان للانتقال إلى الديمقراطية. وتعكس الانتقادات تلك الموجهة ضد إدارة بايدن لرفضها إصدار أي عقوبات ضد مسؤولي الحكومة الإثيوبية حيث نفذت البلاد فظائع.

واجتمع قادة القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع – عبد الفتاح البرهان ومحمد حمدان دقلو (المعروف باسم حميدتي) على التوالي – للاستيلاء على السلطة في انقلاب في تشرين الأول/أكتوبر 2021 ما أدى إلى عرقلة الجهود المبذولة لتحويل البلاد إلى ديمقراطية بعد سنوات من الحكم الاستبدادي. وكانت الحكومة الانتقالية السابقة بقيادة البرهان، لكن كان من المفترض أن تتنازل عن السلطة للقوى المدنية بحلول عام 2022 قبل الانقلاب.

طاولة المفاوضات

أشارت مجلة «فورين بوليسي» إلى أن واشنطن احتجت بشدة على الانقلاب، ولكن العديد من كبار مسؤولي إدارة بايدن، بمن فيهم مولي في، مبعوث وزارة الخارجية للشؤون الأفريقية، جادلوا ضد فرض عقوبات ضد كبار الشخصيات في القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع، حيث سعت واشنطن لجلب الفصيلين إلى طاولة المفاوضات، وقال العديد من المسؤولين إنهم يحاولون استعادة مسار السودان نحو حكومة يقودها مدنيون.

وأشارت الجهود المبذولة للمشي البطيء في العقوبات ردود فعل عنيفة من بعض المسؤولين داخل الإدارة وكذلك منظمات المجتمع المدني، التي جادلت بأن التزامات واشنطن المعلنة بالتحول الديمقراطي في السودان ستُنظر إليها على أنها خطب جوفاء إذا لم تصدر ردودًا انتقامية على الانقلاب.

وفي إذار/مارس من العام الماضي، أصدرت إدارة بايدن عقوبات ضد قوة الشرطة الاحتياطية المركزية السودانية لدورها في حملة قمع عنيفة ضد المتظاهرين السلميين المؤيدين للديمقراطية، لكن الإدارة لم تفرض عقوبات على القادة العسكريين الذين دبروا الانقلاب.

وقال المسؤولون الذين تحدثوا إلى «فورين بوليسي» إن مسؤولي إدارة بايدن صاغوا أمرًا تنفيذيًا للعقوبات المتعلقة بالسودان بعد فترة وجيزة من الانقلاب في تشرين الأول/أكتوبر 2021 لكن لم يتم الإفراج عنه للطوارئ بشأن السودان، وتحدث وزير الخارجية أنتوني بلينكن بشكل منفصل إلى كل من البرهان وحميدتي في الأيام الأخيرة لمحاولة وقف القتال.

وأطلع كبار مسؤولي إدارة بايدن الكونغرس على الأزمة ورد الولايات المتحدة يوم الأربعاء.

وقالت السفارة الأمريكية في الخرطوم في بيان مشترك صدر يوم الأربعاء مع 12 دولة حليفة أخرى والاتحاد الأوروبي إنه يجب على القادة العسكريين السودانيين الدخول في حوار دون تأخير، وأضافت أن أفعالهم في جميع أنحاء السودان عرّضت عددًا لا يحصى من الأشخاص للخطر وأبطلت دعوة الشعب السوداني المشروعة إلى انتقال ديمقراطي سلمي.

وقال البيان: «إن عدم قدرة العاملين في المجال الإنساني على العمل بأمان يؤثر على الملايين من السودانيين الضعفاء بالفعل، بمن فيهم الآن النازحون بسبب القتال المستمر».

على الفصائل العسكرية المتصارعة في السودان

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10964 الأحد 23 نيسان (أبريل) 2023 – 3 شوال 1444 هـ

سيناريوهات مفتوحة لحرب قد تنتهي بكارثة إنسانية وتقسيم السودان

إبراهيم نوار

بينما تمضي بقوة خطوات بناء السلام في شرق البحر الأحمر اليمن، والبحر المتوسط سوريا، فاجأنا الفريق عبد الفتاح البرهان، والفريق حمدان دقلو «حميدتي» بنقل مواقعهما من مائدة المفاوضات بشأن تطبيق «الاتفاق الإطاري» للعملية السياسية الهادفة لنقل السلطة ديمقراطيا للمدنيين، والقفز إلى ظهور الدبابات والعربات المدرعة وقمرات قيادة الطائرات، ليستيقظ السودانيون صباح 15 نيسان/أبريل الجاري على كابوس مخيف، مع اشتعال القتال بين الجيش وقوات الدعم السريع. هذا التناقض الشديد بين القتال في جنوب غرب البحر الأحمر وعملية بناء السلام في اليمن إلى الشرق، وسوريا في شرق المتوسط، يخبرنا أن قاطرة بناء السلام والديمقراطية تتعرض لتهديد كبير في السودان، قد لا يتم حسمه في أيام أو أسابيع، أو شهور، بل وربما سنوات، إذا ساءت الأمور. السودان الذي تعرض لمأساة انفصال الجنوب بعد حرب استمرت عقودا، يجد نفسه الآن في نفق مظلم، قد يبدو فيه بصيص من النور، إذا تم الالتزام بوقف إطلاق النار، الذي تكرر خرقه من الطرفين.

المشهد على المسرح

عدوا اليوم، البرهان وحميدتي، هما اللذان انقضا على الديمقراطية في تشرين الأول/أكتوبر 2021 وأجهضا عملية التحول التي كانا شركاء في رسم ملامحها بعد إزاحة الرئيس السابق عمر البشير عام 2019. وبواسطة انقلاب عسكري غاشم في تشرين الأول/أكتوبر 2021 قام البرهان وحميدتي باعتقال رئيس الوزراء الدكتور عبد الله حمدوك، وعدد كبير من أعضاء الحكومة ومجلس السيادة المدنيين، وأعادا عجلة التغيير السياسي إلى الوراء، ورسما طريقا جديدا للمستقبل. ومع ذلك فإن الطريق الجديد بمقتضى «الاتفاق الإطاري» اصطدم بطموح كل منهما للسيطرة على السلطة السياسية والانفراد بها دون خصمه. إن الصراع بين أعداء اليوم أصدقاء الأمس، وضع مصالح السودان وشعبه على الرف، وجعل أولوية كل منهما السيطرة المنفردة على السلطة. وعندما راحت العجلة تدور بسرعة تجاه الإعداد للانفراد بالسلطة في معسكر كل من الخصمين اللدودين، فإن ذلك قوات الجنجويد السابق، نائب رئيس مجلس السيادة، وقائد قوات الدعم السريع، الفريق حميدتي، قرر بسرعة أن يبادر إلى أكل خصمه في وجبة الغذاء، قبل أن يؤكل هو في وجبة العشاء. حميدتي في واقع الأمر قرر أن يتغذى بالبرهان، قبل أن يتعشى البرهان به!

الاستنتاج الكبير الذي نخلص إليه هنا، هو أن القتال الذي يجري في السودان الآن لا ناقة للشعب فيه ولا جمل، وإنما هو ضحية لها، يدفع ثمنها مرغما، وأن المستفيد الوحيد منه هو المنتصر في نهايتها، سواء كان البرهان أو دقلو.

لاعبون إقليميون

لكن لعبة الرصاص في السودان، والقفز من مائدة المفاوضات إلى دبابات الحرب، لا تعكس فقط صراعا على السلطة بين الرجلين، وإنما هي تعكس أيضا صراعا على السودان، بين الفرقاء–الأصدقاء في العالم العربي والشرق الأوسط. وهو ما يكشف لنا حجم النفاق والخداع في السياسة الإقليمية، ويعيد لنا التأكيد على أن العلاقات الدولية والإقليمية في العالم لم تعد علاقات خطية، كما كان الحال خلال الحرب الباردة الأولى، وإنما أصبحت علاقات شبكية، تتقاطع خلالها المصالح وتتوافق وتتفارق. وقد اتهمت الصحفة الرسمية للجيش السوداني على منصات السوشيال ميديا أطرافا إقليمية بالتورط في تقديم المساعدات لقوات الدعم السريع، في حين وجهت تلك القوات اتهامات لأطراف أخرى بالتورط في تقديم المساعدات إلى الجيش. ومن المثير للسخرية أن تجد في المنطقة أطرافا صديقة تقدم مساعدات لخصوم أصدقائها بدون أي خجل. ولذلك فإن العلاقات الشبكية التي تربط اللاعبين الإقليميين باللاعبين المحليين في السودان، ولاعبين آخرين، مسلحين غالبا، حكوميين وغير حكوميين، في بلدان مثل ليبيا وتشاد وأفريقيا الوسطى، من شأنها تعقيد القتال الجاري في السودان، وإطالة أمده، بل وانتشار تداعياته إلى الدول المحيطة بالسودان، بما فيها مصر، التي تمكنت بعد خمسة أيام من القتال من استعادة جنودها هناك من خلال مبادرة دبلوماسية نادرة احترمها البرهان ودقلو في آن واحد. الجنود المصريون الذين عادوا، ما يزال وراءهم في السودان عالقون في الحرب بلا ذنب من طلابها الذين يدرسون في السودان، ومهندسيها الذين يعملون في مجالات مختلفة. كذلك فإن العلاقات الشبكية بين القوى الإقليمية وبين طرفي الصراع في السودان، من شأنها أن تترك تداعيات سلبية بين بعض الدول العربية، ومن الممكن أن تؤدي إلى تفاقم الأوضاع في الدول الأفريقية المجاورة. ومع أن الحكومات في البلدان العربية ذات النظم المستقرة ستعمل على تحجيم التداعيات الإقليمية للقتال في السودان، فإن فرص النجاح تتوقف على رغبة الفرقاء السودانيين أنفسهم في تحقيق ذلك. ومن الخطأ الاعتقاد بأن اللاعبين المحليين هم مجرد وكلاء أو دمى سياسية/عسكرية، تعمل لمصلحة دول أخرى، نظرا لأن لكل منهم مصلحة مؤكدة في استمرار القتال حتى استخلاص السلطة بالكامل أو تقسيم السودان نفسه إلى دويلات صغيرة.

الاستنتاج الثاني الكبير الذي نستخلصه هنا، هو أن انقسام الإرادة الدولية والإقليمية، يمثل محركا لاستمرار الحرب، وأن الضغوط بدون إرادة موحدة لن تنتج أثرا إيجابيا. كما نعتقد أن فرص المتحاربين في مقاومة الضغوط مرتفعة، بما في ذلك قوات الدعم السريع، التي ترتبط بعلاقات وروابط قبلية، وجماعات مسلحة غير حكومية محلية، وقوى سياسية مدنية في الداخل وفي الدول المحيطة، كما أنها تتعاون مع جماعات مسلحة غير حكومية ذات طابع عالمي، مثل مجموعة فاغنر الروسية الروسية، في تأمين أنشطة استخراج الذهب والمعادن، وتأمين طرق النقل، والعمل المشترك في مجالات غير مشروعة، منها تجارة السلاح وتهريب البشر والذهب والمعادن النادرة.

الخرطوم مهددة بالدمار

نظرا لطبيعة القتال الدائر في السودان، خصوصا في العاصمة الخرطوم، على أساس لعبة صفرية (إما أنا أو أنت) وانقسام الإرادة الدولية والإقليمية بشأن الضغط لوقف القتال، وتوفر خطوط إمدادات حية للقوات المتحاربة، فإن احتمال حسم الحرب خلال أيام أو أسابيع قليلة ضعيف جدا. ومع ذلك فإن إطالة أمد الحرب ليس حتميا، لأن من السهل إعادة تشكيل الحديد بالطرق الشديد وهو ساخن. ومن هنا نفهم لماذا تحشد قيادة الجيش قواتها الضاربة من كل أنحاء السودان، بما في ذلك المناطق الحدودية المكشوفة، لتشكل قوة ساحقة في العاصمة، من أجل السيطرة عليها ودحر قوات الدعم السريع. الخطورة هنا تتمثل في أن تركيز المعركة في الخرطوم يمكن أن ينتهي إلى تدمير العاصمة وتخريب بنيتها الأساسية المدنية والعسكرية على السواء. ونحن نلاحظ أن سكان العاصمة ينتهزون أوقات الهدوء خلال كل هدنة بالرحيل عنها إلى ولايات أخرى. وفي هذا السيناريو فإن استخدام الجيش لأسلحته الثقيلة وسلاح الطيران في مواجهة قوات الدعم السريع، التي تعتمد على أسلوب حرب الشوارع، ومعارك الكر والفر، وتجنب التركز في مواقع ثابتة يصعب إخلاؤها والعودة إليها مرة أخرى، من شأنه أن يؤدي إلى زيادة احتمالات قتل أعداد كبيرة من المدنيين، وتخريب المباني والمنشآت بما في ذلك الأحياء السكنية. وليس من المستبعد مع استمرار القتال، وعدم وجود مستشفيات عاملة، وصعوبة دفن القتلى، وانقطاع إمدادات مياه الشرب النقية والغذاء، أن يتعرض السكان لانتشار الأوبئة، وأخطرها الكوليرا. فتصبح الخرطوم مدينة للموت بكل ما تعنيه الكلمة. ونظرا لطبيعة القتال، فليس من المتوقع أن يأخذ أي من الطرفين بعين الاعتبار أهمية تقليل الخسائر في الخرطوم، نظرا لأن هناك اعتقادا قويا بين العسكريين بأن للعسكر أولوية على الدولة والمجتمع، وأن القوة فوق القانون، وأن العسكر فوق المدنيين.

الاستنتاج الثالث الكبير الذي نستخلصه هنا هو أن تركز المواجهة العسكرية في الخرطوم سوف يسفر عن خسائر بشرية كبيرة، يحد منها النزوح إلى ولايات أخرى ودمار مادي على نطاق واسع. لكن تحول المواجهة بين الجيش وقوات الدعم السريع داخل الخرطوم إلى «حرب مواقع» ثابتة، أكثر من أن تكون «حرب شوارع» من شأنه أن يحول قوات الدعم السريع إلى صيد سهل للطيران والدبابات والمدفعية الثقيلة التي يملكها الجيش، وهو ما يمكن أن يكون ميزة إستراتيجية لمصلحة السودان ككل. السيناريو الأخطر هو أن تنسحب قوات الدعم السريع إلى ولاية أو ولايات أخرى لمواصلة الحرب ضد الدولة، وتهديد السودان بالانقسام للمرة الثانية. ونحن نقلل من هذا الاحتمال، خصوصا مع لجوء قسم من تلك القوات إلى تشاد لتجنب المشاركة في القتال.

المجهود الدولي

تبذل دول الرباعية الدولية (الولايات المتحدة وبريطانيا والسعودية والإمارات) دورا مهما في محاولة تهيئة المناخ لوقف القتال، من خلال اقناع الطرفين المتحاربين القبول بهدنة، تحت لافتة السماح بأعمال الإغاثة الإنسانية، مثل توفير الطعام والأدوية ونقل الجرحى ودفن الموتى. لكن هذا الدور ليس ناجحا حتى الآن. وربما يقبل الطرفان الالتزام بهدنة خلال عيد الفطر المبارك. لكن ذلك لن يغير مسار القتال، إذا استمر غياب مجهود دبلوماسي لمناقشة حل سياسي لوقف القتال، وتحديد ملامح مرحلة ما بعد الهدنة، حتى لو كان مثل هذا الحل انتقاليا. لقد أعلن الجنرال البرهان قرارا بحل قوات الدعم السريع واعتبارها قوات متمردة، كما أعلن رفضه التفاوض مع حميدتي. مثل هذا الموقف من شأنه أن يزيد من تعقيد الأمور في الوقت الراهن الذي يتقدم فيه وقف القتال على ما عداه.

ومن الضروري هنا الإشارة إلى أهمية المبادرة المصرية الناجحة لإعادة جنودها الذين كانوا محتجزين لدى قيادة قوات الدعم السريع. وقد تعاون الجيش والدعم السريع في احترام هذه المبادرة، وشاركا في إنجاحها بطرق مختلفة، منها احترام وقف إطلاق النار عند وصول الطائرات المصرية وبعد اقلاعها بالجنود، والتعاون في نقل الجنود إلى مطار «دنقلا». هذه يعني أن المهارة الدبلوماسية يمكن أن تغلب الحرب وتخلق حالة من السلام.

وعلى الرغم من أن الجيش يتفوق تسليحيا ومؤسسيا على قوات الدعم السريع، إلا أنه إذا نجحت تلك القوات في إجبار الجيش على خوض حرب شوارع متحركة في المدن والولايات، فإن هذا يعني خسارته لمقومات التفوق التي يتمتع بها، حتى إذا تمكن من حشد كل قواته في الخرطوم لحسم المعركة. ذلك أن المبدأ الرئيسي لحرب الشوارع يقوم على أعمال الكر والفر وتغيير المواقع باستمرار، وليس بالتمركز في مواقع ثابتة. كما لا يجب أن ننسى أن قوات الدعم السريع بادرت منذ اليوم الأول في القتال إلى محاولة حرمان الجيش من التفوق الجوي بالسارعة لاحتلال المطارات الرئيسية وحرق الطائرات وهي على الأرض، وحرق خزانات الوقود.

ويبدو أن وسيلة الضغط الرئيسية التي يمكن أن تؤدي لتقصير أمد الحرب وإنهائها هي قطع خطوط الإمدادات، التي يعتمد عليها الطرفان المتحاربان، ووضع إطار دولي لمحاكمة العسكريين المتورطين في الحرب، لتوجيه رسالة إلى الجنرالات بارتفاع التكلفة التي سيتحملونها بعد انتهاء القتال، فالقتال لن يستمر للأبد في أي حال. وربما تلعب الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي دورا مهما في ذلك، خصوصا وأن الاتحاد الأفريقي يعمل على اتخاذ مواقف حاسمة ضد صناع الحروب والانقلابات العسكرية. كذلك فإن من المهم بذل مجهود مع القوى المدنية، لإقناعها بالاتفاق على إطار واضح للانتقال الديمقراطي، ونبذ الخلافات فيما بينها، بما يؤدي إلى عزل العسكريين في الشارع، وفضح مسؤوليتهم عن الحرب الدائرة، بكل خسائرها المتزايدة بشريا وماديا وسياسيا.

الاستنتاج الرابع والأخير هو أن قطع خطوط الإمدادات أو التحكم فيها، وعزل القادة العسكريين عن الشارع وإرسال إشارات قوية إليهم بخطورة استمرار الحرب، ووضع تصور سياسي لنقل السلطة إلى المدنيين، واضح ومتفق عليه وقابل للتنفيذ، هي ثلاثة مقومات من شأنها أن تقلل أمد الحرب الدائرة. بدون ذلك فإنه من المرجح أن يستمر القتال لفترة طويلة. وكلما طال أمد القتال فإن تداعياته الإقليمية السلبية ستزيد، كما أن الوضع المحلي سيزداد سوءا وتعقيدا من حيث الخسائر البشرية والمادية والسياسية، التي تتضمن تقسيم ما تبقى من السودان.

Volume 34 - Issue 10964 Sunday 23 April 2023

يحدث الآن في الخرطوم: إمبراطورية جيش ودولة الذهب دخلتا في حرب بقاء والشعب عالق بينهما

إبراهيم درويش

منذ إطلاق الرصاصة الأولى في الخرطوم صباح السبت الماضي لم يتوقف القتال، وفشلت كل مهام الوساطة لوقف إطلاق النار والتوصل إلى هدنة والسماح لسكان العاصمة السودانية، الخرطوم بقضاء الأيام الأخيرة من رمضان بهدوء أو سكينة، وكذا لم تنجح مهام وقف النار يوم العيد الذي حل في معظم الدول العربية الجمعة.

وبات السودان اليوم رهينة اقتتال قد يجره إلى حرب أهلية. وفي مركز الصورة رجلان صعدا إلى سدة الحكم في بلد قام شعبه بالتخلص من نير الديكتاتورية ليقع من جديد في أسر العسكر، وهم الذين حكموا البلاد طوال الفترة التي أعقبت الاستقلال في 1956 وهذا البلد الذي كان مرة الأكبر في أفريقيا، ليصبح بعد انفصال جنوبه ثالث بلد، لم يشهد سوى تجربتين في الحكم المدني، 1964 و1985 أما الأخيرة التي تبعت سقوط عمر حسن أحمد البشير في عام 2019 فقد حكم فيها المدنيون لكنهم كانوا تحت سيطرة العسكر. ولا داعي للقول إن التجربة السودانية عادت وتمظهرت من جديد في الصورة الكلاسيكية للانتفاضات العربية التي بدأت عام 2011 كثورات تعبر عن توق الجماهير للحرية والعدالة ولقمة العيش الشريف، لتقع مرة أخرى في أسر نفس القوى التي تحررت منها، وعلى المحك هناك صراع لم ينته بين قوى في العالم العربي وإرادات دول إقليمية يعرفها الجميع، تسارع في كل مرة يتحرك فيها الجيش أو تعود الدولة القديمة، للقضاء على أي حركة معارضة أو التعبير عن الرأي. والغريب أن ما يحدث في السودان يتزامن مع ما يحدث في تونس من محاولة لإعادة الديكتاتورية وبشكل أشرس.

النيران في العاصمة

لكن نزاع السودان اليوم مختلف، فهو من ناحية يجري في قلب العاصمة، مع أن سكانها ظلوا يتعاملون مع الحروب والتمردات التي تحدث في أطرافه وولاياته المهمشة كحدث بعيد، وأخبار يتلقونها من الإذاعات والصحف لا يشاهدونها كما يحدث الآن عيانا ويعيشون تحت رحمة القصف الجوي، ويعانون من الخوف المستمر، وهم عالقون في بيوتهم، فالقناصة على السطوح والخطر في كل مكان ورائحة الموت تفوح من كل زاوية. لم يكن الذي يجري في الخرطوم اليوم مبررا، فقد وقع الأطراف على اتفاق إطاري لتسليم السلطة، واطمأن المفاوضون أن الحل قريب، لكن الجنرالين في إطار الصورة السودانية اليوم كانا يعدان العدة، وينشران الجيوش والقطاعات العسكرية في الأماكن الحساسة. كانت الكتابة على الجدار والكل يعرف أن المواجهة بين الجنرال عبد الفتاح البرهان، حاكم السودان الفعلي وقائد الجيش والجنرال محمد حمدان دقلو، أو حميدتي قائد قوات الدعم السريع، الوحش الذي أنشأه عمر البشير من أجل القضاء على التمرد في دارفور (2003–2008) باسم الجنجويد أولا وتم تلطيف الصورة بعد ذلك باسم الدعم السريع وأعيد تلميع وجوه من قادوا مكافحة التمرد وارتكبوا جرائم وأصبحوا رجال دولة، يلتقون الزعماء الغربيين والبعثات الدولية ويتباحثون بشأن السودان بل ويمنحون أوسمة للزوار الأجانب ويتم اختيار حميدتي «رجل العام» من منظمة حقوق إنسان سودانية، وتم تناسي المجازر التي ارتكبت، وآخرها مجزرة حزيران/يونيو 2019 والتي ارتكبت في رمضان أيضا.

والسيناريو بات واضحا في سودان ما بعد البشير هو أن قادة عهده يحاولون التمسك بالمصالح التي أخذوها من النظام ويعيدون إنتاجها لكي يحافظوا على الدولة التي أنشأها البشير وحلفاؤه. والمشكلة هنا أن البرهان وحميدتي هما من إنتاج دارفور وتعاونا في قمع التمرد وقرر حميدتي التحرك ضد البشير عندما رأى أن شمسه زائلة وعاد واتحد مع البرهان لمنع التحول إلى الحكم المدني في تشرين الأول/أكتوبر 2021 وها هما يواجهان بعضهما في معركة حياة أو موت.

وفي كل تحرك قاما به خدعا المفاوضين الدوليين، فمراسل صحيفة «نيويورك تايمز» (2023/4/19) قال إن الجنرالين تناولا الطعام مع المفاوضين، بل ودعي مبعث الأمم المتحدة فولكر بيرتز إلى مأدبة إفطار في منزل نائب قائد الجيش الجنرال شمس الدين الكباشي، ما أعطى صورة أن الأمور عادية وهادئة، وفي الخارج كان كل طرف يحضر للمواجهة. ومواجهة الخرطوم الحالية مختلفة، فقوات التمرد موجودة في شوارعها، والحرب بين الرجلين باتت شخصية، فالبرهان اعتبر خصمه مجرما مطلوبا للعدالة، أما حميدتي الذي تعلم من شركات العلاقات العامة طرق الكلام، فقد استخدم مصطلحا عزيزا على الدول الغربية والعربية، وهو قتال الإسلاميين، ووصف البرهان بالمجرم الذي سيموت مثل الكلب، ومرة أخرى في مقابلة مع صحيفة «فايننشال تايمز» (2024/4/20) وصف البرهان بأنه زعيم عصابة إسلامية متشددة، وأكد أن المعركة هي التي ستحدد النتيجة. وفي الوقت الحالي لا أحد يعرف النتيجة ومن في يده السيطرة أو خسر الرهان، وبالتأكيد فالحرب الحالية والمفتوحة بين رجلين دخلا في زواج مصلحة غير مريح قبل أن تتنازعهما التجاذبات الإقليمية، ستؤدي لخسارة أحدهما، فحميدتي يعول على مقاتليه الذين أرسلهم إلى حروب المنطقة بعد دارفور كمرتزقة في اليمن وليبيا، أما الجيش فيعول على حجمه وقدراته القتالية. وفي قلب المعركة مصالح اقتصادية وتجارية إلى جانب محاولة السيطرة على السودان، ومن هنا سيجد المدنيون أو تلك الأطراف التي قدمت نفسها ممثلا للمدنيين وصدقت كلام حميدتي بنقل السلطة، أمام مجموعة تحاول التحكم بمقدرات البلد، وجاءت هذه المرة من الهوامش، وتعطي تتويجا لراعي جمال، استخدمه البشير كأداة لقمع المتمردين ثم استعان به عام 2013 لقمع التظاهرات، واستغل حميدتي وعائلته الفرصة وبنوا قاعدة أو قواعد في الخرطوم وما حولها وسيطروا على تجارة الذهب وتعاونوا مع مرتزقة فاغنر. والمسألة بالنسبة لحميدتي والبرهان هي حياة أو موت، نصر أو هزيمة، لكن لا نعرف ماهية النصر أو الهزيمة، لأن الحرب على الخرطوم تتداخل فيها الإرادات الإقليمية والدولية والمحلية، وبات كل طرف يستخدم فيها كل ما لديه من حرب كلامية وعسكرية لتشويه وشيطنة الآخر. وفي الصورة «الوحش» الذي صنعه البشير القابع في سجن كوبر بالخرطوم لكي يوازن ثقل المؤسسة العسكرية.

دول الخارج

وبات موضوع تدخل القوى الإقليمية من المسائل التي قد تدخل السودان في الحرب الأهلية، بخلاف أن السودانيين لم يتعاملوا مع المسألة حتى هذا الوقت بأنها نزاع بين رجلين طامعين في السلطة، ولأن الصراعات تتغذى من الداخل والخارج، فمن الصعب تجاهل أثر هذا على الوضع السوداني القابل للانفجار، وإمكانية جر الجرنالين البلد للحرب، ودخول قوى إقليمية فيها، وبدأت أسماء تتردد في الأزمة، الإمارات وروسيا من دول داعمة لحميدتي ومصر كداعم للمؤسسة العسكرية السودانية. ونشرت صحيفة «وول ستريت جورنال» (2023/4/20) تقريرا قالت فيه إن أمير الحرب الليبي خليفة حفتر أرسل ذخيرة إلى حميدتي وان مصر أرسلت طائرات ومقاتلين مع أن الجنود الذين أسرتهم جماعة حميدتي كانوا في مهمة تدريب عسكرية لا علاقة لها بالأزمة الحالية، ولكن معسكر حميدتي حاول استخدام الورقة قبل أن يفرج عن الجنود. ولا شك فإن كلا من الإمارات العربية المتحدة والسعودية ومصر وغيرها حاولت التأثير على البلد. ونقلت «فايننشال تايمز» (2023/4/19) عن السفير النرويجي للسودان إندري ستياسن قوله «واحد من أسوأ الأشياء التي قد تحدث هو أن يتحول هذا لنزاع إقليمي تتدخل فيه دول الجوار نيابة عن الطرفين». وتحدث الدبلوماسي عن مخاطر انجرار دول إقليمية للحرب «وربما قسمت (الحرب) البلد إن لم يتم التعامل مع هذا بطريقة جيدة».

وينبع موقف مصر الداعم للمؤسسة العسكرية من أن حميدتي يظل في النهاية زعيم ميليشيا أو قوة شبه عسكرية، وهو نفس موقف المؤسسة العسكرية السودانية، وهي فكرة تلعب في عقول جماعة حميدتي وأنصاره، وأن من حقهم قيادة السودان بل باتوا الطرف الأكثر تأهيلا كما ورد في أكثر من تصريح. والمفارقة أن حميدتي بتاريخه الوحشي الذي يعرفه أهل دارفور وسكان الخرطوم والذي أفلت من المحاسبة الدولية بات يقدم نفسه بأنه رجل المحرومين، وحاول أن يلعب على فكرة «الضحية» عندما نقلت عنه «فايننشال تايمز» مرة «لا يمكنني وصف حجم الظلم الذي مرت به عائلتي». وقال مايكل وحيد حنا، من مجموعة الأزمات الدولية إن نظام عبد الفتاح السيسي العسكري رمى بثقله خلف البرهان الذي تلقى تدريبه العسكري في مصر. وقال «هناك شك عميق في نوايا حميدتي» لأنه زعيم ميليشيا تعمل خارج البنية العسكرية إلى جانب علاقاته مع روسيا التي تقربت منه للحصول على موطئ قدم لها في بورت سودان. وأضاف حنا أن المصريين «لا يريدون رؤية أي حضور عسكري خارجي فيما يرونه حديقتهم الخلفية». وعلق الان بوزويل من مجموعة الأزمات الدولية أن مصر تريد رؤية «نسخة مصغرة» في الخرطوم لنظامها العسكري وحليفا لها ضد إثيوبيا في خلافها معها حول سد النهضة العظيم الذي قد يعطل تدفق مياه النيل، شريان الحياة لمصر.

أما دول الخليج وتحديدا الإمارات فقد باتت تتعامل مع السودان من وجهة نظر أنه بلد آخر في الشرق الأوسط يمكن أن يمارس فيه التنافس. ويقول المحللون إن الإمارات والسعودية حاولتا في الفترة الماضية، وبعد تراجعهما عن سياستهما الخارجية الحازمة، موازنة العلاقة بين البرهان وحميدتي. وكلاهما جزء من مجموعة الرباعية الدولية التي تضم الولايات المتحدة وبريطانيا وقدمتا دعما حذرا للعملية الانتقالية باتجاه الديمقراطية في السودان.

الزوبعة

وكتب الخبير في شؤون السودان أليكس دي وال مقالا في مجلة «ذي كونفرزيشن» (2023/4/17) وقال إن مهنة حميدتي هي درس عملي في ريادة الأعمال السياسية من قبل متخصص في العنف. أن سلوكه و(حتى الآن) إفلاته من العقاب هما أقوى مؤشر على أن سياسة المرتزقة التي لطالما كانت طابعا في أطراف السودان، جاءت إلى العاصمة. فحميدتي من أبعد أطراف السودان، ودخيل على المؤسسة السياسية في الخرطوم. جده، دقلو، زعيم عشيرة كانت تجوب مراعي تشاد ودارفور.

أصبح الشباب من رعاة الجمال والمعدمين والمهمشين عنصرا أساسيا في الميليشيا العربية التي قادت تمرد الخرطوم في دارفور منذ عام 2003. وقال دي وال إن حميدتي يتبنى نموذجا من ارتزاق الدولة مالوفا لمن يتبعون سياسة الصحراء. حميدتي هو وجه ذلك الكابوس، بكونه سيصبح أول حاكم غير مؤسسي في السودان منذ 120 عاما هذا لم ينته. على الرغم من المظالم ضد الجماعات شبه العسكرية التابعة لحميدتي، إلا أنه لا يزال يعتبر أنه دارفوري وغريب عن المؤسسة السودانية. حميدتي هو تلك الزوبعة. وكان صعوده هو أيضا، بشكل غير مباشر، انتقاما للمهمشين تاريخيا. مأساة السودانيين المهمشين هي أن الرجل الذي يتظاهر بأنه بطلهم هو القائد القاسي لعصابة من المتشردين، والذي كان بارعا للغاية في لعب السوق العسكرية العابرة للحدود.

امبراطوريات

وأشارت صحيفة «واشنطن بوست» (2023/4/19) أن في قلب المعركة الأخيرة رهانات كبيرة، منها «إمبراطورية» الجيش و«دولة» الذهب التي أنشأها حميدتي، وقضى المعسكران السنوات الطويلة في مراكمة الأموال والمصالح الاقتصادية التي غذت الحملات العسكرية لكل منهما وباتت في خطر لو خسر أحدهما.

فمن ناحية تدير مؤسسة الجيش شبكة من الشركات الخاصة أو المدعومة من الدولة والتي منحتها وحلفائها حصة واسعة في اقتصاد البلد. ومن جهة أخرى يسيطر حميدتي على تجارة عائلة متعددة المجالات وخاصة التعدين والتنقيب عن الذهب في منطقة دارفور والتي تتداخل مع قوات الدعم السريع التي يقودها، وتعطيه المصادر هذه مجالا للنفوذ. وحسب مسؤول سابق فحصة الجيش من الاقتصاد تمثل ربع الناتج المحلي للبلد أما قوات الدعم السريع فتمثل نصف الناتج المحلي. ويدير الجيش سلسلة من الصناعات ونشاطات الاستيراد والتصدير كما يقول دي وال. وهناك الكثير من الكيانات التي تقوم بنشاطات مصرفية وإنتاج النفط والاتصالات والإنشاءات ويسيطر عليها الإسلاميون المتحالفون مع الجيش. ويقول مات بريدن، مؤسس ساهان للأبحاث في نيروبي «المشكلة الكبرى بالنسبة للجيش هي أنه يسيطر على جزء كبير من الاقتصاد وهم ليسوا مستعدين للتخلي عنه من خلال تسليم السلطة لحكومة مدنية». ونفس الأمر يصدق على حميدتي.

لا ثقة بالجنرالين

بعد اندلاع العنف الأخير، استفاق «المجتمع الدولي» على سذاجته في التعامل مع جنرالي السودان اللذين أسمعا الأمريكيين والأوروبيين الكلام الذي يريدون سماعه، التزام بالتطبيع مع إسرائيل والتحول الديمقراطي وبناء سودان جديد غير سودان البشير، في وقت كانت جماعات المجتمع المدني، غير تلك التي قررت التحاور مع الجنرالين، تطالب بمعاقبتهما. ويقول جيفري فيلتمان، المبعوث الخاص السابق للقرن الأفريقي في مقال بصحيفة «واشنطن بوست» (2023/4/18) إن شراكة الجنرالين ظلت مبنية على تقويض وتأخير وعرقلة انتقال السودان إلى حكم مدني ديمقراطي. فقد سعى الاثنان إلى التهرب من المساءلة عن الجرائم التي تعود إلى الإبادة الجماعية في دارفور ومذبحة 2019. وفوق كل شيء، استند ترتيبهم إلى الفهم المشترك بأن الجيش السوداني لن يخضع أبدا للمساءلة المدنية. ولهذا فإن لم يتم اتخاذ قرار بشأنهما فسينتهي بتهميش المدنيين وللأبد. فقد تظاهرا بأنهما شركاء للأطراف المدنية السودانية بينما كانا يزرعان الخلاف. وأرضيا الشركاء الدوليين الذين يدعمون الحكومة الانتقالية المدنية – العسكرية. وتظاهرا بأنهما لاعبان مسؤولان على المسرح العالمي من خلال التعهد بالمشاركة في عمليات مكافحة الإرهاب أو عن طريق الرسائل المعبرة عن دعمهم لاتفاقات إبراهام وتطبيع العلاقات مع إسرائيل. ويقول: «لقد جنبتنا العواقب الشديدة لأفعال الإفلات من العقاب المتكررة التي كان من الممكن أن تؤدي إلى تغيير في الحسابات. وبدلا من ذلك، قمنا باسترضاء واستيعاب أمراء الحرب بدون تفكير. اعتبرنا أنفسنا رابحين». ولكن الإدراك المتأخر قد يصف هذا بشكل أكثر دقة بأنه تفكير بالتمني». ويعتقد المسؤول السابق أن أكبر ضرر يمكن أن يلحق بالشعب السوداني، وسلامة دولة ذات سيادة، وأمن جيران السودان، والسلم والأمن الدوليين، هو السماح بحل وسط بين المتحاربين معتمد دوليا مرة أخرى يقوم على تقاسم السلطة. يجب أن يكون واضحا الآن على الأقل أن البرهان وحميدتي ليسا إصلاحيين، وليسا قابلين للإصلاح أبدا. تقول واشنطن إنها تحضر لفرض عقوبات على الجنرالين، كما أوردت مجلة «فورين بوليسي» (2023/4/19) لكن الخطوة ستكون متأخرة، بعدما سمح المجتمع الدولي لزعيم ميليشيا بفرض إرادته على المشهد السياسي وترويع السكان تحت فوهة البندقية.

حوار

نورية حفصي الأمينة العامة للاتحاد الوطني للمرأة الجزائرية:
المرأة العربية أحرزت تقدما كبيرا في الحقوق والعنف ظاهرة عالمية

حاورها: عبد الحميد صيام

على هامش الدورة السابعة والستين للجنة وضع المرأة «CSW» التي استمرت أسبوعين في مقر الأمم المتحدة بنيويورك واختتمت أعمالها في الثامن عشر من شهر آذار/مارس 2023 التقت «القدس العربي» نورية حفصي، الأمينة العامة لاتحاد المرأة الجزائرية ونائبة الأمينة العامة لاتحاد المرأة العربية ونائبة الأمينة العامة لاتحاد النساء الأفريقي. ركزت الدورة السابعة والستون للجنة وضع المرأة على ضرورة إشراك النساء بطريقة كاملة في تطوير التقنيات الرقمية. وركزت الأولوية في دورة هذا العام على التمييز المستمر وسوء المعاملة والكراهية التي تواجهها النساء في العالم الافتراضي. وكان الهدف هو إحراز تقدم في مسألة تكافؤ الفرص في المجال الرقمي، ومعالجة القضايا المستمرة التي تؤثر على النساء والفتيات، بما في ذلك الوصول المحدود إلى التكنولوجيا، والعنف غير المتناسب عبر الإنترنت، والتمثيل الناقص والتحيز الجنساني في الصناعات التقنية.

وقد حملت الوثيقة الختامية اسم «الاستنتاجات المتفق عليها» بين الدول الأعضاء، وأقرت بالدور الهام للتكنولوجيا والابتكار في تحقيق المساواة بين الجنسين.

ونورية حفصي هي الأمين العام للاتحاد الوطني للمرأة الجزائرية، وعضو المجلس القومي لحقوق الإنسان، عضو في مجلس الشعب الجزائري، نائبة رئيس منظمة المرأة الأفريقية، نائبة أمين عام اتحاد المرأة العربية، وعضوة في شبكة الوسيطات المتوسطيات. وهي نائب رئيس منظمة المرأة الأفريقية للترويج السياسي. ونائب الرئيس المكلف ببلاد المغرب العربي بالاتحاد العام للمرأة العربية، وعضو الاتحاد الدولي للمرأة الديمقراطية. عملت مديرا للمكتب الجهوي للتشغيل، كما تقوم سنويا بالتدخل أمام اللجنة الرابعة– لجنة تصفية الاستعمار. وشاركت في عدد من قمم الاتحاد الأفريقي، وانتدبت عن الاتحاد الأفريقي لمراقبة انتخابات الكونغو وتشارك سنويا في اجتماعات لجنة وضع المرأة في مقر الأمم المتحدة بنيويورك. وفي ما يأتي نص الحوار.

○ ما هو تقييمك للاجتماع السنوي للجنة وضع المرأة؟

● هو اجتماع سنوي، تلتقي فيه سيدات من كل العالم، وهي مناسبة لتبادل الآراء والتجارب. وفيما يخصنا كعربيات، فرصة لنا أن نلتقي ونتحاور أولا ثم هي فرصة للتحدث عن أوضاع المرأة في المنطقة العربية من جهة ثم طرح القضايا التي تهمها على الأخريات. سعدت بلقاء أخوات من الأردن ومصر والمغرب وتونس، وغيرها، ونظمنا نشاطا جانبيا خاصا بقضيتنا الأم وهي القضية الفلسطينية.

○ ما هي القضايا الخاصة بالمرأة العربية؟

● بالنسبة للقضايا العامة فالمرأة العربية تعاني من كثير من القضايا العامة كما النساء في كل مكان. ولكن لدينا خصوصيات، تتعلق بالعادات والتقاليد والثقافة والدين، وهذا يجعل بعض القوانين التي تسن والقرارات التي تعتمد لا تطبق تماما في المنطقة العربية. مثلا معاهدة مناهضة كافة أشكال التمييز ضد المرأة المعروفة بـ («سيداو CEDAW) اعتمدتها كل الدول العربية وغالبية دول العالم، لكن الدول العربية أبدت بعض التحفظات على عدد من النقاط. لكن تطور المرأة العربية أصبح ظاهرا للعيان وواضحا بسبب هذه القوانين والمعاهدات ومن خلال التزام الدول بها أصبح للمرأة العربية مكانة أهم فصارت مشاركة في مراكز صنع القرار وفي قيادات المجتمع المدني، وأصبح وجودها مهما وملموسا في المجال السياسي. أما عندما نتكلم عن أوضاع المرأة العربية في بعض المجالات كانتشار الأمية فما زالت تعاني الكثير.

ولما التقينا مع الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، طرحنا كعربيات موضوع الرقمنة وكيف يمكن للمرأة العربية أن تستفيد منه. وتحدث غوتيريش عن بعض المقترحات المقدمة وقال إن الأمم المتحدة ستخصص مبلغ 600 مليون دولار لمساعدة النساء في موضوع الرقمنة. بعض الحاضرات طرحن إشكالية النزاعات وخاصة في بعض الدول العربية والتي تعرض المرأة لكثير من المخاطر، فلم تصل مرحلة الرقمنة أصلا، فكيف نتحدث عن الرقمنة وتمكين النساء والرقمنة لم تصل بعد لبعض الدول؟ قال غوتيريش تلك مسألة أخرى سنتناولها على حدة وهي مسألة الرقمنة في مناطق النزاعات. أثرنا في النشاط الجانبي حول المرأة الفلسطينية قضية كيف ستتعامل الأمم المتحدة مع مسألة الوصول لهؤلاء النساء وتمكينهن من الرقمنة ومواجهة العدوان والضغط والعنف من جهات كثيرة. وأكد الأمين العام أنه سيطرح في اجتماع رفيع المستوى بحضور رؤساء الدول مسألة مساعدة النساء في مناطق النزاع للوصول إلى الرقمنة، وهي آلية جديدة يمكن أن تساعد المرأة في مناهضة ما تتعرض له من عنف واضطهاد وتهميش.

○ هل وجدتم تجاوبا من الوفود المشاركة الأخرى لطرح معاناة المرأة الفلسطينية؟

● بالتأكيد، لما أقمنا النشاط الجانبي حول فلسطين، دعونا الوفود النسائية من كل المناطق الجغرافية من أفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية، فوجدنا تجاوبا كبيرا ووجدنا الكثير من النساء يدافعن عن المرأة الفلسطينية بشكل قوي وواضح لدرجة أننا فوجئنا بمدى التأييد الذي تحظى به المرأة الفلسطينية.

○ الآن نتحدث عن العنف المزدوج الذي تتعرض له المرأة في المنطقة العربية، المجتمعي والخارجي المتمثل في الاحتلال والاستبداد والتدخلات الخارجية، ما هي القضايا الأساسة التي ترينها في صلب معاناة المرأة العربية؟

● أولا يجب أن نتكلم عن المرأة العربية في النزاعات، وخاصة المرأة الفلسطينية التي تتعرض للعنف المتواصل من العدو الصهيوني والذي لا يتوقف. إنها إمرأة شجاعة – إنها الشهيدة والأسيرة وأم الشهيد وزوجة الأسير وحقوقها تتعرض للانتهاك يوميا، هي التي تقدم التضحيات الجسام. إنها غير مستقرة في بلدها وهذا يستوقفنا جميعا ويجب أن يستوقف المجتمع الدولي الذي يتحدث عن حقوق الإنسان والقوانين لصالح المرأة ولوقف العنف والاضطهاد الذي تتعرض له المرأة، بينما تعاني المرأة الفلسطينية كل هذه الأنواع من الاضطهاد ولا يحرك ساكنا. كذلك نتحدث عن السوريات المشردات المضطهدات وناسف لما آل إليه وضع المرأة السورية في بعض الدول العربية والدول الأوروبية لاجئة تبحث عن قوت لعيالها. صحيح اعتمدت بعض القرارات لتصحيح تلك الأوضاع لكن هذا لا يكفي. نحن مطالبات، كناشطات في مجال حقوق النساء، أن نساهم في تخفيف المعاناة وأن نعمل على إثارة الهيئات الأممية في هذا المجال وعلينا أن نجعل مسألة المرأة في النزاعات قضية أولوية، كما نثير هذه المسائل نثيرها كذلك في مؤتمرات الاتحاد الأفريقي، ونحاول دائما أن نكون وقة ضغط ونقدم اقتراحات أمام القادة بهذا الخصوص.

○ ما هي المشتركات التي تتقاطع بين الأفريقيات والعربيات؟

● المعاناة تكاد تكون واحدة بشكل عام. لكن هناك معاناة متشابهة بين العربيات والأفريقيات. فمثلا معاناة المرأة الأفريقية في مناطق النزاع شبيهة بمعاناة العربية في مناطق النزاع. فالمرأة دائما تكون أولى الضحايا في النزاعات سواء في أفريقيا أو المنطقة العربية. انظر إلى الوضع الاجتماعي للمرأة في الدول الأفريقية والعربية هناك تشابه خاصة بين الدول الفقيرة والتي تمر في مرحلة التنمية. فالمعاناة تتشابه سواء في حالات الفقر أو الوضع الاجتماعي أو التهميش أو التعرض للعنف.

○ دعينا ننتقل إلى وضع المرأة الجزائرية، لعبت المرأة الجزائرية دورا رياديا في الثورة فمنهن الشهيدات ومنهن الأسيرات، ثم انكفأ دورها بعد التحرير. وعادت الجزائرية في العقد الأخير إلى الواجهة وبدأت تأخذ دورها الحقيقي في عمليات البناء والتنمية والتمكين، كيف ترين وضع المرأة الآن في الجزائر؟

● كما قلت، لعبت المرأة دورا رئيسيا في كل المراحل، في مرحلة الثورة والتحرير ومرحلة البناء والتعمير. الجزائرية فرضت نفسها وخاصة في ميدان التعليم والتربية وبالتالي اقتحمت كل الميادين، حتى تلك التي كانت حكرا على الرجل. ولكن علينا أن نأخذ في عين الاعتبار كل الالتزامات الدولية التي التزمت بها الجزائر وهذا يسهل على الجزائر أن تعطي مكانة للمرأة انطلاقا من التزاماتها الدولية. فمثلا في الوزارات، يوجد نظام محاصصة في مراكز صنع القرار وأصبحت المرأة تشارك في كل الميادين. لكن لا نقول إننا وصلنا إلى المساواة التامة، لحد الآن لم تمنح مناصب سيادية للمرأة. ممكن أن تمنح وزارة المرأة أو التعليم أو البيئة ولكنها قادمة، انتظروا دورا أكبر للجزائرية فهي نصف المجتمع ولا بد أن تأخذ دورها كاملا. المرأة في الريف تقدمت كذلك وخاصة في ميدان التعليم إذ تراجعت نسبة الأمية من 23 إلى 7 في المئة.

○ هل التشريعات تواكب هذا التطور؟ بمعنى آخر هل هناك تغيير في القوانين لصالح إنصاف المرأة مثلا في موضوع التعدد؟ ما هي القوانين التي تضيق أو تمنع التعدد غير المبرر؟

● فيما يتعلق بالقانون، دعني أبدأ بالدستور. كل دساتير الجزائر منذ الاستقلال حتى اليوم تتحدث عن المساواة التامة بين المرأة والرجل، أما التطبيق فشيء آخر. الدستور الأخير لعام 2020 الذي اقترحه الرئيس وصوت عليه الشعب يتحدث عن المساواة التامة في كل المجالات، ولكن أعطى فرصة أوسع بمساواة المرأة في القوائم الانتخابية بدل نظام «الكوتا أو المحاصصة». لقد انتقلنا من نظام الكوتا إلى النظام الديمقراطي التام، نظام الكوتا الغي. قد لا تنصف المرأة في انتخابات عامة وشاملة انطلاقا من العقلية السائدة التي تفضل انتخاب الرجل على المرأة لكن هذا نظام أفضل.

أما بالنسبة لقانون الأسرة المستمد من الشريعة الإسلامية، فقد عدل عام 2005 وجاء بقوانين لصالح المرأة. فمثلا التعدد مقبول حسب الشريعة ولكن وضعت لذلك ضوابط وشروط فمثلا يجب أن توافق الزوجة الأولى على زواج زوجها من زوجة ثانية. وكذلك في مجال موافقة المرأة في مسألة «الولي» الذي يمكن أن يحضر لكن بموافقة المرأة نفسها، كما تضمن القانون إعطاء المرأة جنسيتها لأولادها. لا نقول إننا وصلنا إلى المبتغى، لكن هناك تطورا وإنجازات، وعلى المرأة أن تبقى تناضل لتحقيق المزيد من الإنجازات.

○ بصفتك نائبة الأمين لعام لاتحاد المرأة العربية وزياراتك عديدة للدول العربية، هناك ظواهر سلبية ما زالت منتشرة مثل زواج القاصرات والزواج العرفي وغير ذلك.

● لسوء الحظ زواج القاصرات موجود في كل الدول العربية. هناك قوانين تمنع زواج القاصرات لكن هذه ظاهرة اجتماعية وعلى المجتمعات المحلية أن تعمل على حل هذه الإشكالية. فالآليات القانونية أحيانا لا تحل بل الأهم هو دور المجتمع المدني والجمعيات النسائية والتدخل لدى العائلات والمجتمعات المحلية للتأثير على العقلية التي ما زالت قائمة وتسهل زواج القاصرات.

○ من بين القضايا المنتشرة عالميا وخاصة في بعض الدول العربية هي قضية التحرش، فكيف يمكن التخلص من هذه الظاهرة؟

● كما قلت هذه ظاهرة منتشرة في كل العالم وقد تكون أقل حدة وأقل خطرا في الدول العربية لأن الوازع الديني يلعب دورا. وهذه الظاهرة رغم وجود القوانين التي تعاقب عليها، مثل ظاهرة زواج القاصرات، تمارس على مستوى المجتمعات وبحاجة إلى تثقيف مجتمعي. القوانين المتعلقة بمعاقبة الجاني لا تكفي، هذا عمل يحتاج إلى تثقيف وتوعية يقوم به المجتمع المدني والمنظمات النسائية، بالإضافة إلى القوانين الرسمية والقوانين العرفية لدى المجتمعات، فالقضية تهم الجميع وهي ليست قانونية فحسب بل قضية اجتماعية تهم الناس جميعا ليس الدولة وحدها، على المجتمع أن يقف كرجل واحد لمنع هذه الظواهر ودرئها، ولا يجوز أن يتصرف كل مجتمع على هواه، على المجتمعات أن تتضافر وتتصرف بمسؤولية أكبر فالقوانين الدولية والمحلية لا يمكن لوحدها أن تحل هذه الظاهرة.

○ سؤال أخير، اعتمد مجلس الأمن عام 2000 قرارا تاريخيا هو القرار 1325 المتعلق بإدماج المرأة في عمليات السلام والتنمية. وتستعد الأمم المتحدة للاحتفال بالقرار عام 2025 ومراجعة ما تحقق لدى كل الدول في موضوع إدماج المرأة في عمليات السلام والتنمية.

● نعم هذا قرار مهم وقد شاركت في احتفالية الذكرى العشرين للقرار قبل سنتين في أديس ابابا. ولكن هل صحيح تم إدماج المرأة في عمليات السلام والتنمية؟ قد نقول إن عملية إدماج المرأة في التنمية حققت الكثير لكن في عملية السلام أين الانجازات؟ علما أن المرأة صانعة سلام وتعمل على استتباب الأمن، لكنها لم تعط الفرصة في هذا المجال، ولا نستطيع نقد القرارات لأنها تفتح المجال والأهم من القرارات هو تنفيذها.

> الرقمنة آلية يمكن أن تساعد المرأة في مناهضة ما تتعرض له من عنف واضطهاد وتهميش

حريات

المقدسية لمى غوشة: عيد في ظل «الحبس المنزلي»

لمى غوشة

القدس ـ «القدس العربي»:
سعيد أبو معلا

تعيش مدينة القدس حالة خاصة، لا مثيل لها في أي مدينة على مستوى العالم. جهود الاحتلال في محاربة سكان المدينة في سبيل تهويدها لا تتوقف، وهي جهود يتفنن الاحتلال فيها في ابتكار واختراع مختلف أساليب القهر والإذلال والتحكم والسيطرة بحق المقدسيين.

في مقابل ذلك يسعى المقدسيون إلى الاحتفاء بأجواء العيد في القدس بطريقة مختلفة، فالمدينة تجود في تقديم أجواء خرافية لأهلها، فهي تمزج بين الإيمان والروحانية العالية وعبق التاريخ الحضاري، وبين رغبة المقدسيين العارمة في الفرح ونشره في المكان والتعبير عنه بحسية مفرطة.

على امتداد المدينة المحتلة هناك عشرات العائلات المقدسية التي تعاني من سياسة «الحبس المنزلي» التي يحرم بسببها المقدسي المعاقب من التحرك إلا في حدود مساحة المنزل الذي يسجن فيه. الصحافية والباحثة المقدسية لمى غوشة، هي أحد هؤلاء، فمنذ ما يقرب من ثمانية أشهر وهي تعاني السجن داخل منزل عائلتها في حي الشيخ جراح. «القدس العربي» التقت غوشة وغاصت معها في حكاية وجعها وصمودها، في محاولة معرفة كيف يكون العيد تحت سيف قيد «الحبس المنزلي».

أجواء مملة وقاتلة

تقول غوشة في حديثها عن العيد: «صدقا أنا غير قادرة على التفاعل مع العيد، لقد جاء من دون أي مظاهر فعلية، أعيش في أجواء مملة وقاتلة مع الحبس المنزلي، فلا شيء يمكن أن أقوم به، وبالتالي لم أفعل أي شيء على شكل خاص، كما أنه ليست لدي أي رغبة في فعل شيء، أي قيمة للعيد طالما لا يمكنني الذهاب إلى أي مكان، ففي ظل هذا السجن تنعدم إمكانية عمل أي فعالية اجتماعية أو ترفيهية».

وتضيف غوشة التي تقضي حبسا منزليا منذ تاريخ 14 أيلول/سبتمبر من العام الماضي حول طريقة تغلبها على ممارسات العيد التقليدية: «عادة أكون أنا المسؤولة عن شراء الملابس الجديدة لأفراد الأسرة وحاجات المنزل، وفي حبسي اعتمدت على الشراء الإلكتروني كنوع من التحايل على مهماتي المرتبطة بالعيد».

وكانت غوشة قد اعتقلت من قوات الاحتلال في الرابع من أيلول/سبتمبر العام الماضي، بعد مداهمة منزلها في حي الشيخ جراح، حيث صادرت جهاز الكمبيوتر الخاص بها وهاتفها، وحوّلت إلى التحقيق والعزل في سجن «هشارون» ومن ثم «الدامون».

تضيف غوشة وهي أم لطفلين، كرمل (5 أعوام) وقيس (3 أعوام) حول تقاليد العيد قبل الحبس المنزلي: «كنا نأتي في ثاني أيام العيد إلى منزل أهلي في حي الشيخ جراح بالقدس، بعد قضاء اليوم الأول في رام الله عند بيت أهل زوجي، أما اليوم فقد أعادني الحبس المنزلي إلى بيت أهلي من جديد، وبالتالي أصبح العيد كما في سنواتي الماضية عندما كنت أعيش في هذا المنزل الذي غادرته عام 2016».

وتشدد أن هذا العيد هو الأول الذي تعيش فيه أجواء خاصة بعيدا عن زوجها وأولادها، «أنا وحيدة في اليوم الأول، حيث الأطفال عند بيت جدهم في رام الله. ليس هناك معنى أو قيمة لأي مناسبة اجتماعية في ظل الحبس المنزلي والسبب أنه لا يمكنني المشاركة حرفيا بها. أنا داخل البيت، لقد قسمنا الحبس».

وتعيش غوشة ضمن شروط حبس منزلي قاسية، فهي ممنوعة من الدراسة وكذلك الرد على الرسائل، كما أنها تمنع من استخدام الهاتف المحمول وجهاز الكمبيوتر أيضا، إلى جانب مغادرة المنزل أيضا.

المنزل السجن

وعن أسباب السجن المنزلي في بيت والديها تقول إنها تسكن مع زوجها في بلدة كفر عقب (تقع في منطقة تتوسط ما بين القدس ورام الله) كما هو الحال مع آلاف المقدسيين الذين تضطرهم ظروف السكن في القدس إلى السكن في أقرب منطقة تضمن لهم تمتعهم بهوية القدس.

تكمل حديثها حول تعقيدات الحياة المقدسي أيضا: «قرار المحكمة جاء مشروطا بأن أقيم في منزل عائلتي في حي الشيخ جراح، وهو أمر له علاقة بتوفير متطلبات السجن بالنسبة للاحتلال، من حيث توافر كاميرات المراقبة، وسهولة الوصول لمكان السجن المنزلي، حيث يعتبر منزل العائلة مكانا استراتيجيا لتحقيق الحبس المنزلي حيث بيت العائلة الذي يعيش فيه أب وأم متقاعدين ومتواجدين على مدى 24 ساعة، هو أمر يسهل ويخفف على الاحتلال عمله».

ويقع منزل العائلة في الحي الشهير الشيخ جراح، في شارع نابلس، وهو بيت قديم وجميل بني بالحجر الأبيض قبل عام 1948 ويعود لعائلة غوشة التي تعتبر من عائلات القدس المناضلة، فعما غوشة هما سمير غوشة وهو طبيب أسنان وسياسي فلسطيني، كان أمينًا عامًا لجبهة النضال الشعبي الفلسطيني، وعضوًا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وأول وزير للعمل في السلطة الفلسطينية، وصبحي غوشة وهو مفكر وأديب وسياسي قومي فلسطيني، كان من مؤسسي حركة القوميين العرب، وأنشأ في عام 1967 جبهة النضال الشعبي الفلسطيني.

وحسب الصحافية غوشة فـ«المنزل السجن» يقع في موقع استراتيجي، «في وسط منطقة الشيخ جراح، كما أنه مطل على كل الحي المهدد بالتهويد والمصادرة، فالواقف على فرندته يمكنه رؤية الحي كاملا».

وتضيف: «إنه بيت جميل جدا، وهو أمر جعل كثير ممن زاروني يتساءلون: أهو حبس منزلي أو فندق خمس نجوم؟».

تتابع: «هؤلاء لا يغوصون بعمق علاقتي مع البيت، لقد تربيت فيه طول عمري، وغادرته عندما تزوجت 2016 وعدت إليه مكرهة، وفيه عدت أعامل كأني بنت 18 سنة وليس امرأة عمرها 30 سنة. في المنزل لا أعامل كأم، أعامل مثل بنت صغيرة، لقد فقدت مساحتي الخاصة، وفقدت قدرتي على اتخاذ القرار، كما فقدت القدرة على ممارسة أمومتي، فعمليا لا مساحة خاصة لدي، تركيبة الوضع في منزل تجعل أطفالي بمثابة أخوتي، أما أمي وأبي فقد أصبحا مسؤولان عن كل شيء في حياتي، أما حياتي الزوجية فقد توقفت، جمدت تماما».

وتكمل في شرح العلاقة الجديدة المركبة: «بمجرد أن عدت للمنزل عادت معها العلاقة القديمة، وحرفيا أنا مش مصدقة أقدر أطلع منه كي أجد حريتي، بيتي الذي أقضي فيه السجن المنزلي هو سجن حرفيا بالنسبة لي، وهو أكبر من قضية أنه محاط بالجدران، فمن يفرض علي الرقابة هم أهلي، رقابة مصدرها خوفهم علي».

وتحاول غوشة أن تقرأ علاقتها مع الحبس المنزلي في ظل كفالة والديها لها مؤكدة على أن السجن المنزلي يقوم على فكرة تحويل كل مشاعر الخوف والقلق والحب لأدوات رقابة وسيطرة وسلطة وتحكم، وهذا ذروة عمق الحبس المنزلي.

وترى أن التحدي الكبير في مواجهة عملية الموت الداخلي التي تسببها سياسة هذا النوع من السجن هو المحافظة على حالة من التوازن النفسي بحيث لا تتعرض للهزيمة.

وتعلق على الفرق بين السجن الفعلي والمنزلي بإن السجن الأول أسهل وأكثر وضوحا، فهو «موجود في مكان واضح ومحدد ويمكن فهمه، هناك أشياء محددة فيه مثل: مكونات السجن، السجان، الأسرى، ومدة السجن، وموعد إطلاق سراحك، وهذه أمور تمنحك فرصة ترتيب المفاهيم معرفيا ومكانيا وزمانيا، وفي ضوء ذلك يمكن للأسير وضع الأمور في صندوق معين والتعامل معه، أما في الحبس المنزلي فكل الأمور تدخل في بعضها البعض، كل المفاهيم تصبح مركبة في تدخل وتضاد كبيرين، مثلا: أهلك الذين يكون النظر إليهم على أنهم أكثر البشر مساحة للأمان يصبحون السجانين المراقبين، وهذا أمر عن حق وليس مجازا، ومن هنا تدخل أمور نفسية معقدة، أهلي يخافون علي، فيما مشاعر الخوف لا يمكن نكرانها، لكن بالمقابل هم يخافون مني أيضا، يخافون من إمكانية أن ارتكب أي حماقة تؤدي

لسجن أبي وأمي، كما أنهم وقعوا على شروط مراقبتي وعلى كفالة بقيمة 80 ألف شيكل (23 ألف دولار أمريكي) وفي حال تم كشفي في حال أخليت بالشروط سيذهب المبلغ لصالح الاحتلال».

وفق ذلك تؤكد غوشة أن الأهل هم سيف مسلط على رقبتي، وبالتالي: كيف علي التعامل مع والدي وتحديدا مع مشاعر خوفهم ومراقبتهم لي؟

نقطة أخرى حسب غوشة تتمثل في تحولات النظر للبيت، تقول: «كيف أتعامل معه وقد تحول من مساحة راحة وحرية مطلقة إلى سجن صغير، ومركز رقابة وسيطرة، البيت تحول إلى مكان يفرض عليك رقابة وسيطرة، لم تعد الجدران فيه حميمية نلجأ إليها بل صار مركز رقابة ومركز سلطة؟».

وتشدد أن الحبس المنزلي يعتبر أبشع بمراحل من السجن العادي، وتؤكد أن كل ما كتب عنه لم يمنحه حقه، «تاريخيا هذه تجربة لم يتم توثيقها، صحيح أن هناك نساء كثيرات مررن بذات التجربة خلال الانتفاضة الأولى 1987 لكن توثيق هذه التجربة ظل غائبا، وكل ما كتب كان بمثابة تعبير أطفال، من دون أن يتمكن صاحب التجربة من الدخول بعمق في تركيبة الحبس المنزلي كأداة عقابية».

ويبدو من حديثها أنها أمام رغبة عارمة في محاولة الكتابة عن هذه التجربة وتوثيقها، وتحديدا في ظل أنها ترى فيها مقدارا كبيرا من ممارسة الاحتلال للفن في التلذذ والابتزاز العاطفي، حيث يتم استهداف أعمق نقطة للصمود والثبات والثقة بالذات في داخل كل أسير، في سبيل سلبه إيمانه الداخلي بقضيته وأسباب وجوده في وطنه.

وتقر أن إشكالية الحبس المنزلي تتمثل في كونه سجنا يستهدف شيئا غير ملموس، فهو أداة عقابية ناعمة لكنها خطيرة وقاسية، والسبب في ذلك يعود إلى أن أبعادها غير ملموسة وغير مرئية.

وتفكر مليا حيث تقيم في بيت العائلة في حي الشيخ جراح في علاقة الاستعمار والأمومة، وتؤكد غوشة أن قراراتها الأخيرة أصبحت مرتبطة أكثر في كونها أما، أكثر من كونها قرارات مرتبطة بمبادئها وأفكارها وقناعاتها وما تؤمن به، فالسؤال اليوم بالنسبة لها هو: ما حدود الأمومة؟ وكيف لها أن تكون أما في بلد محتل؟

وقبل العيد بأيام دخل الإحباط مجددا إلى دواخل غوشة، فقد توقعت أن تقوم المحكمة الإسرائيلية بعد تطمينات المحامي أن يتم تحويل عقوبتها إلى «عقوبة خدمة

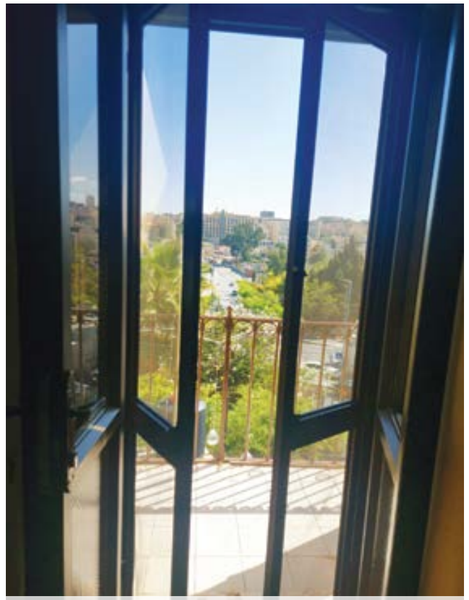
نافذة تطل على حي الشيخ جراح

جماهيرية» لكن جهاز مخابرات الاحتلال «الشاباك» رفض ذلك وهو ما جعل القاضي يؤجل البت بقرار حكمه إلى شهرين إضافيين. وتصف حالتها بعد قرار القاضي الأخير: «أنا أسير مع المجهول تماما، الأيام تمر، والعمر يمر من وقتي وأيامي ومن تفاعلي المفروض مع الحياة، الحياة بالنسبة لي حالة من التجمد، وبالتالي كل شيء معلق على كل المستويات، حياتي الاجتماعية، شغلي، دراستي».

ورغم ذلك الإحباط إلا إنها تستدرك قائلة: «أنا أقاوم أيضا، ولا أندب حظي كما يظن البعض، أحاول أن أكتب عن السجون، وأحاول أن أنجز دراستي للماجستير حول عملية انتزاع الحرية في عملية (نفق الحرية) من سجن جلبوع، كما أنني أحاول أن أرسم، أفعل كل ما يجب فعله كي أقصي فكرة الخمول عن جسدي وروحي، ومع ذلك ينتابني أحيانا إحساس بالوقت، وهي مسألة يمكنها أن تشعرني بالإحباط من جديد».

ساعتان من حياة السجن

تتحدث غوشة عن اعتقالها بتاريخ الرابع من ايلول/سبتمبر العام الماضي كأنه حدث بالأمس، تخبرنا أن الاحتلال قام بتحويلها من مركز تحقيق المسكوبية بالقدس إلى مركز توقيف هاشرون، وهناك قضت عشرة أيام في سجن جنائي لأصحاب الجرائم الخطيرة، وكانت السجينة (الانثى) الوحيدة في ذلك المكان، وهو أمر ضاعف الخوف والقلق لديها، كما أنه أخافها من فكرة أن من يعتقلها يمكنه أن يوفر لها الحماية داخل السجن من اعتداءات مدمني مخدرات أو مجرمين أو مغتصبين، وهي مسألة فاقمت من قلق «الأنوثة والذكورة» لديها داخل السجن.

وتقاسمت غوشة الأيام العشرة بين الزنزانة الانفرادية شديدة الرقابة (3 كاميرات واحدة في الحمام) والبوسطة (وهي عربة النقل لمقر لمحكمة، وهي على شكل قبر كبير وأسود ومعتم ومظلم وبارد) والمحكمة في القدس.

جانب من تجربة الصحافية غوشة هو برنامج «بروفايل» الذي كان متخصصا في تجارب الأسرى المحررين، حيث تقول: «لقد عملت لسنوات كتابة وبحثا وبرامج تلفزيونية في محاولة للوقوف على معنى السجن الحقيقي لاستخلاص تلك التجربة المؤلمة والملهمة معا» تتحدث عن علاقتها مع السجن الذي عملت عليه بإنها دخلته لمدة ساعتين ونصف الساعة. تقول: «لقد دخلت سجن الأسيرات قبل أن يصدر قرار الإفراج عني بشروط معينة، عند اعتقالي تم تحويلي من سجن هاشرون إلى سجن الدامون المخصص للنساء، وهناك جلست مع الأسيرات الفلسطينيات وتعرفت على جزء من عالم السجن الموازي، لقد أصبحت جزءا من هذا العالم لساعتين ونصف، كان الهدف بالنسبة لي سيرياليا، وغير حقيقي، كأنه جزء من فيلم درامي».

وتصف لقاء الأسيرات باعتباره «لقاء عاطفيا ودراميا، تعرفت فيه على الأسيرات، وعايشت واقعهن، لم أكن أريد الخروج عندما صدر قرار الإفراج عني لحظتها، وهو أمر خلق عند الأسيرات حالة من الذهول، قلت لهن: إنني موجودة بالعالم الذي كنت دوما أبحث وأكتب عنه وما زال لدي فضول كبير لمعرفة ما يجري فيه».

تتذكر غوشة عملها في تغطية تجارب الأسرى والأسيرات، حيث عملت في شبكة «القسطل» وقبل ذلك عملت في مؤسسة «إيليا» في إنتاج التقارير والقصص والأفلام عن الشهداء والأسرى بين الفترة ما بين (2014 – 2017) وهي فترة شهدت تصاعدا في عمليات المقاومة الفردية، حيث اعتقلت وسجنت منزليا لمدة 5 أيام إلى جانب كفالة بمبلغ 5 آلاف شيكل حيث أغلقت المؤسسة بالشمع الأحمر بتهمة التحريض.

تضيف: «من تلك الفترة بدأت الحكاية بالنسبة لي، الأمر كان يرتبط بطبيعة عملي، والأثر الذي يتركه على مجتمع مدينة القدس المستهدف احتلاليا، صحيح أنه مجتمع صغير ومحلي ومحدود وفي جغرافيا صغيرة، لكنه بالنسبة لي كان عملا مرتبطا بالحديث عن المهمشين من الشهداء والأسرى وإعلاء صوت الناس، وهي مسألة لم تكن تهدف إلى توصيل رسالة بسيطة إنما هدفت إلى خلق حالة من الوعي».

وتكمل: في تلك الفترة كنت أسمع عن الحبس المنزلي والسجون من أهالي الأسرى والأسرى المحررين، بالنسبة لي كل شيء كان مسألة نظرية، كنت أسمع كلمات أن السجن أهون من الحبس المنزلي، وكنت أقول في نفسي: مش معقول، فأنت جالس في بيتك، لكن عندما لامست التجربة عرفت أنها أكثر قساوة من السجن الفعلي».

في نهاية الحديث سألنا لمى غوشة ماذا يريد الاحتلال منك، صمتت قليلا، وقالت، «الاحتلال يريد أن يسكت صوت الناس الحر، ويريد أن يعلّم على كل الصحافة الفلسطينية» وتقر بنوع من الأسى أن هذا حدث فعلا، «حيث أصبح الجميع يحسب الحساب عند كلامه، الكل أصبح يخاف بعد قضيتي».

ورغم الضريبة التي دفعتها وما زالت تدفعها، تؤكد أنها كانت تدرك أنها ستدفع الثمن، «أنا مؤمنة بما قمت به، نقلت الحقيقة التي يريد الاحتلال اخفاءها، أو تجميلها».

وما يشغل بال غوشة اليوم يتجاوز ذاتها ويمتد لحالة الصدمة التي عاشها طفلاها يوم اعتقالها، حيث ما زالت مشاعر الخوف مسيطرة عليهما، تقول: «هناك قلق لديهما من أن أنفصل عنهما، دوما يراقبان كاميرات المنزل، وغالبا ما يتتبعاني حتى عند ذهابي للحمام» ولأجل ذلك تحاول أن تزرع فيهما وعيا كاملا بواقع السجن ومفاهيمه، تحاول مواجهة مخاوفهما عبر أخذهما معها لجلسات المحكمة، كي تثبت لهما أنها «ليست بعبعا».

تختم وتقول إن ما يمنحها القوة والصبر في سجنها هو «إصرار الاحتلال على كسرها» و«ما يتخيل حكومة تضع رأسها برأس مواطنة صغيرة ممكن تترك أثرا».

كتب

«دعابة الكاتب» مجموعة قصص العراقي عبد الله طاهر: الميتاسرد وميلاد الأفق والحوار

عادل ضرغام

القصة الأخيرة من المجموعة القصصية التي حملت اسمها «دعابة الكاتب» للقاص العراقي عبد الله طاهر يمكن أن تمثل المدخل الأكثر قيمة في قراءة المجموعة، وفي الإحاطة بالمنحى الفكري أو المعرفي لفعل الكتابة نفسه بشكل عام.

والكاتب حين يضع هذه القصة المفتاح أو الملهمة والدالة في نهاية المجموعة يوجه نحو قصدية في معاينة التشكيل الفني لمجموعة القصص داخل مجموعته من جانب، ومن جانب آخر يؤكد على أن كتابة القصة القصيرة فن خاص في تولده وتشكله، فهي تنأى عن التخطيط المسبق الذي قد نجده في الرواية، لأنها ليست بناء قائما على الترابط المنطقي والتراتب، فهي – أي القصص – أبنية ذهنية معرفية في الأساس في توالدها، وفي ارتباطاتها الممتدة داخل وحدة زمانية خاصة بها، وهي ارتباطات قائمة على الشبهة في إدراك التشابه أو التناسب بين الأشياء خارج بنية زمنية ضاغطة. فهي تتمحور داخل بنية عقلية حدسية، فيصبح واقع القصة متمحورا حول أسئلة الإنسان في وجوده الفردي داخل الكون المصنوع من انفتاح فكري ممتد في العصور القديمة من الزمن بتأسيساته وطبقاته.

فالكتابة القصصية في هذه المجموعة – ووفق منطق القصة الأخيرة – عبارة عن تشظ وجودي للكائن داخل إطارين لا ينفصلان، إطار يمثل نثريات الحياة، وإطار يمثل التكوين الفكري والعقلي الممتد، وكل إطار منهما يؤثر في الآخر، ويغير في طبيعة وجوده، ومقاربته للوجود.

الميتا سرد ومحو النثار الواقعي

وراء هذه الكتابة القصصية الخاصة بالميتا سرد وإشكاليات النوع وتراتبه، أهداف مهمة، فهي تلحّ على خصوصية النوع، وعلى خصوصية التشكيل الخاص بكاتب القصة القصيرة والملامح المشتركة.

في «دعابة الكاتب» هناك اشتغال في مجمل القصص على إشكاليات النوع، وطبيعة وضع وتراتبه داخل الأنواع الأدبية من خلال الصفات المقدمة لها على السنة بعض الشخصيات في بعض القصص، مثل (الفئران الصغيرة)، أو على لسان أحد الناشرين حين يصفها (نفاية الأدب). وعلى هذا الأساس تلحّ قصص المجموعة على صناعة جدارة لهذا الفن نابعة من خصوصية مقاربته ورصده منذ بدايته الأولى، حيث ينطلق من السردي، ولكن لجذوره الشعرية والفكرية لا يبقى على هذا السردي، ويتعاظم عليه، فيجعله أداة لتشكيل المعرفي، خارج حدود القيد الزمني، من خلال الانفتاح على التجاور الممتد لتشكيك الفكرة.

في قصة (اختفاء يد موزارت) ليس هناك حضور لبناء تقليدي قائم على النمو أو الحركة أو التتابع، ولكنْ هناك حضور لعوالم القصة أو لنثارها الواقعي المفرّغ قبل التشكل، أو إذا شئنا الدقة هناك حضور لجزئيات العمل أو الفضاء قبل الكتابة، وكأن في الوقوف عندها بعد كتابة القصة ونشرها نوعا من الحركة بين السرد والميتاسرد، لأن هذه الحركة ستكشف نوعية المقاربة وخصوصيتها، في تحويل هذا النثار الواقعي إلى خلق جديد يتعاظم على محدودية زمانية ومكانية.

تلحّ قصص المجموعة على قيمة العمارة البنائية للقصة القصيرة، وأن هذه البنية المعمارية ليست ساكنة أو ثابتة، لأنها مرتبطة بشيئين، المثير الواقعي، والامتدادات الزمنية السابقة لهذا المثير في تشكلاته، وهذا الارتباط الثنائي يخلق زحزحة للخطية السردية، ويؤسس بنية منفتحة، لتصبح مشدودة إلى مدارات الفكرة وطبقاتها من الآني إلى الماضي، ومن الماضي إلى الآني، وكأن الزمان أصبح دائريا أبديا يتفلت من التعاقب والتراتب، فالقصص كلها تحرّف مؤسسات القصة الواقعية، ليحيل البناء الهيكلي لقصص المجموعة إلى أبنية فكرية ممتدة لمقاربة الأفكار.

الكتابة هنا ليست معنية بالقصة، ولكنها معنية بجزئيات الكتابة ونثارها وأدواتها الغفل التي اكتست واكتسبت وجودا مغايرا بعد الكتابة، فعلاقة المؤلف بما يكتب ليست علاقة تلاش وانتهاء، بل علاقة استمرار ونمو وانفتاح للإضافة والحذف والهدم، فالكاتب لا يغادر موضوع قصصه، بل يقاربه بشكل جديد في كل مرة، ففي عودته لمعاينة فضاءات ورموز قصصه مثل الدوائر والفرجار والمثلث، يدرك أنها في حركة دائمة، لتلبس جديد وإدراك مغاير.

ما يقوم به الكاتب في قصة (يد موزارت) – بوصفها ميتاسرد لقصة غائبة نشرت تحت اسم العين المتوحّدة – هو محاولات التفسير، وفكّ للترابط والمخيلة التي جمعت من خلال التداخل والتشابه بين أشياء بعيدة داخل نسق واحد. يؤيد ذلك قول السارد في تفسيره للمشابهة بين هيكل وبنية قصته وكنيسة وكاتدرائية رايمز الفرنسية في قوله (هل أنني عندما دخلت كاتدرائية رايمز في ذلك الوقت خطرت في مخيلتي كتابة قصة تشبهها، أم أننا نصنع أحيانا مع أنفسنا إجابات عن أسئلة لم نسمعها يوما أم أنها لم تتجسّد بعد).

التأمل في القصة يكشف عن أن فعل الكتابة هو محور الحركة في القصة، بالإضافة إلى أن النص (العين الواحدة) ونثاره الواقعي لا يكف عن الإشارة إلى التداخل والتناظر الكاشف عن محو هذا النثار لحظة تشكله، مما يؤسس اهتماما خاصا بالكتابة في انفتاحها على المعرفي، فالعين المتوحدة تشير إلى فلسفة كتابية، وإلى فلسفة في الوعي الفردي بالعالم تجلت في قصص كثيرة من المجموعة، بوصفها عين المعرفة، ومساحة الاشتراك بين الأبدي والمتحلل والمتلاشي.

المشابهة وميلاد الأفق

يعود السارد في قصة من قصصه إلى مقولة رولان بارت في كتاباته عن أن مراوغة اللغة وخديعتها يعدان جوهر الكتابة والأدب. ففي قصة (غبار النجوم) يستند الكاتب إلى أسطورة بجماليون، وإلى ظاهرة الباريدوليا، ليس لتأسيس الدلالات الجاهزة بتوظيف هذه الأسطورة أو هذه الظاهرة، وإنما لكي يحفر بالأسطورة معنى جديدا آخر، فالفن في منطق القصة هو الشيء غير الحقيقي، أو غير الملموس الذي لا يمكن تكديسه بظواهر الحواس المعهودة.

إن تقسيم كلمة الباراديدوليا يعطي وجودا حقيقيا لهذا التسامي في تشكيل الواقعي وهذا التجاوز الخاص بالنثار الواقعي، فالجزء الأول (بارا) السمو والارتفاع، والجزء الثاني (ديلويا) يشير إلى الواقع أو إلى الحقيقة إذا كان هناك تصور لشيء بهذا المسمّى. وفي ظل ذلك يتشكّل معنى الفن بشكل عام أو فن القصة القصيرة بشكل خاص، لأن بها في أصل نشأتها وجودا لهذا التعاظم وهذا الخروج من السردي الحكائي إلى الفكري والمعرفي، فهي تسرد حكاية أو واقعة، ولكنها لا تبقى في دلالتها على حدود هذه الواقعة، من خلال دورانها وانفتاحها معرفيا على دلالات الرموز الأكثر حضورا، بالإضافة إلى أن تصور الباراديلويا يعطينا تصورا شاملا عن الفن، في كونه محاولة جادة في التقاط

التداخل الكاشف عن الاقتراب بين شيئين بعيدين.

في قصة (الرنجة الحمراء) هناك إصرار في إدراك ومقاربة الوجود من خلال الرائحة، وتلمس وجود الفن أو الفنان الذي لا يتشكل من محسوس، أو من لحم ودم، بل هو أنا مختفية لا يمكن لمسها، بالرغم من اليقين بوجوده من خلال الرائحة، مثلما يشعر الفرد العادي برائحة الرنجة التي تسود في لحظة وجودها أو في لحظة تذكرها. ولكن هذه الرائحة تؤدي أدوارا أخرى أكثر من إشعارنا بوجودها حين ترتبط بالكتابة والفن، فهي تشد الكاتب إلى الارتباط بنمط من الكتاب والمفكرين، فالفن لا يختلف عن الرائحة التي تسهم في اختيار توجه من توجهات إبداعية عديدة متاحة، لصناعة سلسلة إبداعية محمومة بصياغة توجه جديد في مقاربة الأشياء والوجود.

الفارق بين أنا الواقع، وأنا الفن المتعالي يحتاج إلى عين راصدة ترتبط بفكرة التلصص على الوجود، ومن هنا يتمّ الاشتغال على ثنائية الأديب والجاسوس، ويستحضر النص القصصي الكاتبين أيان فليمينغ وجون لو كاريه، ويحيل إلى شخصية روائية هي شخصية جورج سمايلي ضابط المخابرات البريطاني التي اخترعها وشكلها كاريه. تنبع قيمة هذا الربط بين الأديب والجاسوس في قدرته – أي فكرة الجاسوسية – في خلق انخراط مغاير وخاص، فالأديب في ظل هذا الربط أشبه بالعميل المـزدوج، فالسارد– لإسدال نوع من المشابهة– يشير إلى الانتساب إلى الموساد بهولندا كعميل سري، كما يكمل – على حد تعبير النص القصصي– المسلم دينه بالزواج، للإشارة إلى واقع عام أولي، ثم يشير إلى الانتساب من أجل الإغواءات الأدبية إلى جهاز المخابرات الهولندية كمخبر سري.

كتابة القصة وفق هذا المنطق أقرب إلى محاولة الإمسـاك بالشغف، من خـلال كل مـا سبق بذهن جاسـوس لا يكفّ عن التلصص في صناعة عالمه الخاص. فيصبح الكاتب أديبا وعميلا سريا، فالعميل السري من خلال عدسته المفتوحة وتلصصه في تكديس الأشياء لفعل الكتابة، يصنع مشابهة ذات خصوصية مع الأديب، فالكتابة الفنية شبيهة بكتابة التقرير السري، تقول القصة (بينما وراء الوجه الآخر ثمة عشرات من أشرطة نانو المسجلة، تـدور وتسجل صامتة في الخفاء، وهي مكبوتة الأنفاس).

من خلال هذا الفعل التلصصي القائم على المعايشة أو القراءة يمكن معاينة تولد الأفق الجديد من الآفـاق القديمة في ظل اصطفاء حالة مقاربة شديدة الخصوصية ترتبط بوضع الإنسـان في العالم، وفي حضور مفارقات زمنية لكل طبقة من الطبقات الآنية أو الماضية، فاستحضار (إيمـا) في روايـة مـدام بوفاري، أو إسبينوزا في قصة (رداء كهنوتي مزيّن بالببغاوات) يجعلنا أمام نموذجين كاشفين عن اختيار النسق المشابه، وعن تولد الأفق أو الطبقة المعرفية في كل سياق حضاري خـاص للفكرة وتوالدها المستمر.

الكتابة هي فن المتخيل الذي يحقق اتصالا مع تجليات سابقة أما تجاوبا أو تباينا، من خلال الحوار مع هذه الشخصيات في وجودها الممتد، لأن هذه الشخصيات تظل فاعلة باستمرارها ودورانها في أدمغتنا في مقاربتنا للحياة، وتؤثر بالضرورة على اختياراتنا في اللحظات الحاسمة. ومن هنا يتمّ تنضيد مكانة للكاتب العظيم الذي يؤسس بنماذجه حركة حية في حياة البشر، وردود أفعالهم. وتظل (إيما) بطلة مدام بوفاري نموذجا لافتا في هذا الإطار، لأنها بسلوكها الواقعي في إيمانها بما هو خيالي، وابتعادها عن المؤسس العرفي والأخلاقي، أزالت الخط الفاصل بين الواقعي والخيالي، وتولد لديها يقين كامل بذوبان الفواصل بين هذين القسيمين، فتحوّلت حياتها المملة إلى واقع مملوء باللذة والمعاني مثل حياة الأبطال الخياليين الرومانسيين، فبدت– ولم يظهر ذلك في تشكيل فلوبير لها مما يؤسس لخروج طبقة جديدة– امرأة تريد الشيء ونقيضه في الآن ذاته، والفن– أيا كـان نوعه– أشبه بالطبقات المتراكمة التي تتوالد وتتداخل، لتبني توالدها وتداخلها في حوارها الممتدّ، وحركتها غير المنتهية مع طبقة أو طبقات مؤسسة سابقة، فالكتابة – على حد تعبير فعلة وعبادة الكاتب– كالذرة في ميكانيكا الكم، فحين يكون لها موقع تختفي حركتها، وحين يكون لها حركة يختفي موقعها.

عبد الله طاهر: «دعابة الكاتب»
دار شهريار، العراق، البصرة 2022
98 صفحة.

«في البدء كانت الحيلة» كتاب المغربية نعيمة بنعبد العالي: المناورة بين الواقع والخيال في غرفة الكتابة

سارة سليم

نتعامل بالتعود مع بعض المصطلحات التي تفرض تصوراتها الخاصة حتى نصبح مع الوقت مجبولين على تفسير كل ما يحيط بنا وفقا لمنطقها ذاك. لكن لو حاولنا أن نبحث ستنكشف شروحات وتفاسير أخرى غير التي اعتدنا على فهمها من زاوية التعود، وفي الغالب نكتشف أمورا بخلاف ما اعتقدنا أنه صحيح. وهكذا فهم لا تتيحه الكتب ذات المواضيع المكررة والأفكار المستهلكة، بل نعثر عليه في الكتب التي تأتي بموضوع أصيل يحمل طروحات معاصرة، تتماشى وعصرنا هذا، لكنها لا تنطلق منه، بل من الماضي لتقدم قراءة تمسك بالماضي من زاوية الحاضر وتقرأ الحاضر من زاوية الماضي. فحين نقرأ عن جحا وميكي ماوس، عن أبي حنيفة وأرسين لوبين، عن ابن آوى وحُدَيْدَان الحرامي، عن «سكابان» والصعلوك، نتساءل ما الذي جمع هؤلاء ضمن كتاب «في البدء كانت الحيلة»؟

تقول الكاتبة المغربية نعيمة بنعبد العالي في مؤلفها: «الحيلة طريقة أخرى لقراءة الواقع، وتأويله، طريقة أخرى لتقديمه يعني نقله وبلبلته.»

إذن الحيلة هي الطريقة الأكثر حيلة لفهم الواقع، ولا يمكن للواقع بأي حال من الأحوال أن يبوح بأسراره دفعة واحدة ما لم توجد الحيلة. إنها كذلك الرابط الذي يجمع بين الآداب العربية والعالمية، الحديثة والقديمة، الخيط الرفيع الذي يمزج الحقيقة بالخيال حين يختلطان ببعض على سبيل الأدب.

ترى بنعبد العالي أن «الأدب لا يفترض واقعاً طبيعياً عادياً بعيداً كل البعد عن الخيال، ثم يأتي الخيال ليغيره وينسج حوله الحكايات. فالخوارق تدخل في نطاق اللعبة الأدبية كما تدخل في الحياة اليومية بفضل اللغة. لغة تتداخل حقيقتها مع مستحيلها، وتتعايش بها المتناقضات. «

وهكذا فإن الحيلة أكثر الطرق مقدرة على مجاراة العادي من حياتنا دون مخاتلة الواقع بواقع لا يمت له بصلة، فالحيلة «ليست نظرة متشائمة فقدت ثقتها في الإنسانية، ولكنها نظرة خالية من الأوهـام»، كما عبرت عنها المؤلفة، وتطرقت إلى الفرق بين العجائبي الذي يقتات على الخيال والحيلة التي تنطلق من الحياة الواقعية.

وبهذا تؤكد أن الحيلة بخلاف الخديعة التي تتكرر على مسامعنا دائماً، ونراها في بعض مشاهدنا اليومية، لتصبح في الغالب من الثوابت التي تؤسس للطبيعة البشرية بما تحمله من خير وشر. لكن الحيلة كما وصفتها تتجاوز ذلك، لأننا سنقرأها في المؤلفات الأدبية ولا نحتكر نظرتنا لها في تصرفات بعينها، بل في ما يمكن أن يحرك الذهن و ينشط ملكة التفكير ويدعو بطريقة ما للتساؤل. لذا: «تخضع للتأليف والتنميق اللغوي؛ وتدخل في خزانة الذاكرة الشعبية ونجدها بين طيات الكتب»، على حد تعبيرها.

تصمد دائما الكتب التي تسرد سيرة الحيلة حين تكون ذكاء من نوع خاص، ذكاء يحمل من الدهاء والطرفة ما يجعله قيد القراءة على الدوام، فهكذا نوع من المؤلفات يقاوم التحولات التي تطرأ على الزمن. ذلك أن أفكارها لا تربط نفسها بوقت محدد بقدر ما تربط نفسها بالحيلة كوسيلة لفهم البشر في كل زمان ومكان، ككتب المهدّاني والجاحظ وابن الجوزي والحريري، وعن هذا النوع من الكتب ترى بنعبد العالي أنها: «تتحدى الزمن لكونها لا تسقط في تجويفات التهذيب. يكمن الافتتان بها في جمال خبثها وعبثية هزلها. كيد أبطالها ومكرهم هو الذي يضفي عليها جماليتها.»

ولاشك أن اللغة تلعب دورا كبيرا في ممارسة الدهاء على سبيل الحيلة، فلولا دهاء اللغة ما وجدت الحيلة، فحين يود المحتال أن يقنع غيره بأمر ما، فإن العامل الأساسي الذي يستخدمه للإقناع هو اللغة دون استخدام العنف، «فالحيلة لا تعترف بالعنف»، بل بعبقرية اللغة. لذا: «تلعب اللغة في النكتة وفي الحيلة دوراً مهماً يظهر جلياً مثلاً في المقامات»، كما تصفها المؤلفة.

«إن توسّع دائرة الحيلة وتُضيِّقها يؤدي إلى تغيير تعاملك مع الكون. عالم مليء بالتحايل هو عالم خال من الإيمان بالأساطير والشعوذة» من وجهة نظرها. إذن الحيلة بتعبيرها هي: «انحراف عن الطريق»، والخدعة هي«إخفاء الواقع».

الكتابة كما أراها مقايضة للواقع بالخيال، فلا هي واقع صرف ولا هي خيال بحت. لذا لا يمكن أن نخضعها لميزان الواقع، ولا لميزان الخيال، للكتابة الجيدة ميزانها الخاص الذي لا يستقيم إلا بهما معا.

وقد تحدثت بنعبد العالي بشيء من الدقة عن تلك المناورة التي تحدث بين الواقع والخيال في غرفة الكتابة، إذ تقول: «وقد يكون هذا هو معنى الكتابة، أن تجعل الحواجز فضفاضة بين الواقع والخيال بين الأسطورة والتاريخ بين الدال والمدلول». وهي بهذا تؤكد على أن للأدب «خيالاً يعكس خياله، وقد يدور حول نفسه ويخترع حقيقته كما يخترع خياله، ويصبح العجيب هو ذلك الممكن المستحيل، قريب من اليد، ولكن يتعذر إمساكه، الداني البعيد، فخ العقل ولعبة المعقول.

وعن قصة هاروت وماروت التي سردها القزويني تطرقت المؤلفة إلى فكرة مهمة جدا، وفي رأيي الخاص عميقة إلى أبعد حد، فهي ترى أن الكاتب لم يشأ قتلهما وإنما أراد أن يؤكد وجودهما، إذ تقول إن «الحقيقة لا تكمن في وجودهما الفعلي بل في الاعتقاد بهذا الوجود. فالحقيقة خيالية، لهذا فهو يبحث عنها في الأوهام ويجدها هناك». وهكذا تَذكر وتذكّر بما قاله ابن خُرْدَاذَبه في «المسالك والممالك»، أن «البعد العقلاني لهذا التحقيق ينطلق من بداية الإيمان بالأشياء الخارقة للعادة.»

الأدب العربي شأنه شأن الآداب العالمية لا يأتي باليقين، لكنه في الوقت ذاته يبتكر يقينه الخاص، الذي لا يمكن الإفلات منه أو المسك به، فهو بتعبير الكاتبة «دونكيخوتي يُبدع واقعه ويحول حقيقته». أما الراوي أو القاص من وجهة نظرها فهو «ذلك الشخص الذي يستعمل طلاسم اللغة، ليقلب العالم على عقبيه ويمسح الواقع.

وعن دور الحيلة والنادرة أدبيا تقول: «إذا كانت النوادر تحكى عن المغفلين والمخدوعين، فالمغفل الأول هو القارئ، لأنه لا يدري دائماً أين تنتهي به الرحلة، وهو دائماً في ترقب»، ثم تؤكد على أن «النادرة الناجحة هي التي تسافر به بعيداً، لكي يجد نفسه في مكانه بعد أن رجع من ضحكته، والدرس هو: كيف لا تأخذ الحياة بجدية متطرفة.»

في البدء كانت الحيلة بمثابة العلاقة بين المحتال والشيطان وما يجمع بينهما من مكر ودهاء، فكلاهما بتعبيرها يميل إلى «النزعة اللاأخلاقية وانعدام الضمير». أما الداهية كما وصفته فهو ذلك «الشخص الذي يعرف كيف يُبهرك بحقيقة واهية.»

برأيي أن الذي يتفنن في الحيلة بشقها السلبي والإيجابي كالذي يمارس السحر، فالحيلة «هي الوجه الآخر للسحر، تستعمل في الحكايات كبديل للأدوات العجيبة. كثير من الحكايات تعوّض العنصر السحري بالحيلة، ويطلب من البطل أن يجد حلاً، ويخرج من ورطة باستعمال ذكائه»، كما جاء في الكتاب.

وتطرقت نعيمة بنعبد العالي إلى دور الحيلة أو قيمة الحيلة التي لا تلعب على العاطفة حين يتخذها نوع معين من البشر وسيلة للتكسب، ومثالها عن ذلك الشحاذين، بل هي أرفع شأنا من أن توضع في خانة الشكوى والإشفاق، كما أنها تسمو على النبرات الخطابية التي تقتل الروح الساخرة التي تتميز بها. وفي المقابل تعمل على إخفاء جانبها الغامض أو لربما ذلك الجانب هو ما يجعلها مميزة، إنها ببساطة تقوم على التفكيك، فلا نعرف لها في القصة نهاية. إذن «التفكيك يكمن في فن الكتابة»، بتعبير بنعبد العالي، كما أنها تعتبر الشك «كانطلاقة لتثبيت الخيال والدخول في تفاصيله».

وكإجابة عن التساؤل الذي طرحته في بداية المقال عن العلاقة التي تجمع بين مجموعة شخصيات يأتي على ذكرها الكتاب، فلابد أولاً من الإشارة مرة أخرى إلى أن هذا المنجز هو من الكتب الأصيلة فكرة وطرحا، لأنه يقدم مادة تقوم أولاً وأخيرا على جهد الكاتبة في تبيان العلاقة التي تجمع هؤلاء والحديث عن الحيلة التي «تأخذ كرمز للحياة وكطريقة عيش، وتتلوّن وتتقمص في شخصيات متعددة دون أن تبلى أو تضمحل ميزاتها».

لا يمكن الإلمام بكل الأفكار التي طرحها الكتاب خاصة فيما يتعلق بالحيلة التي بدأت في الحكايات الشعبية حتى استقام عودها لتنتقل بعد ذلك إلى المؤلفات وصارت تقرأ قراءة إيجابية بل أصبحت ذكاء كما وصفت الكاتبة على لسان ابن الجوزي.

وفي الأخير، الحيلة ليست وليدة ظرف معين وحالة بذاتها وإنما «متجذرة في أعماق البشرية، في أساطيرها الأولى، لكي يصبح الإنسان إنساناً، أي متحضراً، ويخرج من الحيوانية والوحشية يجب أن تكون هناك حيلة أصلية».

كما أنها «منبع الثقافة، وهكذا تعود بنا الحيلة إلى أعماق الدهر» حسب نعيمة بنعبد العالي، لذا من المهم القول إنه في البدء كانت الحيلة.

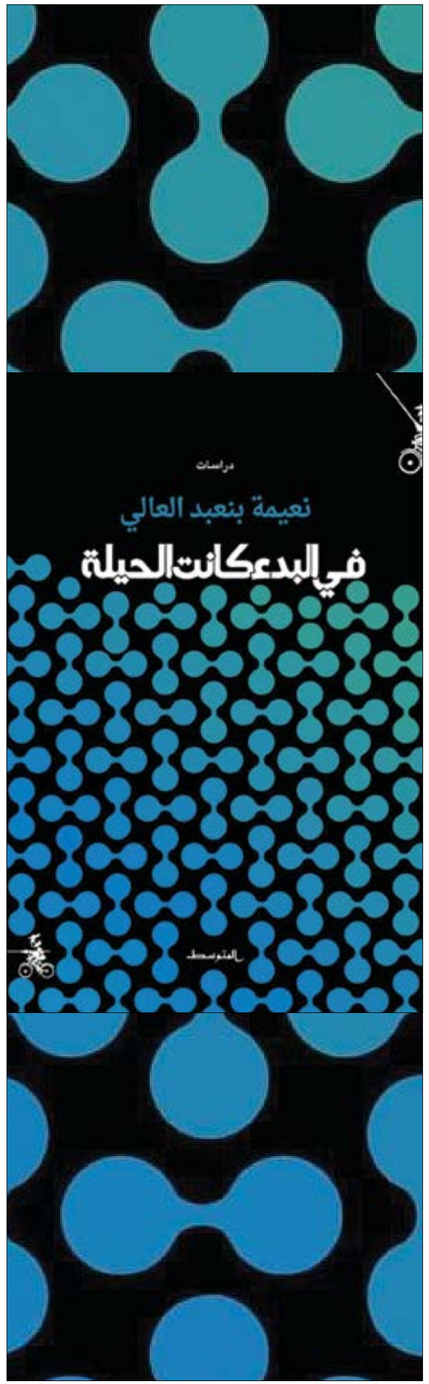

نعيمة بنعبد العالي: «في البدء كانت الحيلة»
منشورات المتوسط، ميلانو 2023
135 صفحة.

المقال

زياد ماجد

التراشق بالفرانكية بين برشلونة وريال مدريد

دخل التنافس التاريخي بين ناديّي برشلونة وريال مدريد في إسبانيا منعطفاً جديداً يتخطّى مسائل الرياضة والهويّات الجهوية واللغوية وموقف الكاتالان من عاصمة المملكة، ليفتح نقاشاً حول صفحة من صفحات التاريخ الإسباني المعاصر ظلّ التطرّق إليها محدوداً ومُتجنَّباً لفترة طويلة.

فوسط أزمة يعيشها برشلونة نتيجة تحقيق القضاء بمزاعم حول علاقته المؤسساتية والمالية غير المشروعة بأحد أبرز حكّام كرة القدم السابقين (نيغريرا)، فتح النادي الكاتالاني النار على غريمه المدريدي، متّهماً إياه بالتحريض في القضية ومحاولة التأثير على مسارها القانوني، ثم مصعّداً حملته الى حد القول بأن نادي العاصمة كان نادي النظام أي نادي فرانكو الذي حكم البلاد بين العامين 1939 عقب الحرب الأهلية والعام 1975، عام وفاته.

ردُّ ريال مدريد لم يتأخّر، فأنتجت إدارته الإعلامية فيلماً وثائقياً قصيراً نفى الاتهامات، مذكّراً بقمع فرانكو للمدريديّين. وأشار في المقابل الى تكريم نادي برشلونة لفرانكو نفسه وإهدائه ميدالية ذهبية، وفوز الكاتالينيين بالبطولة 5 مرات والكأس الإسبانية 4 مرّات في سنوات الفرانكية الـ14 الأولى الأشد قمعاً وقسوة (1940 – 1954)، مقابل فوز ريال بالكأس مرتين فقط في تلك الحقبة وعدم فوزه بالبطولة أي مرة...

ما حقيقةُ هذه الاتهامات المتبادلة إذن، وما الذي تشي به سياسياً أو تداخلاً بين الرياضة والسياسة في بلد تُعدّ مباراة قطبيه الكرويّين (الكلاسيكو) الأشهر في العالم والأكثر استقطاباً للمتفرّجين ولعقود التغطية التلفزيونية وإعلاناتها (شهدت آخر مباراة بينهما هذا العام نسبة متابعة قاربت نصف مليار مشاهد وعقود نقل مباشر وإعلانات من 182 دولة)؟

الفرانكية وهندسة السياسة الرياضية

ينبغي القول بدايةً إن فرانكو لم يكن يكترث بكرة القدم ولم تكن تعني شخصياً له شيئاً. ويذكّر مؤرّخو الرياضة في إسبانيا أنه قرّر «تبنّيها» بعد استتباب الأمر له في السلطة وتصفيته عشرات الآلاف من خصومه (ليضافوا الى مئات الآلاف الذين قضوا في الحرب الأهلية أو الذين أعدمتهم كتائبه خلالها)، كي ينتفع سياسياً من جماهيريّتها الضخمة في البلاد. كما أنه رعاها رسمياً بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وعدم حصول إسبانيا على معونات من مشروع مارشال الإعماري في أوروبا، ليحوّلها الى عنصر حضور ونجاح إسباني على الساحة القارية يجذب الاهتمام والاستثمارات.

هكذا، دُعمت المسابقات الوطنية الإسبانية على نحو واسع من الدولة بعد العام 1945 وتعاظمت أهمّيتها بعد تأسيس المسابقات الأوروبية للأندية الأبطال العام 1956.

على أن ما حصل قبل ذلك مباشرة وخلاله هو ما ارتبطت به الاتهامات المتبادلة بين برشلونة وريال مدريد. ولا شكّ أن نادي العاصمة محقّ في نفي قربه من فرانكو في السنوات التي رافقت الحرب الأهلية ثم انتصار الأخير. ذلك أن كتائب فرانكو قصفت خلال الحرب مقرّ ريال مدريد (الذي تأسّس العام 1902 ونال لقبه الملكيّ – مثل الكثير من الأندية الإسبانية – العام 1920) ونهبته وأحرقته ما تبقّى من محتوياته بعد اجتياحها للعاصمة. كما حلّت السلطات الفرانكية مجلس إدارته وروابط مشجّعيه، ولجأ رئيسه رافاييل سانشيز غويرا، الجمهوري الذي تولّى الأمانة العامة للحكومة الجمهورية الثانية المعادية للفاشية، الى المنفى الفرنسي حيث أقام خمسة وعشرين عاماً. أما رئيس ريال مدريد التاريخي سنتياغو برنابيو (الذي استلم المنصب بعد إعادة تأسيس النادي وإحياء هيئاته العام 1943 واستمرّ في منصبه حتى العام 1978)، فقد كان ملكيّاً كارهاً لفرانكو، وعبّر بعد وفاة الاخير (بكلمات بذيئة) عن مدى احتقاره للقاتلين بعلاقة ناديه به.

والحقّ أن الأجهزة الفرانكية كانت في مطلع الأربعينات داعمة لنادٍ مدريدي آخر تأسس العام 1903 تحت مسمّى «نادي الطيران»، ثم تحوّل اسمه تحت تأثير روابط طلّاب معجبين بالنادي الأقدم والأكثر فوزاً بالألقاب في إسبانيا وقتها، أتلتيك بلباو (الباسكي)، الى نادي أتلتيكو مدريد. لكن صعود ريال مدريد لاحقاً، واستهلال حقبة من التنافس المدريدي الكاتالاني بعد تراجع أتلتيك بلباو وأتلتيكو مدريد ابتداءً من الخمسينات، ودخول ريال مدريد المسابقات الأوروبية وفوزه بكأس الأبطال لخمس مرّات متتالية، جعل فرانكو يعدّه سفير إسبانيا الواجب استغلال تفوّقه لتظهيره كتفوّق للرياضة الإسبانية في عهده. فتكوّنت إثر ذلك العلاقة «الملتبسة» بين النادي والسلطات السياسية (ولعبت زوجة فرانكو دوراً في ذلك)، لتلتصق بصورة ريال مدريد فكرة القرب من فرانكو وليكرّرها البعض لاحقاً جهلاً أو لذعاً.

برشلونة من جهته (وهو تأسّس العام 1899)، لم يكن لما يمثّله جهوياً وثقافياً على عادته جيدة بمركز السلطة في مدريد. لكنه استفاد من دعم البرجوازية التجارية الكاتالانية التي وفّرت له مداخيل أتاحت التعاقد مع لاعبين ومدرّبين جيّدين، فصعد منافساً ناديّي العاصمة والنادي الباسكي (أتلتيك بلباو) وثلاثة أندية أخرى كانت من الأقوى إسبانياً (فالنسيا، وريال بتيس وأشبيلية الأندلسيّين). وسيطر برشلونة على النصف الثاني من الأربعينات ومطلع الخمسينات، في عزّ السطوة الفرانكية، ولم يُزحه عن الألقاب بعد سنوات إلا ريال مدريد إياه، ممّا أطلق ابتداءً من منتصف الخمسينات تنافساً ندّية حادة بين الناديّين.

تخلّل كل ذلك عدد من التدخّلات السياسية من الأجهزة الفرانكية. واحدة لتسهيل تعاقد المهاجم الأرجنتيني الأعظم في زمنه دي ستيفانو مع ريال مدريد (على حساب برشلونة الذي كان يسعى أيضاً لاستقدامه الى صفوفه) العام 1953. ولع بعد ذلك نجم دي ستيفانو مع نادي العاصمة على مدى سنوات وحصد الألقاب الوطنية والقارية ومُنح الجنسية الاسبانية وأصبح أيقونة مدريدية ثم رئيساً فخرياً للنادي. أما التدخّلين الآخرين البارزين في سياق هذه المنافسة، فكانا لصالح برشلونة وحصلا حكومياً بإيعاز من فرانكو لإنقاذ النادي الكاتالاني مرّتين من الإفلاس المالي، لكي تبقى الثنائية المستقطبة اهتمام الأوروبيين والأمريكيين الجنوبيين قائمة، ولكي يجذب الناديان أفضل نجوم العالم. وهذا ما دفع برشلونة الى تنظيم تكريم لفرانكو لشكره (الأمر الذي ذكّر به المدريديون في المعركة الإعلامية الدائرة راهنا).

بهذا المعنى، يمكن أن نقول إن لا ريال مدريد ولا برشلونة كانا فعلياً ناديي النظام الفرانكي على ما يتّهم واحدهما الآخر اليوم. لكنّهما استفادا في بعض مراحل الحقبة الفرانكية من السياسات الحكومية، نتيجة سعي الدكتاتور الإسباني لتوظيف كرة القدم والشغف الجماهيري بها تبييضاً لصورته وتحسيناً لسمعته داخل إسبانيا وخارجها، وبحثاً عن دور لبلاده بوصفها معقلاً للرياضة الأكثر شعبية أوروبياً وعالمياً.

ذاكرة إسبانيا المقيّدة

على أن الأهمّ ربما ممّا ورد ومن الحملات والحملات المضادة بين غريمَيْن كرويّين كبيرين هو فتح النقاش والسجال حول بعض معالم الحكم الفرانكي وعلاقته بتوظيف الرياضة سياسياً. ذلك أن الصمت أو تفادي الموضوع ميّزا سنوات ما بعد الفرانكية في إسبانيا، وما زال النقاش حول فرانكو كما محاكمته يثيران التشنّج والتصادم إعلامياً وسياسياً رغم التبدّل التدريجي الذي حصل منذ العام 2000 وبروز أصوات سياسية وأكاديمية وجمعيات أهالي ضحايا لم تعد تحاذر الخوض في المسائل الأكثر إشكالية وإيلاماً في تاريخ إسبانيا في القرن العشرين.

وموذ التجنّب أو المحاذرة في التطرّق الى الفرانكية لفترة طويلة ارتبط بعمق الانقسام المجتمعي الذي رافق مرحلة التحوّل الديموقراطي عقب موت الدكتاتور، واعتبار اقترافاته وجرائمه صفحة طواها الزمن ويُفيد عدم التطرّق إليها لتجنّب التوتّرات والاتهامات وتحميل المسؤوليات حول الحرب الأهلية وما تلاها في لحظة كانت تتطلّب إجماعات سياسية على إعادة تشكيل السلطات والأحزاب وتعديل التشريعات وإطلاق الحرّيات العامة وبناء استقلالية القضاء وتطوير المقاربات الاقتصادية والضريبية وصياغة العلاقة الجديدة الواجبة بين مدريد والمناطق الإسبانية المختلفة، وغير ذلك من متطلبات الدولة الديموقراطية الفدرالية (الملكيّة الدستورية).

يُضاف الى هذا طبعاً أن بيروقراطية الدولة نفسها التي عملت في ظلّ فرانكو، أقلّه في العقدين الأخيرين من حُكمه، استمرّت ممسكة بمفاصل الإدارة العامة لفترة من بعده، ومثلها الكثير من «النخب» السياسية والعسكرية والاقتصادية التي كانت من دعائم نظامه، والتي بقيت في مناصبها أو وجدت أدواراً جديدة لها بعد موت الـ«كاوديو» (على ما كان يُلقّب). كما أن الكنيسة الكاثوليكية، في بلد ظلّت بعض أريافه وشرائح سكّانه شديدة التديّن أو التعلّق بالطقوس الدينية، لعبت دوراً في الدعوة الى تجنّب «نكء جراح الماضي»، ليس من باب تقليد «المسامحة» فقط، بل أيضاً (وخاصةً) بسبب تاريخ الكنيسة الرسمي المتواطئ مع فرانكو والمتحالف مع نظامه بحجة مكافحة الشيوعية والغوضى والتفكّك وفرض النظام والطاعة والاستقرار.

في أي حال، تسبّبت تصريحات لابورتا رئيس برشلونة وما فيها من اتّهامات ومغالطات بفتح سجال ضروري حول علاقة الأنظمة بالأندية الرياضية الكبرى. وهو سجال حصل ويمكن أن يحصل ما يُشابهه في العديد من الدول والتجارب. والجيّد في الأمر أن التصريحات والسجالات أظهرت استخدام «الفرانكية» من قبل الطرفين بوصفها شتيمة وعاراً حاول كل طرف إلصاق تهمة التعامل معها بالطرف الآخر. وهذا في ذاته مدخل بليغ ومهمّ لتعامل «الرياضيّين» وجماهيرهم (والمُعلنين المرتبطين بهم) مع أربعين عاماً من التاريخ الإسباني المعاصر وما شهده من انتهاكات وجرائم حرب وفاشية وحُكم دكتاتوري.

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

كاريكاتير: محمد سباعنة

الكوميديا الإلهيّة وسياسة الانتظار

منصف الوهايبي

كان كثير أو قليل من العرب ينتظرون من «الثورات» التي حدثت في بعض دول العالم العربي (تونس ومصر وليبيا وسوريا) لا سقوط الأنظمة التي توسم بالدكتاتورية والاستبداد فحسب، على ضرورة تنسيب هذا الحكم؛ وإنّما أيضا قيام بديل ديمقراطيّ حقّ، وتداول سلميّ على السلطة. ولكنّ الانهيار المفاجئ أو غير المتوقّع للأنظمة التي وقف بعضهم موقفا مشرّفا في مساندة ثوّار الجزائر، حلّ محلّه خوف أو خشية من أن تؤدّي هذه «الثورات» إلى تصدّى بعض هؤلاء لتاريخ الاستعمار وطرق إنهائه، وكانت تحدوهم رغبة حقيقيّة في معرفتنا؛ وكانت القوميّة العربيّة وقتها في أوجها. ولكنّ هذه «العناية» بدأت تنحسر خلال السبعينات، كما يقول بنجمان ستورا. وللقارئ أن يعود إلى كتاب ادوارد سعيد، الاستثنائي «الاستشراق»، فلم يكن صدوره عام 1978 محض صدفة.

أمّا اليوم فقد حلّت مطلّعم حركات يمينيّة متطرّفة في الدنمارك والنمسا وهولاندا والنرويج وإيطاليا وفرنسا؛ ولا جامع بينها سوى «رهاب الإسلام» الذي يجسّد في زعمهم التعصّب، وعدم التسامح، والإرث الرجعي في مواجهة الغرب الديمقراطي. بل جعلوه يتهدّد أوروبّا في عقر دارها، وكأنّها بقبولها المهاجرين «تحفر قبرها بنفسها».

ثمّة اليوم «جهل» مستفحل بالعالم العربي، بل إنّ «الصورة النمطيّة» القديمة تترسّخ باستمرار؛ وكأنّ هذا العالم جماعة من الناس أمرها واحد، أو هم يلزمون المذهب نفسه والطريق نفسها، وبخاصّة في الغلوّ في الدين، أو أنّ «الاستبداد» متأصّل فينا مشارقة ومغاربة، أو هو جزء من تركيبة عقولنا.

لم تختف هذه «الصورة» من المخيال الأوروبّي، بل ربّما حلّ محلّها بعد ثورات «الربيع العربي» يأس المثقّفين الأوروبيّين من إمكان حدوث تطوّر ديمقراطيّ حقيقيّ في العالم العربي؛ أو أنّ ذلك سيظلّ شأن أفراد من المستنيرين العرب، أو «شباب الفيسبوك» ووسائل الاتّصال الاجتماعيّة الجديدة. على أنّ هذا الشباب ليس «متجانسا» كما قد يقع في الظنّ. وأكثرهم لا يدرك لضعف محصوله المعرفي والدّيني أنّ إسلام اليوم هو غير إسلام الأمس؛ بل لا يتنبّه إلى «خطّة» المستبدّين، من أجل ترسيخ الثقافة المحافظة وتقوية دور الدين، بمعزل يكاد يكون تامّا عن منجز حركات الإصلاح. وهل من أحد من مثقّفي الشمال يدافع اليوم عن هؤلاء الذين تقطّعت بهم سبل العيش.

وهم المثقّفون الذين كان أسلافهم، أثناء حرب التحرير الجزائريّة، يواكبون حال مجتمعاتنا، من أمثال ريموند آرون وبيير بوردیو، وبيير نورا الذي كان كتابه عن الجزائر باكورة أعماله، إلى جان بول سارتر وجان دانيال ... بل وقف بعضهم موقفا مشرّفا في مساندة ثوّار الجزائر، حلّ محلّه خوف أو خشية من أن تؤدّي هذه «الثورات» إلى تصدّى بعض هؤلاء لتاريخ الاستعمار وطرق إنهائه، وكانت تحدوهم رغبة حقيقيّة في معرفتنا؛ وكانت القوميّة العربيّة وقتها في أوجها. ولكنّ هذه «العناية» بدأت تنحسر خلال السبعينات، كما يقول بنجمان ستورا. وللقارئ أن يعود إلى كتاب ادوارد سعيد، الاستثنائي «الاستشراق»، فلم يكن صدوره عام 1978 محض صدفة.

أمّا اليوم فقد حلّت مطلّعم حركات يمينيّة متطرّفة في الدنمارك والنمسا وهولاندا والنرويج وإيطاليا وفرنسا؛ ولا جامع بينها سوى «رهاب الإسلام» الذي يجسّد في زعمهم التعصّب، وعدم التسامح، والإرث الرجعي في مواجهة الغرب الديمقراطي. بل جعلوه يتهدّد أوروبّا في عقر دارها، وكأنّها بقبولها المهاجرين «تحفر قبرها بنفسها».

ثمّة اليوم «جهل» مستفحل بالعالم العربي، بل إنّ «الصورة النمطيّة» القديمة تترسّخ باستمرار؛ وكأنّ هذا العالم جماعة من الناس أمرها واحد، أو هم يلزمون المذهب نفسه والطريق نفسها، وبخاصّة في الغلوّ في الدين، أو أنّ «الاستبداد» متأصّل فينا مشارقة ومغاربة، أو هو جزء من تركيبة عقولنا.

لم تختف هذه «الصورة» من المخيال الأوروبّي، بل ربّما حلّ محلّها بعد ثورات «الربيع العربي» يأس المثقّفين الأوروبيّين من إمكان حدوث تطوّر ديمقراطيّ حقيقيّ في العالم العربي؛ أو أنّ ذلك سيظلّ شأن أفراد من المستنيرين العرب، أو «شباب الفيسبوك» ووسائل الاتّصال الاجتماعيّة الجديدة. على أنّ هذا الشباب ليس «متجانسا» كما قد يقع في الظنّ. وأكثرهم لا يدرك لضعف محصوله المعرفي والدّيني أنّ إسلام اليوم هو غير إسلام الأمس؛ بل لا يتنبّه إلى «خطّة» المستبدّين، من أجل ترسيخ الثقافة المحافظة وتقوية دور الدين، بمعزل يكاد يكون تامّا عن منجز حركات الإصلاح. وهل من «الإصلاح» انتشار حصص البثّ الدينيّ في القنوات التلفزيونيّة والإذاعيّة الرسميّة؟ بل هناك من اعتبر هذا المنحى تحصينا للمجتمع من «الإسلامويّة» وقد جعلوا منها شبحا مخيفا وكابوسا مرعبا.

بل إنّ الدبلوماسيّين الأوروبيّين لم «يدركوا» في الإبّان أنّ ما حدث في تونس كان بداية ثورة، وأنّ «هروب» الرئيس بن علي كان حقيقة؛ وقد كتبت شخصيّا أنّ للثورة التونسيّة 17/ 14 وجهين اثنين: «ثورة المحروق» [محمّد بوعزيزي] الذي أحرق نفسه يأسا من وضعه المتردّي، وكان «شهيدا حتف أنفه» كما كتبت في «القدس العربي»، و«ثورة الحارق» [بن علي الذي هرب وأفراد أسرته]. وباختزال مخلّ لا ريب، فإنّ ثورات «الربيع العربي» لم تكن مؤامرة كما يروّج لها بعض اليوم؛ فقد فاجأت الحكومات الغربيّة مثلما فاجأت المثقّفين والرأي العامّ.

ما الذي ننتظره اليوم من مفكّرينا نحن ومثقّفينا؟ أيمكن أن يستعيدوا مصطلح «الإصلاح» وأن يتعهّدوه ثانية بما استجدّ من «ثورات» و«ثورات مضادّة»؟ هذا المصطلح الذي شاع في كتابات المصلحين العرب منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين خاصة، ثمّ تحجّر بريقه في فترة ما، بعد أن حلّت محلّه مصطلحات أخرى مثل «الحداثة» و«الحداثية» و«ما بعد الحداثة، التي يمكن النظر إليها على أنّها ردّة فعل على إصلاح لم يُؤت بعض أكله إلا في بعض البلاد العربية، وبخاصّة ما تعلّق منها بحقوق الفرد عامّة والمرأة تحديدا؛ كما هو الشأن في تونس.

اليوم قد يكون من المفيد لنا أن يُعاد الاعتبار ثانية إلى هذا المصطلح «الإصلاح» الذي يختلف العرب بشأنه، وأن يخشاه من يخشاه منّا، بدل أن ننتظر «الغيث الأوروبي» المشغول بمعاناة «تداعيات» ما يحدث على حدوده الجنوبيّة؛ وليس بوضع مفاهيم جديدة عن العالم العربي، من شأنها أن تقطع الصلة بالتمثّلات القديمة التي عفا عليها الزمن، كما يبيّن فيتوريني عن حقّ. وهل ثمّة أكثر خطورة من شيح «الخوف» من «الآخر»، الذي يغذّيه القديم على نحو ما يغذّيه الجهول الجديد، في تقديرهم المتحيّز؟

ما الذي ينتظره إذن هؤلاء التونسيّون الذين يطمحون بأبصارهم إلى «جحيم دانتي» وهم يرون طوابير آبائهم وأمّهاتهم ينتظرون أمام البنوك ومؤسّسات البريد وصناديق الضمان الاجتماعي؟ هم يدركون بنسبة أو بأخرى، ما يقوله أهل الذكر من رجالات السياسة والاقتصاد في تونس، من أنّ المنوال الاقتصادي المستوحى من الليبرالية الجديدة المتّبعة طوال ستّين سنة؛ أفضى إلى تحوّل عميق الغور في الطبقات الاجتماعيّة، وإلى «ضياع» الطبقة الوسطى، وارتفاع نسبة الفقر، والجريمة النوعيّة، وازدياد عدد نزلاء السجون، وحشود العاطلين وأكثرهم من خرّيجي الجامعات وحملة الشهادات العليا... ماذا ينتظرون من السلطة، وهم يدركون أنّها تكذب، ولكن ليس من حقّها أن تكذب عليهم هم بالذات؛ وهي مفارقة عجيبة. والحقّ في الكذب موضوع لا يخلو من طرافة، غير أنّ مجال «العيش معا» قائم على جملة مبادئ هي عهود ومواثيق، وفي عدم الإيفاء بها، يتصرّم النسيج الاجتماعي لا شك، وتتقوّض معه المثل الأخلاقيّة. وعندها لن نجد آيّة وسيلة لحماية أنفسنا من كذب الآخرين، بل سنكون من جملة ضحايا الكذب نحن أيضا.

ما يقوله خافيير أيورو عالم الاجتماع الأرجنتيني عن الانتظار من حيث هو الهيمنة وتعزيز السلطة، هو عين الحقيقة؛ وهو العالم العارف بـ«محنة الفقراء» في المناطق الحضريّة، في أمريكا الشماليّة والجنوبيّة، والتي تكاد لا تختلف عن «محنة فقرائنا» في تونس أو لبنان أو سوريا أو اليمن... حيث هم مجبورون دائما على انتظار «ما لا يأتي»؛ وليس ساعات طوالا فقط من أجل منحة أو مساعدة لا تغني ولا تسمن. ولعلّ الغريب حقّا هو امتثال هؤلاء، وصبرهم الذي دونه صبر أيوب؛ حتى أنّني لا أتردّد في استحضار «الصبر» بمعناه الأقدم الذي طوته المعاجم في ما طوت من كلمات تحوّلت إلى شواهد قبور في جبّانة لسان العرب، وأقصد الصبر بمعنى نَصْب الإنسان للقتل، فهو «مصْبور»، وكأنّه صورة من الطائر الذي يُمسك، ثمّ يُصْبر حيّا، ثمّ يُرمى بشيء حتى يُقتل. لا أحد منهم، وأكثرهم من المرضى وكبار السنّ يحتجّ علانية. بل لقد تعلّموا أنّ الحاجة أمّ الانتظار.

ورحم الله أبا تمّام: بَصُرتَ بالراحة الكبرى فلمْ تَرَها / تُنال إلاّ على جسرٍ من التعب.

على أنّ هؤلاء لم ينالوا لا راحة كبرى ولا صغرى.

كاتب من تونس

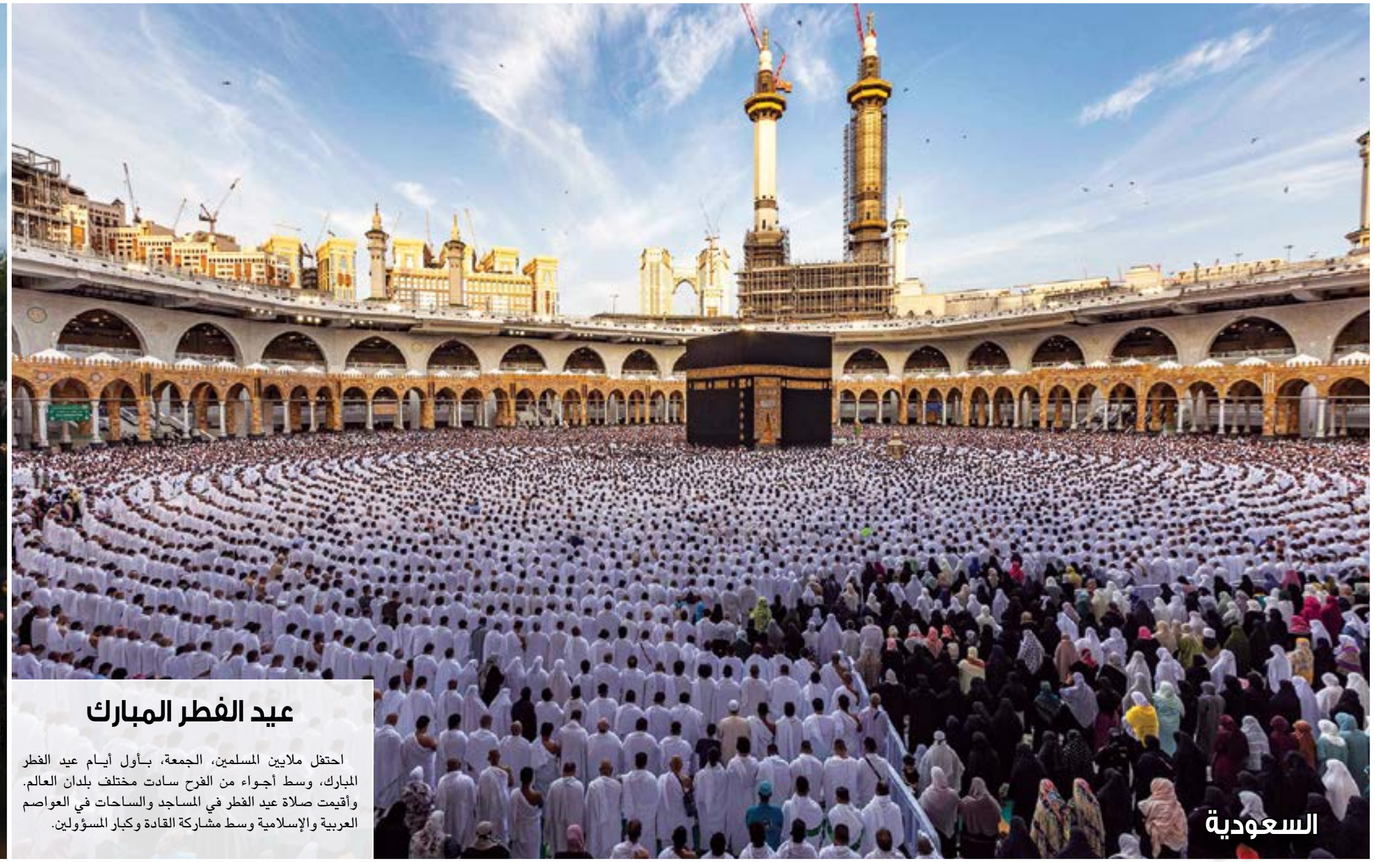
السعودية

عيد الفطر المبارك

احتفل ملايين المسلمين، الجمعة، بـأول أيـام عيد الفطر المبارك، وسط أجـواء من الفرح سادت مختلف بلدان العالم. وأقيمت صلاة عيد الفطر في المساجد والساحات في العواصم العربية والإسلامية وسط مشاركة القادة وكبار المسؤولين.

فلسطين

مصر

سوريا

اليمن

نيجيريا

الهند

العراق

لبنان

قطر

أداب وفنون

حدُّ الخيال عند أرسطو

محمد الديهاجي

يُمكن القول إن أرسطو هو أول من أعاد الاعتبار للشاعر والمخيلة، من خلال تصوره الجديد للمحاكاة، بعد أن عاشت المخيلة، نوعا من الإقصاء الفج، من قبل المحاكاة الأفلاطونية، التي جعلت الشاعر يبتعد عن الحقيقة بثلاث درجات. لقد صرح أفلاطون في لهجة سجالية واضحة قائلا إن «الشاعر التراجيدي محاك، ومن ثم فإنه منحى ثلاث مرات عن عرش الحقيقة» ذلك لأنه لا يسلك سبيل المعرفة الحقيقية التي تستدعي الجدل وسيلة لإدراك حقيقة الوجود.

لقد كان الاعتقاد عند أفلاطون راسخا بأن خيال الشاعر نوع من «الجنون العلوي»، وأن الشعراء «متبعون» وأن الأرواح التي تتبعهم قد تكون خيرة وقد تكون شريرة، ولكننا نعرف كيف أن أفلاطون لم يميز بين بعض أنواع الشعر وبين أصحاب الحرف، في قوة الخيال، وأن «أرسطو طاليس هو الذي اعترف لصاحب الملكة المتخيلة، بالمكانة اللائقة به، ومجد تلك الملكة التي تستطيع الجمع بين الصور، وأثنى على القدرة في المجاز» (فن الشعر – إحسان عباس، ص 142).

ولقد عبر أرسطو عن الخيال بمفهومين هما «المحاكاة» في كتابه «فن الشعر» و«الفانطاسيا» في كتابه «في النفس» إذ اعتبر الخيال قوة وطاقة ضرورية في القول الشعري. من هذه الحافة، حاول أرسطو استنباط كل قوانين الأنواع الشعرية وضروبها، ولم يغب عن ذهنه البتة، في الوقت نفسه، أنه الفيلسوف الذي يبحث في دوائر الحقيقة، قصد إدراك الوجود في تبدّياته وتجلياته، سالكا في كلّ ذلك، المنهج العقلاني الصارم، كسبيل لبلوغ هذا المبتغى.

لقد ربط أرسطو بين الخيال والوهم، على اعتبار أن جموحهما يقفز بالإنسان من كل ما هو واقعي مدرك، إلى كل ما هو متخيل يتجاوز الواقع لإدراك الجوانب الوجدانية من الحياة النفسية ودوائرها الغائرة، والتي تحتاج إلى قدرات إدراكية تفوق قدرات العقل.

من هنا راح أرسطو يرفض فكرة تحرير الخيال، بشكل كُلي ومطلق، من صرامة العقل، بل إنه أكد ما مرة، على لا جدوائية الخيال، ما لم يشتغل تحت إمرة العقل ووصايته وذلك تحت يافطة «فكرة الإقناع». فكل أسلوب شعري، في مستوياته ا لتخييلية ، ينبغي عليه أن يأخذ في اعتباره مبدأ الإقناع المنطقي والوضوح، في اكتشافه للحقائق ودوائرها، إذ لا ينبغي على الخيال أن يصل درجة عالية من التمويه، حتى لا يتفلت من رقابة العقل.

إن الشاعر في اعتقاد أرسطو، حين يركب بساط الخيال، محلقا في عوالم الغرابة والمضايق المبهمة، بالشكل الذي لا يسمح للعقل متابعة عملية تبسيط وتوضيح الحقائق أمام السامع–المتلقي بأسلوب إقناعي، إنما يخرج عن دائرة المحاكي إلى دائرة المغلط والموهِّم.

فالمحاكاة–الخيال، هاهنا، تقاس بدرجة الصدق والكذب، فكلما كانت أقل كذبا، كانت أكثر وضوحا وإقناعا بالحقيقة، وكلما كانت أكثر كذبا، كانت أكثر غموضا وبعدا عن الحقيقة والإقناع، ومن ثم يُصبح هذا القول، ضربا من ضروب الخرافات المخترعة، ذات البعد التمويهي لا الإقناعي. يقول ابن رشد في تلخيصه لكتاب أرسطو: «فليس يحتاج في التخيل الشعري إلى مثل هذه الخرافات المخترعة، ولا أيضا يحتاج الشاعر المفلق أن تتم محاكاته بالأمور التي من خارج، وهو الذي يدعى نفاقا وأخذا بالوجوه. فإن ذلك إنما يستعمله الموهمون من الشعراء، أعني الذين يراؤون أنهم شعراء وليسوا شعراء. وأما الشعراء بالحقيقة فليس يستعملونه إلا عندما يريدون أن يقابلوا شعراء الزور له. وأما إذا قابلوا الشعراء المجيدين فليس يستعملونه أصلا. وقد يضطر الملفقون في مواضع أن يستعينوا باستعمال الأشياء على التمام. بل لأشياء ناقصة تعسر محاكاته بالقول، فيستعان على محاكاتها بالأشياء التي من خارج، وبخاصة إذا قصدوا محاكاة الاعتقادات لأن تخيلها يعسر، إذ كانت ليست أفعالا ولا جواهر. وقد تمزج هذه الأشياء التي من خارج بالمحكيات الشعرية أحيانا كأنها وقعت بالاتفاق من غير قصد، فيكون لها فعل معجب، إذ كانت الأشياء التي من شأنها أن تقع بالاتفاق معجبة» (أرسطو «فن الشعر»، ص215. ت: عبد الرحمن بدوي).

وليس من شك أن كل محاولة من الخيال لتفجير كنه الأشياء، عبر إواليات تخرقُ أنالوجية المعطى، هي محاولة لا قيمة لها ولا جدوى منها في بلوغ الحقيقة. والشاعر في هذا المقام هو شاعر مموه ومغلط، بسبب «أنه لما كان الشاعر المجيد هو الذي يصف كل شيء بخواصه وعلى كنهه، وكانت هذه الأشياء تختلف بالكثرة والقلة في شيء من الأشياء حقيقتها» (المرجع السابق، ص232).

ابن رشد

هذا ولقد اهتمت الفلسفة الأرسطية بالخيال، في جانبه التخييلي، أكثر من اهتمامها به، في بُعده التخيلي. والفرق بين الجانبين كبير جدا. فالتخييل هو محاولة ضبط القوة المتخيلة عند المتلقي، وكذا توجيهها من طرف العقل، الذي رسم مسبقا حدود التخيل عند المبدع، وهذه الالتفاتة إلى المتلقي، يمكن اعتبارها الإرهاصات الأولى لبزوغ تصورات، من جملة ما تهتم به، المتلقي، فالاهتمام بالتخييل عند المتلقي، من خلال ما اصطلح عليه، عند أرسطو، بالتطهير (الكاطرسيس) كانت خلفيتُه الأساس، هي إعادة إدماج الجُمهور في الحياة الاجتماعية، بشكل متوازن، بعيدا عن أي توجُّس أو قلق. ففكرة الاندماج، عند أرسطو، تدفع المتلقي لكي يتّخذ «وقفة سلوكية خاصة، تتجلى في فعل أو انفعال، قادته إليه مخيلته التي تأثرت بالتخييل واستجابت له» (عن الصورة الفنية لجابر عصفور ص65)، وأما التخيُّل، الذي هو طاقة خلّاقة، مُرتبطة بذات المبدع الخاصة، إذ لم يعره أرسطو الاهتمام اللائق به بسبب طبيعته الزئبقية المنفلتة باستمرار من صرامة العقل، والتي تقود صاحبها حتما إلى عوالم الهلوسة والجنون، فقد لجمت النزعةُ العقلانيةُ جموحه، بضابط المعقول والحسي والمصادق، فاصبح، بذلك، تخيلا عقليا، ينضبط أولا وأخيرا، لحدود المنطق. يقول جابر عصفور في هذا الصدد: «وهنا لا بد أن نلاحظ أن الفلاسفة لم يتوقفوا طويلا عند الشاعر باعتباره كائنا يتميز بقدرات تخييلية فائقة، ولم يتعرضوا للحديث عن ملكة التخيل عنده، أو قدرة هذه الملكة على جمع الأشياء والتآليف بينها، بالقدر الذي كنا نتمناه. لقد ركزوا على فعل «التخييل» أكثر مما ركزوا على فعل «التخيل» أعني أنهم اهتموا بما يمكن أن نسميه «سيكولوجية التلقي» أكثر من اهتمامهم بسيكولوجية الإبداع. قد نستنتج من بعض إشارتهم العارضة تصورهم للموضوع، ولكن ذلك التصور يظل شاحبا جدا. بالقياس إلى حديثهم الواضح والصريح عن الإثارة التخييلية التي يحدثها الشعر في المتلقي. وما يترتب على هذه الإثارة من نزوع وسلوك...» (المرجع السابق ص 5).

والحاصل إن المنظور الأرسطي للتخييل لا يمكن الوقوف عنده إلا بالنظر إليه على أنه نابع من تصور أرسطو للفن في إطار ما يطلق عليه نظرية المحاكاة، ومن ثم فإن الطابع التجريدي الذي صيغ المفهوم راجع بالأساس إلى التكثيف النظري للفعالية الإبداعية وإرجاعها إلى مبدأ مركزي في الخطاب الأرسطي هو المحاكاة التي فسرت الإبداع على مستويي الإنتاج والتقبل.

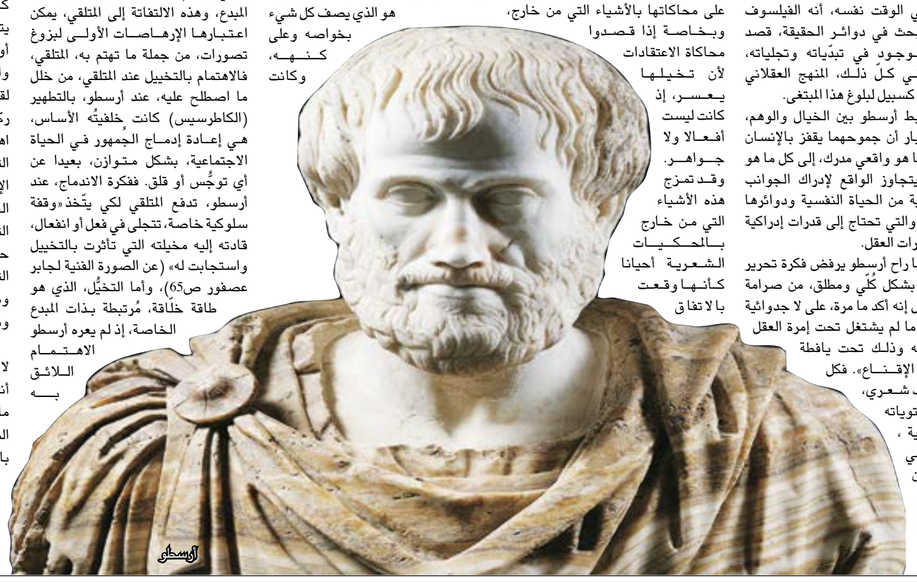
أرسطو

إيفا هيسه رسمٌ تحت السطح ونحتٌ غريب الأطوار

إسماعيل كرك

عاشت إيفا هيسه فترة شبابها مؤمنةً بأن الفن جوهرٌ، مَرْكَزٌ وإيجاد حلول غير مألوفة تلاءمت مع أحداث طفولتها، فعلقتْ غربتها على كتفيها وواءمت بين ما تكتب وما تفعل، صمَّمتْ أيامها ولم تتعرَّف إلا على جسدها، مدركةً أن عملها يشبهها، أما فضولها في التعامل مع ألوان لوحاتها والمواد التي تكوَّنَتْ منها منحوتاتها فلا نهاية له، وهكذا تدلَّتْ حبالها من السقف إلى داخلها بإيقاع خاص: «إنني أرسم ما أراه وأشعر به للتعبير عن الحياة بكل حقيقتها وحركتها».

في تلك القراءة، كانت تؤكد أن حياتها وفنها لم ينفصلا، ويبدو ذلك في الكشافة الهائلة التي واجهتْ بها حاجز الوقت، رَسمتْ ونحتتْ على سطوحها الغريبة، فكانت أربعة وثلاثين عاماً عاشتها بين عامي 1936 – 1970 مُرَكِّزَةً، التصقت من خلالها مواضيع لوحاتها ومنحوتاتها بالحياة بشكل مثير، ومَشَتْ في أعماقها مخاطبةً ذاتها بخطوط انسيابية لعالم الطبيعة العضوي، دون أفكار مسبقة.

ابتُلِيَتْ حياة إيفا بأنواع مختلفة من المصاعب الجسدية والعاطفية ابتداء من تهربيها وهي في سن الثالثة وشقيقتها الكبرى هيلين من هامبورغ إلى هولندا، على متن أحد القطارات الخاصة بالأطفال، وصولاً إلى معاناة العائلة في المحاولات الشاقة للمّ الشمل في نيويورك، تلت ذلك إصابة والدتها بالاكتئاب، الذي قادها إلى الانتحار، ثم زواج والدها من امرأة أخرى تدعى إيفا أيضاً، ما لذلك ينبغي على المشاهد أن يقرأ عنوان أحد الأصدقاء: «ربما أثبتتْ إيفا شبه هَوَسها بالسيرة الذاتية، أو بالماضي» بينما يتذكر صديق آخر: «لم تكن عواطفها من الحاضر! لم أذهب إلى منزل إيفا دون إحضار تذكار من الماضي، كانت تتغذى على تلك المواد، وربما يملأ وجودها المادي بعض الفراغات في حياتها!».

في حوارها مع بعض أصدقائها كانت تقول: «أولاً، وعندما أعمل، هناك فقط صفات مجردة أعمل بها، وهي المادة والشكل الذي سيذهب إليه كالحجم، القياس والتموضع، لأنها ستأتي من السقف أو من الكلمة!» وهو ما نفَّذته في منحوتتها Contingent سنة 1969 التي تعتبر واحدة من آخر الأعمال التي قدمتها قبل وفاتها، وهي عبارة عن ثماني لوحات معلقة عمودياً من السقف إلى أسفل، حيث يبدأ الجزء العلوي من كل لوحة في الموضع نفسه، ولكن كل جزء سفلي يختلف ارتفاعه عن الأرض عند المكان الذي ينتهي فيه، فتحوم بعض الألواح على بعد أمتار قليلة من الأرض، وبعضها بالكاد يلامس الأرض، والبعض الآخر يتدحرج عبر الأرض. الألواح نفسها التي استخدمتها مصنوعة من عدد من المواد بما في ذلك الألياف الزجاجية، القماش القطني، واللاتكس. يتكون مركز كل لوحة من خليط بين اللون الذهبي الغامق ولون الصدأ، الحواف العلوية والسفلية غائمة ويبدو نسيج القطعة مُجعّداً على غرار قطعة الورق التي تم تكويرها ثم وضعها بشكل مُسطّح. الصورة الظلّية لبعض الألواح تنحني إلى الداخل، ما يدل على حركة تتمدد لتجعل الألواح تبدو مثقلةً من الأسفل، كما لو كانت تسحب لأسفل. يتناقض كل من نسيج وحركة العمل مع الخصائص الفيزيائية للمواد المستخدمة، فيسلط ذلك الضوء على خبرة هيسه في التلاعب بالمواد. بالنسبة للمشاهد، ستكون تلك تجربة حميمةً حيث يمكن للمرء استكشاف العمل طوال الوقت بدلاً من الوقوف على مسافة منه.

بين عامي 1952– 1954تخرجت هيسه من كلية نيويورك للفنون الصناعية، ثم التحقت بمعهد (برات) لدراسة الفن التجاري، وفي خريف 1953 بدأت بحضور دروس الرسم في رابطة طلاب الفنون، ما لبثت بعدها أن عملت مؤقتاً وبدوام جزئي في مجلة المراهقين Seventeen خلال تلك الفترة بلغت سن الرشد في فترة ما بعد التعبيرية التجريدية، بعد أن أنهت دراستها الأساسية للفن التجريدي الأمريكي، وعملتْ في التصميم التجاري، وهو ما جعلها في تماس مباشر مع المواد الصناعية المتاحة كالحبال، الخيوط، المطاط والألياف الزجاجية الشيء الذي قادها للوصول إلى ذهنية غريبة الأطوار انتقلت بها من الرسم إلى النحت وأوجدتْ ما سُمّي في ما بعد «النحت غريب الأطوار».

لم يكن الحادي عشر من نيسان/ أبريل 1961 يوماً عادياً في حياتها، لأنه كان موعد مشاركتها في عرض «ثلاثة شبان أمريكيين» في معرض جون هيلر– نيويورك (1961/04/11 - 1961/05/02) مع كل من الفنانَيْن دونالد بيري وهارولد جاكوبس، هناك التقت بالنحات توم دويل الرجل الساحر النابض بالحياة والنحات المتفاني، المتحدث الجيد ومُدمن روايات الأيرلندي–الأمريكي جيمس جويس. منذ البداية انجذبت إليه بشدة، وعندما عادت إلى المنزل كتبتْ في مفكرتها: «لقد كنتُ مع توم دويل في الأيام الثلاثة الماضية وهذه بداية الوجود بالكامل وسط عالم الفن. لكنها وبعد وقت قصير كتبت، «تلك العلاقة لن تكون سهلةً» الأمر الذي يفسر عدم إنجابها، ومن ثمَّ انفصالها عن دويل سنة 1966بعد زواج دام خمس سنوات. بين خريف عام 1965 ووفاتها، قدَّمتْ إيفا هيسه حوالي سبعين منحوتة والعديد من الرسومات الأخرى التي أكدت مكانتها كفنانة مهمة، كانت تعلم أنها «جيدة» حتى قبل أن ينضج عملها. في أيامها الأخيرة كانت تشعر بالرضا عندما علمتْ أن الآخرين يشاركونها تلك المعرفة، وتم التعامل مع أعمالها على أنها فنانة وليست صورة نمَطية مأساوية لامرأة شابة ستموت مبكراً، فبالاحتفالية الاستعادية تلك من قبل زملائها الفنانين، كان النطاق الكامل للعمل أكثر إثارة للإعجاب في العديد من الأعمال، ما جعل أصدقاءها يدركون مقولتها: «لدي ثقة في فهمي للجمال الرسمي لكنني لا أريد ذلك، أنا لستُ كاتبةً لكن لديّ الإمكانية لكتابة أفكاري، وجهي جميل، جسدي جميل وفستاني جميل، على أي حال لا يوجد شخص يستطيع القول إنَّهُ جميل من الداخل. كُنْ على علم بهذا أو اجعل ما ادّعيه مشكلتي، في الواقع هذه ليست هي المشكلة، لأن هذه الأشياء قابلة للحل، وتستطيعون حلّها بشكل جميل!».

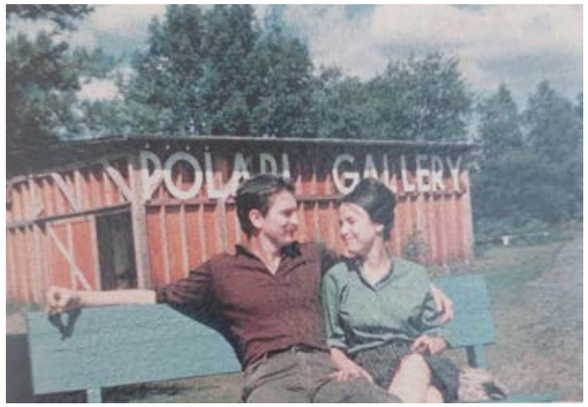

كانت تكتب ملاحظاتها عن أعمالها بالإنكليزية بحروف متصلة وكأنها أرادت وصل المواد بالألوان والأشكال بالأحجام لمنح المواد التي استعملتها حياةً أطول. يقول مساعدها دوغلاس جونز «كانت تحاول الحصول على مواد تحفظ منحوتاتها الغريبة لوقت طويل فكانت تناقشني حول فاعلية المادة وكيفية توظيفها في منحوتاتها، فَمَرّة تقول دعنا نحاول استخدام هذه المادة أو تلك، كانت تخبرني بفكرة العمل، وكنتُ أخبرها بكيفية بنائه وفقاً للإمكانيات المتاحة».

في معرض «إيفا هيسه: أشكال وأجساد» الذي استضافته مؤسسة Hauser & Wirth – زيوريخ 2022/09/16 - 2022/11/19 عرضت المؤسسة السويسرية أعمالاً متنوعة وصوراً لإيفا هيسه لخصت مسيرتها اعتباراً من عام 1952 حتى وفاتها، ولعل أهم هذه الأعمال:

إيفا هيسه، مترو الأنفاق 1954 وهو عبارة عن نسخة مطبوعة بأسلوب الطباعة الحجرية عندما كانت تعمل في مجلة Seventeen بالإضافة إلى عملها المثير «موما بومبا» العمل التعبيري التجريدي الغريب، حيث نجحت من خلاله بصنع هارموني خاص بين مواد مثل الحبال، جص الغراء، المعدن، تمبرا، مينا، حيث يبدو ذلك العمل كقفاز بثلاث أصابع، يتدلى منه حبلان مختلفان في سماكتهما يكملان أصابعه الخمس، وقد لونت (الحبلين/ الإصبعين) بدرجتين مختلفتين بلون وردي، وقتها بدا تأثير جوزيف ألبيرز على إيفا واضحاً في نضوج تجربتها في فن التصميم. يضاف إلى ذلك العديد من الصور لاسيما صورتها مع الفنان الألماني/ الأمريكي جوزيف ألبيرز عندما كانت تدرس فن التصميم 1957 وصورتها مع زوجها النحات توم دويل عندما كانا في وودستوك/ نيويورك 1962. وصورتها الأخيرة التي التقطها المصور جون.أ. فيرراري في الاستوديو الخاص الذي كانت تعمل به (ستوديو باويري) في مانهاتن – نيويورك عام 1969.

إيفا هيسه هي واحدة من أشهر الفنانين الأمريكيين الذين بلغوا سن الرشد في أعقاب التعبيرية التجريدية، فرَّت من موطنها ألمانيا أثناء صعود النازية فجرَّبتْ التعبير عن حالات ذهنية غريبة نادراً ما يتم استكشافها في العصر الحديث. إيفا مطرٌ كثيف على زجاج وعشب قصير عزّ عليه ألّاينمو، عالمٌ مواز واجه سطوة الفيزياء ورسَمَ تحتَ السطح للسماح بالعبور إلى سماء داخلية، ليصل بأقصر وقت إلى الذات البشرية، نحتَتْ ضد كل القواعد لتوثق العلاقة مع غير المرئي وتلاعبتْ بالمواد بمزيج من المرح والغرابة لتوجدَ نبضاً لا يتوقف داخل المنحوتة.

تحقيقات

أجندات سياسية وإقليمية تتلاعب بمصير نازحي العراق

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

كشف تبادل الاتهامات والتصريحات بين المسؤولين والسياسيين العراقيين هذه الأيام، جوانب مهمة في ملف النازحين واستغلالهم كورقة تتلاعب بها مصالح أحزاب السلطة والأجندات الإقليمية، بالرغم من دعوات محلية ودولية لإنهاء المعاناة الإنسانية للنازحين والمهجرين قسرا التي مرت عليها سنوات طويلة من دون حلول.

ففي أعنف انتقاد، حملت وزيرة الهجرة والمهجرين ايفان فائق جابرو، حزبا كرديا في إقليم كردستان مسؤولية عدم إنهاء ملف النازحين شمال العراق واستغلاله سياسيا. وقالت جابرو في حوار رمضاني متلفز تابعته «القدس العربي» إن «المتهم الأول في تحويل النازحين إلى بضاعة انتخابية هو الحزب الديمقراطي الكردستاني، الذي احتكر أصوات النازحين في المخيمات الموجودة في الإقليم، وأن بعض النازحين واجهوا ضغوطا وتهديدات إذا لم ينتخبوا حزبا معينا (حزب بارزاني) وانهم يتعرضون إلى مضايقات ولن يجدوا فرصا للعمل في الإقليم» مؤكدة أن «إعادة النازحين بحاجة إلى إرادة سياسية».

وكشفت وزيرة الهجرة أن وزارتها والحكومة في بغداد ليست لها سلطة على مخيمات النازحين في الإقليم، وأن «المسؤول عن المخيمات في كردستان هي وزارة داخلية الإقليم، والإدارة داخل المخيمات هي لمنظمة بارزاني الخيرية».

وقالت جابرو «نتمنى من حكومة الإقليم فسح المجال أمام العوائل النازحة التي ترغب بالعودة لمساعدتنا على إنهاء ملف النزوح». وناشدت رئيس الحزب الديمقراطي الكردستاني مسعود بارزاني ورئيس الوزراء مسرور بارزاني بوقف انتهاكات عناصر حزبه ضد المهجرين في مخيمات محافظتي أربيل ودهوك.

وأكدت الوزيرة أن هناك العديد من التقارير الدولية التي تتحدث عن الانتهاكات في مخيمات النازحين بإقليم كردستان، قائلة: «هناك 26 مخيما في إقليم كردستان لم يغلق منها حتى الآن مخيم واحد». وأضافت أن المخيمات موجودة في شمال العراق، وأن «باقي المحافظات لا توجد فيها مخيمات باستثناء مركز التأهيل النفسي في الموصل وهو عبارة عن مرحلة انتقالية لأي نازح يعود من مخيم الهول السوري يتم تأهيله في المركز استعدادا لعودته لمنطقته الأصلية».

وفي أعقاب تصريحات وزيرة الهجرة ردت وزارة الداخلية في إقليم كردستان الثلاثاء الماضي، «أن المسألة خاضعة للمزايدة، ونشر أقاويل غير مسؤولة تفتقر لأساس حول موضوع النازحين، واستخدامها لأغراض سياسية، وأن مثل هذه الآراء والتصريحات تخفي رغبات اللاجئين وتستر الحقائق ولا تخدم وضع اللاجئين وتطبيع حياتهم بأي شكل».

وأضافت الوزارة في بيانها أن «السبب الرئيسي وراء عدم عودة النازحين، هو وجود مجموعة قوى غير قانونية في منطقة سنجار وعدم تنفيذ الاتفاق المعقود بين حكومة الإقليم والحكومة الاتحادية بشأن تطبيع الوضع بالقضاء، وللأسف حتى الآن، يتم تقديم الدعم المادي للقوى والفصائل الخارجة عن القانون، باسم اعادة الإعمار» وهي إشارة إلى دعم الحشد الشعبي لفصائل مسلحة محلية تابعة لحزب العمال التركي المعارض الذي يفرض وجوده بالقوة في بعض مناطق شمال العراق.

وأشار البيان «إذا كانت وزيرة الهجرة ونظراؤها قلقون لهذا الحد على حياة النازحين، فليأتوا للعمل على تطبيع الوضع بسنجار» مشددا على «أن تنفيذ اتفاق سنجار هو الحل الوحيد لعودة النازحين إلى مناطقهم وتطبيع الوضع المعيشي لهم ولسكان المنطقة».

وتأكيدا لتصريحات وزيرة الهجرة دعا النائب السابق محمد سلمان، إلى منع النازحين من المشاركة في الانتخابات، لمنع استغلال وضعهم الإنساني من قبل القوى السياسية. وقال سلمان خلال استضافته في برنامج تلفزيوني رمضاني، إن «المشكلة ليست مع قانون الانتخابات بل عدم السيطرة على منع التزوير» مؤكدا على أنه «يجب منع مشاركة النازحين في الانتخابات لعدم استغلال وضعهم الإنساني من قبل بعض الأحزاب المتنفذة في السلطة».

وكان المركز المشترك لتنسيق الأزمات بوزارة داخلية إقليم كردستان، قد أعلن بنهاية الشهر الماضي، عن وجود 931 ألف نازح ولاجئ، في إقليم كردستان، 665 ألفا منهم نازحون من داخل العراق، كذلك وجود 36 مخيماً للنازحين، وان 74 في المئة من النازحين يسكنون داخل مدن إقليم كردستان.

عرقلة عودة النازحين

وفي هذا السياق ، تصاعدت اتهامات من السياسيين السنة لحكومة محمد السوداني بعدم تنفيذ اتفاق تشكيل الحكومة الذي تضمن تعهد أحزاب السلطة، بحل أزمة النازحين وإعادتهم إلى ديارهم الأصلية التي تركوها قبل نحو ثماني سنوات.

النائب سالم العيساوي كشف في لقاء متلفز، أن هناك اتفاقا بشأن نازحي جرف الصخر في بابل والعوجة في صلاح الدين ومناطق أخرى، ضمن التوافقات على تشكيل حكومة محمد السوداني، كاشفا أن « قائد حزب الدعوة نوري المالكي وزعيم ميليشيا العصائب قيس الخزعلي وافقا على ذلك في وثيقة موقعة منهما». مشددا أن «قوى الإطار» الشيعية تعهدت بتمرير قانون العفو العام وحل أزمة النازحين والمهجرين، وقد مضى على الاتفاق نحو 5 أشهر دون تنفيذ هذا التعهد.

وبدوره تحدث رئيس تحالف السيادة خميس الخنجر في أحد المساجد في رمضان قائلا، إنه «لن يمر العيد دون إقرار قانون العفو العام، وسنصلي في جرف الصخر قريبا، ونطالب نهارا جهارا بإخراج الحشود من مناطقنا». وهي إشارة إلى فصائل مسلحة تعارض عودة نازحي جرف الصخر بحجة تعاونهم مع داعش عندما سيطر على المنطقة عام 2014.

وبالنسبة لنازحي جرف الصخر في بابل، ذكر المتحدث باسم وزارة الهجرة، علي جهاكير، أن «البرنامج الحكومي نص صراحة على موضوع نازحي جرف الصخر، وأن هناك جهدا تقوم به وزيرة الهجرة بالتواصل مع أصحاب الشأن والقرار» مبينا أن «أعداد نازحي جرف الصخر أكثر من 7500 عائلة، وبعضهم يسكن في عامرية الفلوجة بمحافظة الأنبار، وجزء منهم في المسيب وبابل، وقسم آخر في مخيمات السليمانية».

أما نازحو سنجار غرب الموصل فقد كشفت النائبة الإيزيدية فيان دخيل، في لقاء متلفز «أن وجود قوات الحشد الشعبي وحزب العمال التركي، في سنجار يحول دون عودة النازحين إلى مناطقهم هناك، رغم مضي نحو ثمان سنوات على النزوح». وأشارت إلى «تواجد شخصيات إيرانية تزور سنجار وتتحدث مع الأهالي، وأن قياديا في الحشد الشعبي أبلغها رغبتهم في البقاء في المنطقة لعشر سنوات قادمة» حسب قولها. وطالبت النائبة بإبعاد أية قوة غير الجيش والشرطة عن المنطقة لتمكين النازحين من العودة إلى ديارهم. وتعد سنجار نقطة اتصال مهمة للحشد الشعبي على الحدود العراقية السورية.

النازحون بين العودة أو الاستقرار

ويبدو أن معاناة النازحين في المخيمات لن تنتهي قريبا وسط تناقض المواقف الحكومية بين إعلان الرغبة بعودتهم إلى مناطقهم، ومن جهة أخرى منح بعضهم الموافقات للاستقرار في المحافظات التي نزحوا إليها، إضافة إلى محاولة إجبار بعضهم على العودة إلى مناطقهم المدمرة.

ورغم إعلان وزارة الهجرة والمهجرين التزامها ببرنامج الحكومة، لإعادة جميع النازحين إلى مناطقهم خلال ستة أشهر، فإن الوزارة والسلطات منحت موافقات لآلاف النازحين للاستقرار في المحافظات التي نزحوا إليها.

فقد أعلنت وزارة الهجرة والمهجرين أن فرع الوزارة في محافظة كربلاء سجل 1941 أسرة نازحة اندمجت في المجتمع الكربلائي، فيما أعلن مدير دائرة الهجرة والمهجرين في خانقين في ديالى علي غازي «الموافقة على اندماج أكثر من 7000 أسرة نازحة في قضاء خانقين، ضمن خطة حكومية لإنهاء ملف النزوح، لتنفيذ مشروع اندماج الأسر النازحة في خانقين» مبينا أن «الاندماج ينص على بقاء النازح في منطقة النزوح أو تخييره بالعودة الطوعية أو اختيار مناطق ثالثة للسكن».

ومن جهة أخرى، وضمن محاولات إجبار النازحين على العودة إلى مناطقهم الأصلية، قامت وزارة التربية الاتحادية بإلغاء مدارسها في مخيمات النازحين في إقليم كردستان، لإجبار سكانها على العودة إلى مناطقهم المحررة (المدمرة) وخاصة الموصل. وردا على ذلك، نظم سكان بعض مخيمات الإقليم، تظاهرات احتجاج في أربيل بسبب توقيت القرار حيث ان الطلبة الآن في منتصف العام الدراسي ويصعب نقلهم، كما ان مناطقهم الأصلية مدمرة وغير صالحة للسكن وينقصها الأمان والخدمات.

اهتمام دولي بملف النازحين

ونظرا لتداخل ملف النازحين في العراق ووجود نازحين عراقيين وأجانب في المخيمات، فإن المجتمع الدولي أبدى اهتماما بالغا بحل هذا الملف وانهاء آثاره الإنسانية والأمنية السلبية.

ومن أجل ذلك، جدد العراق، «دعوة دول العالم لاستلام الأطفال غير العراقيين من امهاتهم النزيلات (زوجات الدواعش) في مخيمات وسجون البلاد، وكذلك استلام النساء اللائي انتهت مدة سجنهن وإعادتهن إلى دولهن». وتقوم الحكومة العراقية بتزويد السفارات داخل العراق بالمعلومات الخاصة بالأطفال والنساء العائدين لها، ليتم إكمال الإجراءات الإدارية والقانونية والمباشرة بنقلهم من العراق إلى دولهم.

وفي هذا السياق، أعادت الزيارة الأخيرة للأمين العام للأمم المتحدة انطونيو غوتيريش إلى مخيمات النازحين في الموصل في اذار/مارس الماضي، إلى الواجهة مأساة ومعاناة النازحين ومخاطر إهمال أوضاعهم.

وقال غوتيريش، خلال الزيارة، إن زيارته إلى محافظة نينوى وبالتحديد مركز الجدعة للتأهيل المجتمعي، تمثل أهمية كبيرة، للإطلاع على أوضاع النازحين مشيرا إلى أن «أغلب هؤلاء النازحين هم من النساء والأطفال». وأكد دعمه الكامل لجهود العراق في إعادة النازحين العراقيين، داعيا بقية الدول إلى أخذ دورها وإعادة رعاياها من المخيمات. ويضم مخيم الجدعة في الموصل، عائلات الدواعش اللواتي تم جلبهن مع أطفالهن من مخيم الهول في سوريا.

وكانت وزيرة الخارجية الألمانية انالينا بربيوك، والنجمة العالمية انجلينا جولي وشخصيات عالمية أخرى، قاموا مؤخرا بزيارات إلى بغداد والإقليم للاطلاع على أوضاع مخيمات النازحين شمال العراق، وللتعرف على أوضاع النازحين داخليا، مع الإعراب عن التضامن مع النازحين والدعوة إلى ضرورة إنهاء معاناتهم.

أمراض نفسية للنازحين

وفي تعبير عن الاهتمام الدولي بتداعيات النزوح والعيش في مخيمات النازحين، أجرت منظمة الهجرة الدولية دراسة ميدانية للاطلاع على أوضاع النازحين في شمال العراق، حيث أظهرت الدراسة ان 85 في المئة منهم يعانون من أمراض نفسية واضطرابات مختلفة الشدة من بين أهم أسبابها ظروف النزوح والافتقار إلى الخدمات الأساسية وتجارب صعبة عاشوها قبل وأثناء النزوح وكذلك بعد العودة إلى ديارهم فضلا عن فقدان أفراد من عوائلهم أثناء الحرب.

وذكرت المنظمة في تقريرها، أن «الاستنتاجات التي أوضحتها الدراسة تحتم ضرورة تقديم خدمات علاج وإسناد نفسي للمتضررين من أجل تحسين وضعهم الحياتي مع الحاجة لتوفير الأمن والاستقرار لهم وتحديد مواطن ضعف الحالة الاقتصادية المجتمعية لديهم والتحديات الأمنية لغرض تجاوزها وتحسين أوضاعهم».

وأضاف التقرير، أن «إحدى النازحات قالت: عدت إلى منطقة سكناي الأصلية ووجدت بيتي قد تم تدميره، فيما قال شخص آخر: نواجه تحديات أمنية من كل جانب وليست هناك خدمات في مناطقنا التي عدنا إليها».

ونوه، إلى أن «65 في المئة من العوائل التي لديها أطفال عبروا عن قلقهم إزاء سلامة أطفالهم وكذلك التحديات المتعلقة بتربية أطفالهم وتعليمهم وصحتهم وكل أنواع الحماية ضد العنف».

ويواصل التقرير، أن «56 في المئة من المشاركين بالاستطلاع ذكروا ان الوضع الاقتصادي المجتمعي والأمن والاستقرار هو من أهم المتطلبات بالنسبة لعوائلهم» فيما أبدى 30 في المئة منهم رغبتهم بالتعليم وإكمال دراستهم أو دعم أفراد عوائلهم وبالأخص الأطفال من أجل إكمال وموصلة دراستهم، إضافة إلى الرغبة بالحصول على فرص عمل أفضل لتحقيق استقرارهم في البلد وتحسن وضعهم النفسي والذهني».

وبالرغم من إعلان الحكومة العراقية تعهدها بغلق المخيمات وإعادة جميع النازحين إلى مدنهم التي اجبروا على تركها، فلا شك أن معاناة النازحين التي مر عليها أكثر من ثماني سنوات، لن تجد حلا قريبا، لأن أسبابها ما زالت موجودة، حيث تواصل قوى سياسية متنفذة، استغلال ورقة النازحين في كسب أصوات انتخابية، كما ترفض قوى سياسية أخرى وميليشيات، عودة النازحين إلى مناطقهم المدمرة بحجة تعاون بعضهم مع «داعش» إلا أن الهدف الحقيقي هو تنفيذ أجندات سياسية وطائفية محلية وإقليمية بالسيطرة على بعض المناطق الحيوية في العراق.

ميديا

46 دولة تتهم روسيا بترهيب وسائل الإعلام

لندن – «القدس العربي»:

اتّهمت الولايات المتحدة و45 دولة أخرى عضواً في الأمم المتحدة روسيا بـ«ترهيب وسائل الإعلام» مطالبة موسكو بالإفراج عن جميع الصحافيين «المعتقلين لأسباب سياسية».

وقرأت السفيرة الأمريكية ليندا توماس غرينفيلد بياناً أيّدته 45 دولة أخرى، بينها المملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا واليابان وكوريا الجنوبية وأوكرانيا وسويسرا، جاء فيه: «نشعر بقلق بالغ إزاء إعلان روسيا عن اعتقال صحافي من (وول ستريت جورنال). نحثّ على جهود روسيا لتقييد وسائل الإعلام وترهيبها». وأضاف البيان: «سنواصل الدعوة لصون حرية التعبير وضمان سلامة الصحافيين حول العالم. ندعو السلطات الروسية إلى الإفراج عن جميع المعتقلين لأسباب سياسية وإنهاء القمع الوحشي لحرية التعبير، بما في ذلك بحقّ العاملين في وسائل الإعلام».

وكانت أجهزة الاستخبارات الروسية أعلنت، في 30 آذار/مارس، توقيف مراسل صحيفة «وول ستريت جورنال» في موسكو والصحافي السابق في وكالة «فرانس برس» إيفان غيرشكوفيتش، أثناء قيامه بعمله في يكاتيرينبورغ.

واتّهمته السلطات خصوصاً بجمع معلومات عن قطاع صناعة الدفاع. وصُنّف الملف بأكمله على أنّه سرّي. ونفى كلّ من غيرشكوفيتش وصحيفة «وول ستريت جورنال» وأقاربه والحكومة الأمريكية تهم التجسّس الموجهة للصحافي والتي يُعاقَب عليها بالسجن 20 عاماً، علمًا أنّها المرة الأولى التي تتّهم فيها موسكو صحافيًا أمريكيًا بالتجسّس منذ الحقبة السوفييتية.

ويرى العديد من المراقبين أنّ موسكو قد تستخدم الصحافي في إطار تبادل محتمل للأسرى مع واشنطن في المستقبل.

ولم يُعلَن بعد عن تاريخ بدء محاكمة غيرشكوفيتش.

والأسبوع الماضي أعلنت السفيرة الأمريكية في روسيا لين تريسي أنّ غيرشكوفيتش «بصحة جيدة» بعدما تمكّنت من زيارته لأول مرة منذ توقيفه.

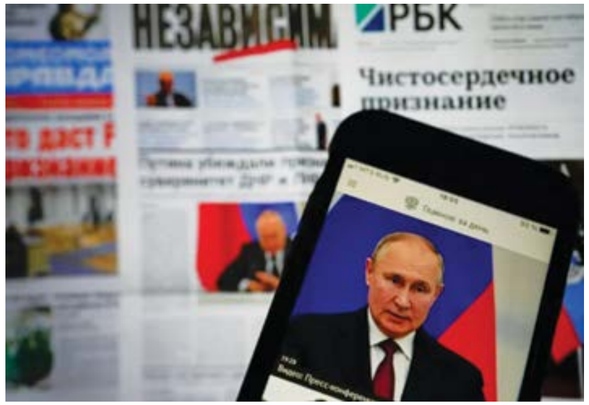

الأمن المصري يعتقل شقيق أحد الصحافيين ويخلي سبيل آخر

لندن – «القدس العربي»:

اعتقلت أجهزة الأمن المصرية محمد الغمري، وهو شقيق الصحافي المصري المعارض حسام الغمري من منزله يوم الأربعاء الماضي، وذلك بعد يوم واحد فقط من إخلاء سبيل الصحافي في قناة «الجزيرة» هشام عبد العزيز.

وأكد حسام الغمري الخبر اعتقال شقيقه عبر حسابه على «تويتر» حيث كتب بعد منتصف ليل الثلاثاء: «قبل قليل قام الأمن الوطني بالقبض على شقيقي محمد الغمري» واصفا النظام المصري بأنه «يدمر مصر والمصريين».

ويعمل محمد الغمري مهندساً، وهو أب لأربعة أطفال صغار، ولا يعرف عنه أي تدخل بالسياسة.

وكانت قوات الأمن المصرية قد اعتقلت نجل حسام الغمري، يوسف، قبل ستة أشهر، حين شارك الصحافي عدداً من المصريين المقيمين في الخارج، في الدعوة إلى تنظيم تظاهرات معارضة في مصر يوم 11 تشرين الثاني/نوفمبر الماضي.

ويوسف الغمري الذي ما زال معتقلا حتى الآن، طالب في السنة الخامسة في كلية الهندسة، وعمره 24 عاماً.

في المقابل، قررت نيابة أمن الدولة العليا المصرية، إخلاء سبيل 41 مواطنا من المحبوسين احتياطياً على ذمة ثمانية تحقيقات في قضايا سياسية، بينهم الصحافي في قناة «الجزيرة» القطرية، هشام عبد العزيز.

وأكمل عبد العزيز 46 شهراً في الحبس الاحتياطي، على الرغم من أن المدة القصوى المقررة قانوناً للسجن الاحتياطي في مصر هي عامين، بسبب تدويره على ذمة قضية جديدة، بعد حصوله على إخلاء سبيل على ذمة القضيةرقم 1365 لعام 2018 حصر أمن دولة عليا، وكان متهماً فيها بالانتماء لجماعة محظورة، وظل محتجزاً على ذمتها احتياطياً، حتى صدر بشأنه قرار بإخلاء سبيله بكفالة 20 ألف جنيه بتاريخ 5 كانون الأول/ديسمبر 2019.

وبعد قرار إخلاء سبيله نُقل عبد العزيز إلى قسم شرطة حدائق القبة لإنهاء الإجراءات، إلا أنه تعرض للاختفاء القسري مجددا لمدة شهر، ثم فوجئت عائلته بظهوره في سجن طرة تحقيق على ذمة قضية جديدة تحت رقم 1956 لعام 2019 وصدور قرار من نيابة أمن الدولة بتجديد حبسه احتياطيا دون مبرر.

وكانت السلطات المصرية قد احتجزت هشام وأسرته بمجرد وصولهم إلى مطار القاهرة، بينما كانوا عائدين لقضاء إجازتهم السنوية في مصر بتاريخ 20–6–2019 حيث قام ضابط الجوازات بتوقيفهم ومن ثم تم اقتياد هشام إلى مكتب الأمن الوطني بمطار القاهرة، ثم تم التحقيق معه لمدة خمس ساعات، تخللها تفتيش أجهزة المحمول وجهاز الكمبيوتر الشخصي الخاص به، وجوازات السفر وحقائب السفر الخاصة بزوجته وأولاده، ثم سحب جوازات سفرهم، والسماح له بالرحيل بعد أخذ إقرار عليه بالعودة لمقر الأمن الوطني لاستلام الجوازات.

وبعدها بساعات؛ تلقى هشام مكالمة هاتفية من ضابط الأمن الوطني بمطار القاهرة، يطلب منه الحضور الفوري لاستلام جوازات السفر، وبمجرد وصوله قام الأمن بتوقيفه، ثم تعرض إلى الاخفاء القسري لمدة ثلاثة أيام دون تمكينه من التواصل مع أي جهة، تعرض خلالها للتجويع والمعاملة المهينة، حيث مُنع عنه الماء والطعام، ومُنع من دخول الحمام، وقام الأمن بأخذ حذائه وتمزيق ثيابه ليُعرض على النيابة في حالة مزرية.

وقالت أسرة هشام عبد العزيز، في تصريحات سابقة، إنه أصيب بالمياه الزرقاء في عينيه، وعانى من ارتفاع في ضغط العين، مما تسبب إعتامًا في القرنية وعدم وضوح للرؤية. وعانى هشام أيضاً من تكلس في عظم الركاب في الأذن الوسطى، مما أثر على قدرته على السمع.

ويقبع عشرات الصحافيين المصريين في السجون منذ تسلم الرئيس عبدالفتاح السيسي زمام السلطة في البلاد، حيث تشن السلطات المصرية حملة قمع غير مسبوقة ضد المعارضين والمنتقدين.

وتراجعت مصر للمرتبة 168 بمؤشر حرية الصحافة لعام 2022، وفقا للتصنيف العالمي الصادر عن منظمة «مراسلون بلا حدود» بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة، في الثالث من أيار/مايو 2022.

وثيقة أمريكية مسربة: روسيا أصبحت

لندن – «القدس العربي»:

أظهرت وثيقة حكومية نشرتها صحيفة «واشنطن بوست» الأمريكية أن الحكومة الروسية أصبحت أنجح بكثير في مجال التلاعب بوسائل التواصل الاجتماعي ومحركات البحث عمّا كان معروفاً سابقاً، وهو الأمر الذي ساهم بنشر مزيد من الأخبار الكاذبة عن الجيش الأوكراني والمعلومات المضللة حول الآثار الجانبية للقاحات «كورونا».

ويسود الاعتقاد لدى المسؤولين الأمريكيين بأن الروس أصبحوا يستخدمون مئات الآلاف من الحسابات المزيفة عبر الإنترنت من أجل التأثير والتلاعب في الرأي العام.

وتقول الوثيقة التي نشرتها صحيفة «واشنطن بوست» بعد أن تم تسريبها مؤخراً عبر تطبيق «ديسكورد» إنّ المشغلين الروس للحسابات المزيفة يتباهون بأنّ كبرى شركات التكنولوجيا لا تنجح بالكشف إلّا عن 1 في المئة منها، وهو الادعاء الذي أثار قلق المسؤولين الحكوميين السابقين والخبراء داخل وخارج شركات وسائل التواصل الاجتماعي.

ويقول الخبير في المعلومات المضللة والأستاذ في جامعة جونز هوبكنز توماس ريد: «تحارب ميتا وغوغل وغيرهما من أجل إيقاف الحسابات المزيفة، فيما تحاول روسيا أن تتحسّن» معتبراً أنّ نسبة 1 في المئة المذكورة قد تكون مضلّلة أو مضخمة.

وتحوي الوثيقة تقريراً تحليلياً لعمليات البروباغندا الروسية عبر «تويتر» و«يوتيوب» و«تيك توك» و«تليغرام» وغيرها من المنصات، وتتطرّق إلى أنشطة قامت بها روسيا أواخر العام الماضي. وهي جزء من مجموعة من الوثائق التي سربت في غرف الدردشة على «ديسكورد» والتي حصلت «واشنطن بوست» على نسخة منها.

ويأتي الكشف عن تحسن قدرات التضليل الروسية بالتزامن مع اتهام مالك «تويتر» إيلون ماسك، وعدد من أعضاء الكونغرس الجمهوريين، الحكومة الفيدرالية بالتواطؤ مع شركات التكنولوجيا لقمع وجهات النظر اليمينية والمستقلة، عبر تصوير العديد من الحسابات أنّها مزيفة وجزء من خطة روسية للتأثير في الرأي العام. من جهتهم، يعبّر العديد من موظفي «تويتر» عن قلقهم من أن تسريح ماسك عدداً كبيراً من العاملين قد أضرّ بقدرة المنصة على محاربة عمليات التأثير، خاصة مع ازدياد الحملات الدعائية وانتشار خطاب الكراهية منذ أن استولى الملياردير على المنصة في تشرين الأوّل/أكتوبر الماضي.

ونقت «واشنطن بوست» عن العديد من الخبراء في مجالي الاستخبارات والأمن الرقمي تحذيرهم من أن تكون الوكالة الروسية قد بالغت بنسبة نجاحها، لكن حتّى وإن كانت نسبة نجاح الحسابات المزيفة الروسية في الإفلات من الانكشاف 90 في المئة بدلاً من 99 في المئة، فإن ذلك يشير إلى أن روسيا صارت أكثر كفاءة وفعالية في نشر البروباغندا الخاصة بها مقارنةً بعام 2016 حين حاولت التأثير على مسار الانتخابات الرئاسية الأمريكية.

وقال الرئيس السابق لوكالة الدفاع السيبراني في بريطانيا كيران مارتن، في حديث مع «واشنطن بوست»: «لو كنت حكومة الولايات المتحدة، لأخذت الأمر على محمل الجد، ولكن بهدوء»، مضيفاً: «كنت سأتحدث إلى منصات التواصل الرئيسية وأطلب أن نقيّم معاً مقدار مصداقية هذه الادعاءات».

وقالت «غوغل» مالكة «يوتيوب» في بيان: «لدينا سجل حافل في الكشف عن شبكات الحسابات المزيفة واتخاذ الإجراءات ضدها. نمارس الرقابة باستمرار ونحدّث أساليب الحماية بشكل دائم».

ومع تحوّل الإنترنت إلى المكان الأساسي للحصول على المعلومات ومناقشة الأحداث السياسية، ازدادت أهمية التأثير على ما يُقال ويُنشر على منصات التواصل الاجتماعي. لكن الرأي العام لا يعرف سوى القليل عن كيفية عرض محتوى معين دون غيره على المستخدمين. إذ تلتزم شركات التكنولوجيا بالصمت حيال آلية عمل الخوارزميات على منصاتها، فيما تقوم شركات التسويق والحكومات باستخدام المؤثرين والأدوات الآلية لنشر رسائل من كل نوع.

أكثر براعة في التحكم بالرأي العام

موجة تضامن واسعة مع الغنوشي على شبكات التواصل وعودة الجدل حول «ثورة تونس»

لندن – «القدس العربي»:

تجدد الجدل على شبكات التواصل الاجتماعي في مختلف أنحاء العالم العربي وعلى نطاق واسع حول ثورة تونس التي انطلقت من أجل التغيير مطلع العام 2011 وما إذا كانت نجحت في ذلك أم لا، وذلك على وقع اعتقال رئيس حركة النهضة الشيخ راشد الغنوشي، والذي يشكل وجوده في تونس أحد ملامح وعلامات زوال نظام زين العابدين بن علي عندما ظل الغنوشي منفياً طوال فترة حكمه.

وداهمت قوات الأمن التونسية مساء الاثنين الماضي منزل زعيم حركة النهضة ورئيس البرلمان المنحل راشد الغنوشي البالغ من العمر 82 عاما، وقامت باعتقاله بعد تفتيش منزله، ومن ثم تسربت معلومات عن تدهور حالته الصحية ونقله إلى المستشفى، فيما اعتقلت السلطات في اليوم التالي ثلاثة آخرين من قادة الحركة، وأصدرت قراراً بإغلاق مقراتها ومنع انعقاد الاجتماعات فيها.

وقالت حركة النهضة إن فرقة أمنية داهمت منزل الغنوشي واقتادته إلى جهة غير معلومة بدون احترام أبسط الإجراءات القانونية، ونددت الحركة بما وصفته بالتطور الخطير جدا، وطالبت بإطلاق سراح الغنوشي فورا والكف عما وصفته بـ«استباحة النشطاء السياسيين المعارضين».

وفي وقت لاحق أكد مصدر مسؤول في وزارة الداخلية التونسية إيقاف الغنوشي بأمر من النيابة العامة في القطب القضائي لمكافحة الإرهاب بعد تفتيش منزله، وذلك عقب تصريحات له اعتبرتها النيابة العامة تحريضية.

وأثار اعتقال الغنوشي موجة واسعة من الجدل على شبكات التواصل الاجتماعي، حيث هيمن الخبر على تعليقات النشطاء والمعلقين، وربط بعضهم بين ما حصل سابقاً لجماعة الإخوان في مصر وما يحصل الآن في تونس، فيما تجدد الجدل حول «ثورة الياسمين» التي انطلقت في تونس عام 2011 وأطاحت بنظام الرئيس زين العابدين بن علي الذي فر هارباً من شعبه إلى السعودية خوفاً من أن تصل إليه أيدي الثوار.

وأطلق نشطاء على شبكات التواصل الاجتماعي الهاشتاغ #غنوشي_لست_وحدك» والذي سرعان ما انتشر في عدة دول عربية وحصد تفاعلاً كبيراً بالتزامن مع قرار النيابة العامة في تونس إبقاء زعيم حركة النهضة قيد الاعتقال.

ونشرت سمية الغنوشي، وهي ابنة راشد الغنوشي، مقطع فيديو مصور شرحت فيه كيفية اعتقال والدها، وقالت: «في المساء فوجئت الأسرة بطرق باب المنزل، فسارعت أختي إلى فتح الباب، وإذا بنا نفاجأ بطوفان بشري يجتاح البيت. أكثر من 100 رجل أمن بقي جزء منهم في الخارج وطوقوا البيت من مختلف الجهات، والباقون دخلوا المنزل».

وأضافت: «بدأوا بتفتيش مكتب والدي، فلمحوا على مكتبه أوراقاً مكتوبة بخط يده فانقضوا عليها كمن عثر على كنز ثمين». وتابعت: «والدتي وقفت مذهولة وقالت لهم: هل الكتابة جريمة؟ وهل ممنوع أن نكتب ونفكر؟ وهل يجب علينا أن نكون مجرد حيوانات؟ لكنهم واصلوا تفتيش المنزل، ثم اقتادوا والدي إلى جهة غير معلومة».

وقالت الغنوشي: «لم نعرف إلى أين تم اقتياده في تلك الليلة لأنه لم يُسمح لمحامية اللقاء به، وآخر ما بلغنا أنه في المستشفى، وقيل لنا أنه أمضى الليلة الأولى جالساً على الكرسي، ورفض الحديث لحين قدوم المحامي، وطلب استخدام دورة المياه فرفضوا أن يسمحوا له».

وتساءلت الغنوشي: «ما هي البطولة في أن تقتاد رجلاً في الثمانينيات من عمره وهو صائم في شهر رمضان، وتحرمه حتى من استخدام دورة المياه؟ هذا لا يضير الغنوشي في شيء ولكنه يكشف دناءة هذا الانقلاب وانحطاطه الأخلاقي والسياسي».

وغردت سمية الغنوشي لاحقاً: «عند إصدار القاضي حكمه الباطل بسجنه، رد والدي بهدوئه المعهود، ثابتا راسخا رسوخ الجبال: أمر المؤمن كلّه خير، الخير في ما قضى الله، اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا. أنا مستبشر بالمستقبل».

وكتب المدير العام السابق لقناة «الجزيرة» القطرية: «حركة النهضة دفعت ثمنا غاليا لوقفتها مع ثورة الشعب السوري عندما كانت شريكة في الحكم، وهي لها علاقات قديمة مع نظام الجمهورية الإسلامية في إيران، تضررت كثيرا لكنها لم تنقطع، لا يحتاج الشيخ وقفة سفهاء النت معه، من تلاميذ قيس سعيد الذين يعتقدون إن حسابا على التويتر ينصب أحدهم قاضيا في محكمة تفتيش على مناضل ومفكر أفنى عمره دفاعا عن الحريات».

وغرد الكاتب والصحافي الفلسطيني ياسر الزعاترة: «سجن الغنوشي كان متوقعاً. مجرّد وجوده كرئيس لبرلمان تمّ حلّه زوراً؛ يذكّر «الدكتاتور الصغير» بانقلابه. أما من يديرونه من الخلف فهم يحتاجون مزيداً من القمع لتنظيف الساحة من المعارضة؛ تمهيداً لمرحلتهم المكشوفة. إرضاء داعمي الخارج مهم أيضاً.. جولة من صراع لم يتردّد الشيخ في خوضه منذ عقود».

وأضاف في تغريدة ثانية: «السجون لا تدفن الأحرار، والقمع لا يرفع الصغار. الغنوشي سيرة من النضال ضد الظلم والدكتاتورية، فيما كان من يستهدفه من أتباع الدكتاتورية، وبلا أي سيرة نضالية من أي نوع، وصعد بعد أن داعب خيال الناس بشعبويات أسفرت عن لا شيء».

وكتب رئيس مركز تكوين العلماء في موريتانيا محمد الحسن الددو: «تلفيق التهم، وإشاعة الكذب سياسة يتقنها الطغاة الظالمون على مر العصور، وهي علامة فشلهم في إسكات الحق ودعاته، فكما قال فرعون لقومه يخوفهم من نبي الله موسى: (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون)».

وكتب رئيس شبكة «الجزيرة» السابق، ورئيس منتدى «الشرق» وضاح خنفر مغرداً على تويتر: «لم يكن الاعتقال التعسفي يوما سوى دلالة على الإفلاس الأخلاقي والانحطاط السياسي، فكيف باعتقال مفكر وزعيم ثمانيني عُرف دوما بمواقفه المعتدلة، وخطابه المتوازن؟ الاعتقال لن يزيد الغنوشي إلا مكانة».

وعلق محمد المختار الشنقيطي: «دواعش البهلوان قيس سعيد في تونس لا يملكون من الحداثة سوى الفجور والخمور، ولا من الديمقراطية سوى خدمة الأنظمة القمعية، ولا من الثقافة سوى التبعية ومركب النقص الفرانكوفوني. وهم يسجنون الغنوشي الذي سلخ عمره في السجون والمنفى دفاعا عن كرامة التونسيين».

وغرد ياسين أقطاي، مستشار الرئيس التركي، بالعربية قائلاً: «إلى الشيخ راشد الغنوشي، لست وحدك ولن تكون، فالسجون للمجرمين والفاسدين، وليست للساسة ولا للمفكرين. عار على من سجنوك وعار على من أيد أو حتى صمت».

وغرد الإعلامي المصري المعارض أسامة جاويش يقول: «حملة للتضامن مع الشيخ راشد الغنوشي ضد بلطجة النظام الديكتاتوري المجرم لقيس سعيد في تونس».

وكتب وسام العامري: «الشيخ راشد الغنوشي قامة سياسية وفكرية ودعوية ومفخرة كبرى لتونس، بل ويفخر به كل عربي ومسلم، وقد ألهم بفكره وقلمه إخواننا الأتراك في تجربتهم السياسية الحالية باعتراف الرئيس التركي الطيب رجب اردوغان، وحق الشيخ الغنوشي التكريم والاحتفاء لا التجريم».

وعلق الإعلامي المصري أحمد منصور: «حينما يفلس النظام السياسي كما في تونس يلجأ لاعتقال معارضيه وتلفيق التهم الفارغة لهم مثل اعتقال راشد الغنوشي وتوجيه اتهامات مضحكة له».

وكتب فراس أبوهلال: «الحرية لرئيس البرلمان التونسي المنتخب راشد الغنوشي.. الغنوشي ليس سياسيا تونسيا فقط بل هو رمز فكري عالمي. إدارة الاختلاف معه يجب أن تكون بالقانون والسياسة لا بالقمع. الغنوشي ليس وحده المختلف في تونس، بل العملية السياسية ككل، منذ الانقلاب الدستوري لقيس سعيد».

وعلق الناشط السعودي مهنا الحبيل: «التضامن مع الشيخ راشد الغنوشي واجب فكري وأخلاقي لكل مثقف عربي». وأضاف في تغريدة ثانية: «لا يمثل الشيخ راشد الغنوشي شخصية مفردة لها دورها الفكري المميز في تاريخ الشرق الإسلامي والإحيائيين الكبار وحسب، ولكنه رائد تجربة تاريخية لشراكة فكر النهضة الإسلامي في سبيل دولة العدالة والحقوق والإندماج الوطني العام ومحاصرته واعتقاله غدر بتونس والحلم العربي».

وكتب وزير الخارجية التونسي الأسبق الدكتور رفيق عبد السلام: «قيس سعيد نصب لنفسه محاكمة لأنه يتهم الغنوشي بما هو متأصل في نفسه الخسيسة من نزوع نحو العنف والتحريض وفساد القول والعمل. وما المتوقع من دكتاتور أرعن وكتلة متحركة من العقد».

وعلق محمد عفان قائلاً: «سيبقى الشيخ راشد الغنوشي أحد أهم المنظرين الإسلاميين للوسطية والاعتدال.. وأحد رموز النضال الوطني ضد الاستبداد في تونس.. وسيبقى كما كان دوما أقوى من كل سجانيه».

يشار إلى أن حركة النهضة بثت تسجيلاً لزعيمها كان قد سجله قبل اعتقاله، حيث قال فيه الغنوشي إن «المعركة في تونس هي بين الديمقراطية والدكتاتورية التي تريد أن تصادر مكاسب الثورة»، مشيرا إلى أن «الملفات المرفوعة ضدنا هي ملفات فارغة بشهادة رجال القانون».

وأضاف «السلطة تمارس استهدافا سياسيا بوسائل قضائية، والانقلاب الغاشم يدفع نحو مزيد من المصائب، واعتقالي واعتقال المناضلين لن يحلا مشاكل الغلاء».

علوم وتكنولوجيا

«واتساب» قد يتم حظره في بريطانيا قريباً بسبب مخالفته قوانين الحماية والأمان

لندن – «القدس العربي»:

يواجه تطبيق المراسلة الفورية الأوسع انتشاراً في العالم، والذي أصبح جزءا لا يتجزأ من الهواتف المحمولة في أيدي الناس، يواجه احتمالات الحظر في بريطانيا قريباً بسبب مخالفته لقوانين الأمان والحماية الجديدة التي ستصبح سارية في البلاد، وذلك ما لم يقم بالتحديث على برمجياته وطريقة عمله.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية واطلعت عليه «القدس العربي» إن تطبيق «واتساب» يواجه احتمالات الحظر في المملكة المتحدة، وذلك بموجب مشروع القانون الذي يفرض على شركات التكنولوجيا واجب البحث عن المحتوى غير القانوني الذي يتم توزيعه عبر منصات التواصل الاجتماعي الخاصة بهم وإزالته.

ويقول الخبراء إن هذا الإجراء قد يعني التخلص من «التشفير الكامل من طرف إلى طرف» وهي ميزة أمان تعمل على تشويش الرسائل لضمان أن المرسل والمستلم فقط يمكنهم قراءتها.

المالكة لتطبيقات المراسلة، فمن الممكن أن يؤدي القانون إلى إضعاف خصوصية مليارات الأشخاص حول العالم. وأضافت الشركات: «لا نعتقد أن أي شركة أو حكومة أو شخص يجب أن يكون لديه القدرة على قراءة رسائلك الشخصية وسنواصل الدفاع عن تقنية التشفير.»

ووقعت الشركات المالكة لخدمات المراسلة على خطاب مفتوح يعارض مشروع قانون الأمان عبر الإنترنت قبل قراءته النهائية في مجلس اللوردات، وجاء في البيان: «تدرس حكومة المملكة المتحدة حالياً تشريعاً جديداً يفتح الباب لمحاولة إجبار شركات التكنولوجيا على كسر التشفير من طرف إلى طرف على خدمات المراسلة الخاصة».

وتدعي الشركات أن التشفير من طرف إلى طرف هو «أحد أقوى الدفاعات الممكنة» ضد التهديدات مثل الاحتيال عبر الإنترنت والاحتيال وسرقة البيانات.

ويزعم الموقعون أيضاً أن «الإنترنت البريطاني الذي يحتوي على نسخته الخاصة من الأمان الضعيف، لا يمكن إنشاؤه بواسطة التطبيقات العالمية لتناسب حكومة المملكة المتحدة.

وكانت شركة «ميتا» المالكة لتطبيق «واتساب» قالت صراحة وعلانية الشهر الماضي إنها سترفض الامتثال لقانون الأمان عبر الإنترنت.

وفي حديثه قبل اجتماع مع المشرعين في بريطانيا لمناقشة القانون المقترح، وصف مدير شبكة «واتساب» ويل كاثكارت مشروع القانون بأنه أكثر التشريعات إثارة للقلق التي تتم مناقشتها حالياً في العالم الغربي. وفي أيلول/سبتمبر الماضي، قال صراحة إنه من «المحير» أن الحكومات تريد إضعاف الأمن بهذه الطريقة، وليس تعزيزه.

ولا يمكن لتطبيق «واتساب» رؤية الرسائل المرسلة عبر خدمته الخاصة، وبالتالي لا يمكنه الامتثال لطلبات تطبيق القانون إما لتسليمها لأغراض مكافحة الإرهاب أو لتحديد وإزالة مواد الاعتداء على الأطفال، على سبيل المثال. لكن الحكومة البريطانية تصر على أنه من الممكن التمتع بالخصوصية مع تأمين سلامة الأطفال.

وظل مشروع قانون الأمان عبر الإنترنت يشق طريقه عبر البرلمان منذ نشره في شكل مسودة في أيار/مايو 2021. ويقول مؤيدوه إنه مصمم للمساعدة في تضييق الخناق على التصيد عبر الإنترنت والأشكال غير القانونية للمواد الإباحية من خلال وضع مزيد من المسؤولية على الأنظمة الأساسية التي يستخدمها مستخدمو الإنترنت.

وكجزء من هذا، فإنه يسمح لحكومة بريطانيا أو هيئة تنظيم الاتصالات «Ofcom» بمطالبة الشركات بفحص محتويات الرسائل المرسلة عبر أنظمتها الأساسية بحثاً عن محتوى غير قانوني. ومع ذلك، فإن القيام بذلك من المحتمل أن يجبرهم على إضعاف إجراءاتهم الأمنية أو التخلص منها.

وأصرت الحكومة على أن مشروع القانون «لا يمثل حظراً على التشفير من طرف إلى طرف» وأنه «يمكننا ويجب علينا» تأمين الخصوصية وسلامة الطفل معاً.

لكن معارضي القانون يقولون إنه لا يذكر صراحةً كيف يمكن مراقبة محتوى الرسالة ومواصلة تشفيرها، ما يؤدي إلى إنشاء «منطقة رمادية».

وتقول الرسالة المفتوحة: «لا يوفر مشروع القانون أي حماية صريحة للتشفير، وإذا تم تنفيذه كما هو مكتوب، يمكن أن يمكّن هيئة تنظيم الاتصالات من محاولة فرض المسح الاستباقي للرسائل الخاصة على خدمات الاتصالات المشفرة من طرف إلى طرف وإبطال الغرض من التشفير الشامل وتهديد خصوصية جميع المستخدمين».

وقال الرئيس التنفيذي لتطبيق المراسلة الآمنة «Element» مات هودجسون الذي وقع على الخطاب أيضاً إن قدرة شركته على خدمة العملاء مهددة من قبل هذا القانون. وقال: «نريد المملكة المتحدة وصولها الخاص إلى أنظمة التشفير من طرف إلى طرف».

ويقول معارضو القانون إن الفاعلين السيئين لا يلتزمون بالقواعد، وستستهدف الدول المارقة والإرهابيون والمجرمون هذا الوصول بكل مورد لديهم. ويشيرون إلى أن «قانون الأمان على الإنترنت» خطير تماماً، ويكافئ من الناحية السيبرانية إخراج بريطانيا لرادعها النووي من الخدمة.

وتنص الرسالة المفتوحة على أنه «لم يفت الأوان بعد لضمان توافق مشروع القانون مع نية الحكومة المعلنة لحماية التشفير من طرف إلى طرف».

وتستطرد بالقول: «يجب على حكومة المملكة المتحدة إعادة التفكير على وجه السرعة في مشروع القانون، ومراجعته لتشجيع الشركات على تقديم المزيد من الخصوصية والأمان لسكانها، وليس أقل».

وحث كاثكارت حكومة بريطانيا سابقاً على إضافة صياغة تميز تطبيقات المراسلة الخاصة عن الشبكات الاجتماعية الأخرى. وبدلاً من مجرد الإدلاء ببيانات حول أهمية التشفير، قال إنه يجب عليهم كتابة ذلك بأن التشفير سيكون محمياً في قانون الأمان عبر الإنترنت.

وقال كاثكارت: «يمكن أن يوضح القانون أنه ينبغي النظر في الخصوصية والأمن في إطار العمل. يمكن أن يقول صراحة أنه لا ينبغي إزالة التشفير من طرف إلى طرف. يمكن أن يكون هناك المزيد من الضمانات الإجرائية بحيث لا يمكن أن يحدث هذا بشكل مستقل كقرار».

اكتشاف مخلوق مخيف لديه 24 عينا في هونغ كونغ

لندن – «القدس العربي»:

اكتشف علماء الطبيعة والمتخصصون في العلوم البحرية مخلوقاً مخيفاً في بحيرة «موحلة» في هونغ كونغ، حيث وصفوه بأنه «مخلوق غامض ولديه 24 عيناً في رأسه».

وحسب تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، فقد اكتشف العلماء أثناء مراقبة جسم مائي في محمية ماي بو في هونغ كونغ مخلوقاً جديداً وخلصوا إلى أنه «نوع جديد تماماً من قناديل البحر».

والنوع الجديد هو جزء من عائلة قناديل البحر الصندوقية، له جسم شفاف يقل قياسه عن بوصة واحدة وثلاثة مخالب طويلة.

وقنديل البحر لديه عشرون عين مقسمة بالتساوي إلى أربع مجموعات كل منها ستة عيون.

وهذا هو أول اكتشاف لأنواع قناديل البحر الصندوقية الجديدة في المياه الصينية والنوع الرابع في عائلة «Tripedaliidae» والتي تضم بعضاً من أكثر الحيوانات البحرية السامة في المياه الاستوائية.

وتحتوي قناديل البحر الصندوقية، التي سميت على شكل جسمها، على مجسات مثل السهام السامة التي تطلق مادة سامة يمكن أن تسبب الشلل أو السكتة القلبية أو الموت، وكل ذلك في غضون دقائق قليلة من التعرض لها. ويعتبر قنديل البحر الأسترالي من أكثر الحيوانات البحرية السامة في العالم.

وتتكون فئة الكوبوزوا، المعروفة باسم قنديل البحر المربع بسبب الأجراس المكعبة الشكل، من مجموعة صغيرة من الكائنات المجوفة مع ما يقرب من 50 نوعاً موصوفاً وهي معروفة للجمهور باحتوائها على بعض من أكثر الحيوانات البحرية السامة في العالم.

ولاحظ فريق من العلماء بقيادة جامعة هونغ كونغ المعمدانية «HKBU» الحيوان البحري لمدة ثلاث سنوات، ووجدوا أن عدداً متزايداً ظهر في المياه قليلة الملوحة لأحواض الروبيان في محمية ماي بو الطبيعية.

وتتميز المحمية بالأراضي الرطبة ذات المسابح الضحلة التي تصل إلى نهر شام تشون ونهر شان بوي وتين شوي واي نولا. وجمع الفريق قنديل البحر من البركة وحللوا الحمض النووي والأنسجة، ما سمح لهم بالتوصل إلى نتيجة مفادها أنه نوع جديد.

وقال كبير الباحثين البروفيسور كيو جيان ون، إن قناديل البحر الصندوقية «غير معروفة» في المياه البحرية الصينية، ويعتقد أن هذا الاكتشاف يدل على «تنوع غني» للحياة البحرية حول هونغ كونغ. وتم جمع كل من الذكور والإناث من البركة في عام 2022.

وتعتبر العيون الـ24 قياسية لقنديل البحر الصندوقي، ويقال إن مجموعتين من المجموعات تحتويان على عدسات تمكن من تكوين الصورة، بينما يمكن للأربعة الأخرى استشعار الضوء فقط. ويمتلك المخلوق ثلاثة مخالب يصل طول أركانها إلى 10 سنتيمترات.

ويشبه الهيكل المسطح على شكل وسادة في قاعدة كل منها مجداف قارب، ما يسمح لقنديل البحر الصندوقي بإنتاج دفعات قوية عندما تتقلص أجسادهم. وهذه الميزة تساعده على السباحة أسرع مقارنة بالأنواع الأخرى من قناديل البحر. ويمكن أن يصل قنديل البحر الصندوقي إلى أربع عقد أثناء السباحة بينما تطفو الأنواع الأخرى مع التيار.

وقال جيان ون: «إنه معروف حالياً في ماي بو فقط» وأضاف: «نعتقد أن هذه الأنواع موزعة أيضاً في المياه المجاورة لمصب نهر اللؤلؤ لأنها متصلة بمصب النهر من خلال قناة المد والجزر».

هل بياناتك الشخصية معروضة للبيع على الإنترنت وأنت لا تدري؟

لندن – «القدس العربي»:

تبين من تقرير حديث صادر عن فريق متخصص أن مليارات البيانات الشخصية أصبحت الآن معروضة للبيع على الإنترنت «الدارك ويب» وبات بمقدور اللصوص والمحتالين وقراصنة الإنترنت الحصول عليها واستخدامها، بما في ذلك بيانات حساسة وبالغة الأهمية مثل البيانات المصرفية والبطاقات البنكية وبطاقات الائتمان.

وقال التقرير الذي اطلعت على مضمونه «القدس العربي» إنه يوجد حالياً 25 مليار عنوان بريد إلكتروني وأرقام هواتف وبطاقات ائتمان في السوق السوداء على الإنترنت، حيث أن أغلب الناس أصبح من الممكن الاستيلاء على هويتهم الرقمية أو السطو على ممتلكات وحسابات تعود لهم.

وصدر التقرير عن مؤسسة تُدعى «Digital Shadows Photon Research» فيما نشرت مضمونه العديد من وسائل الإعلام الغربية.

ويقول الخبراء إنه يمكن للمجرمين شراء البضائع باستخدام الحساب المصرفي المسروق، كما يمكنهم الحصول على رعاية طبية من خلال التأمين الصحي الخاص بالشخص الذي تم السطو عليه وحتى ارتكاب جرائم باسمه.

وحسب تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» فإنه «لا يمكنك إزالة معلوماتك من الويب المظلم، ولكن يمكنك فقط معرفة ما إذا كانت بياناتك موجودة في السوق السوداء».

ويوصي خبراء الأمن السيبراني باستخدام الماسحات الضوئية ومواقع الويب التي تبحث في الويب المظلم نيابة عنك، كما يمكن للمستخدمين استخدام مواقع على الإنترنت مثل «ID Security» و«Have I Been Pwned» والتي ستستخدم عنوان بريدك الإلكتروني أو رقم هاتفك لمعرفة ما إذا كنت على شبكة الإنترنت المظلمة. ويُعرف خبراء الكمبيوتر «الشبكة المظلمة» أو ما يسمى «Dark Web» بأنها واحدة من ثلاث طبقات للإنترنت، حيث أن الطبقتين الأخريين هما الشبكة السطحية والعميقة. وعلى عكس شبكة الويب العالمية، لا يمكن الوصول إلى الويب المظلم من خلال محركات البحث.

ويحتاج المستخدمون إلى متصفح مجهول يسمى «Tor» وهو عبارة عن مصفوفة من مواقع الويب المشفرة التي تتيح للمستخدمين تصفح الإنترنت اليومي من دون الكشف عن هويتهم بالكامل.

ويستخدم «تور» طبقات عديدة من الأمان والتشفير لجعل المستخدمين مجهولين عبر الإنترنت، ما يفتح المستخدمين لأرض خارجة عن القانون حيث يمكن الوصول بسهولة إلى المواد الإباحية المتعلقة بالأطفال والإتجار بالبشر والقتلة للتأجير وغيرها من السلع غير القانونية. وهو المكان المناسب لشراء وبيع المعلومات الشخصية للأشخاص.

ويقول التقرير الصادر عن «Digital Shadows Photon Research» إنه تم تسجيل نحو 6.7 مليار عرض على الويب المظلم في عام 2022 كان لها اقتران فريد بين اسم المستخدم وكلمة المرور.

ويتم جمع هذه البيانات من خلال خروقات البيانات للمؤسسات الكبرى، مثل البنوك والمرافق الطبية وشركات بطاقات الائتمان.

وحول طريقة التحقق مما إذا كانت بيانات الشخص تم اختراقها وعرضها للبيع على الإنترنت، يوصي الخبراء باستخدام موقع «HaveIBeenPwned» والذي يوفر طريقة للتحقق مما إذا كان قد تم جمع معلوماتك الشخصية أثناء الاختراق. كما يغطي هذا الموقع أكثر من 11 مليار سجل مسروق.

وقال سكوت شاكلفورد، مدير برنامج الأمن السيبراني بجامعة إنديانا الأمريكية: «فقط أدخل عنوان بريدك الإلكتروني وسيظهر عدد المرات التي ظهر فيها حساب البريد الإلكتروني في الخروقات وعدد مرات ظهوره على شبكة الإنترنت المظلمة».

وهناك أيضاً خيار الدفع مقابل مراقبة بياناتك في «الإنترنت المظلم» حيث توجد العديد من المواقع التي تقدم هذه الخدمات، ومعظمها تتقاضى 10 دولارات شهرياً في المتوسط.

ومع ذلك، نظراً للنشاط الإجرامي، لا تستطيع ماسحات الويب المظلم تغطية جميع البيانات المسروقة عبر الشبكة بالكامل، وذلك لأن معظم البيانات المسروقة يتم تداولها بشكل خاص، حسب ما يقول الخبراء.

وحسب تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية فمن الممكن للمستخدمين الجريئين والمغامرين أن يقوموا بالبحث عن أنفسهم ومعلوماتهم الخاصة على «الويب المظلم» وذلك عن طريق تنزيل المتصفح الآمن والسري «تور».

وحدثت ولادة الشبكة المظلمة في حوالي عام ألفين مع إطلاق «Freenet» وهو مشروع أطروحة لطالب في جامعة إدنبرة يُدعى إيان كلارك، والذي شرع في إنشاء «نظام تخزين واسترجاع للمعلومات اللامركزية الموزعة».

وأراد كلارك إنشاء طريقة جديدة للتواصل من دون الكشف عن هويتك ومشاركة الملفات عبر الإنترنت، والتي كانت أساس مشروع «Tor» الذي تم إصداره في عام 2002.

تطور مهم قد يقضي على أمراض الخرف والزهايمر قريباً

لندن – «القدس العربي»:

كشف باحثون عن الصورة الأكثر تفصيلا التي تم التقاطها للدماغ وهي أكثر وضوحاً بـ64 مليون مرة مما تسمح به التكنولوجيا الحالية، ما يشكل تطوراً بالغ الأهمية في مجال القضاء على الأمراض المرتبطة بالدماغ مثل الخرف والزهايمر وغيرهما.

وتم التقاط الصورة لدماغ فأر باستخدام جهاز تصوير بالرنين المغناطيسي عالي الطاقة بمستوى غير مسبوق من التفاصيل.

وقالت جريدة «دايلي ميل» البريطانية التي نشرت تقريراً عن هذا التطور الجديد إنه «لا يزال يتعين على العلماء تكرار عمليات المسح التفصيلية للغاية على أدمغة البشر، والتي يمكن أن تساعد الأطباء في المستقبل على اكتشاف الأمراض في وقت مبكر ومساعدة المرضى على البقاء على قيد الحياة لفترة أطول».

وأشارت الصحيفة إلى أن العلماء يأملون في أن يمهد مسح أدمغة الفئران الطريق لتحقيق اختراقات في علاج تطور الأمراض العصبية مثل مرض الزهايمر.

وقد استخدم فريق من الباحثين من ولاية كارولينا الشمالية وتينيسي وبنسلفانيا وإنديانا، ماسحا ضوئيا للتصوير بالرنين المغناطيسي عالي الطاقة يوفر الصور الأكثر وضوحا وتفصيلا، ويكشف عن تعقيدات تنظيم دماغ الفأر والاتصال به.

وأنتج العلماء فحوصات التصوير بالرنين المغناطيسي التي كانت أكثر وضوحا بمقدار 64 مليون مرة مما يمكن تحقيقه حاليا في المستشفيات.

وفي حين أن فحوصات التصوير بالرنين المغناطيسي ضرورية لتشخيص الحالات المميتة مثل أورام المخ، فإنها لا تستطيع حاليا الخوض في التفاصيل المجهرية.

وبعد الانتهاء من فحص التصوير بالرنين المغناطيسي على دماغ الفأر بتفاصيل رائعة، أنتج العلماء صورة أخرى باستخدام طريقة تعرف باسم الفحص المجهري للورقة الضوئية. وسمح هذا للفريق بتصور البنية الداخلية والوصلات داخل الدماغ بتفاصيل تقنية الألوان.

ولم يتم إجراء عمليات المسح حتى الآن إلا على الفئران، لكن العلماء الذين يقفون وراء هذا الابتكار متفائلون بأن هذه التكنولوجيا يمكن أن تكون جزءا لا يتجزأ من تتبع التغيرات المرتبطة بالعمر في أدمغة الإنسان، مما قد يؤدي إلى علاجات جديدة ومبتكرة.

وقاد الفريق باحثون في مركز الفحص المجهري في جامعة ديوك، وهو تتويج لأربعة عقود من البحث.

وتظهر عمليات المسح الملونة تغييرات في اتصالات الدماغ مع التقدم في العمر. كما يوضحون أيضا كيف تتغير مناطق معينة من الدماغ – مثل المنطقة الفرعية المرتبطة بالذاكرة – أكثر من بقية دماغ الفأر.

ونُشر التقرير الذي يفصل نتائج عمليات المسح في وقائع الأكاديمية الوطنية للعلوم.

وقال آلان جونسون، المعد الرئيسي للورقة البحثية الجديدة: «يمكننا البدء في النظر إلى الأمراض التنكسية العصبية بطريقة مختلفة تماما. يستخدم التصوير بالرنين المغناطيسي المغناطيس وموجات الراديو لإنتاج عمليات المسح». وتمكن العلماء من إنتاج نظرة خاطفة بلون قوس قزح داخل الشبكات العصبية للفئران من مختلف الأعمار والتركيبات الجينية باستخدام مغناطيس قوي للغاية، أقوى بكثير من تلك التي تستخدم عادة في جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي.

وللمساعدة في إنشاء صورة الدماغ، استخدموا جهاز كمبيوتر عالي الأداء يعادل ما يقرب من 800 جهاز كمبيوتر محمول تعمل جميعها في وقت واحد لتصوير دماغ واحد.

وبعد الانتهاء من فحص التصوير بالرنين المغناطيسي، أجرى العلماء فحصا مجهريا للورقة الضوئية على عينة أنسجة المخ، ما يمكنهم من تصنيف مجموعات محددة من الخلايا في الدماغ ومراقبتها بحثا عن التغييرات أو التقدم في مرض التنكس العصبي بمرور الوقت.

وكانت الصور قادرة أيضا على التقاط كيف يكسر مرض الزهايمر الشبكات العصبية.

ويمكن أن تكون تطبيقات تقنية التصوير بالرنين المغناطيسي عالية الطاقة واسعة النطاق، ما يساعد الأطباء على تشخيص السرطانات والأمراض العصبية قبل فوات الأوان.

اقتصاد

قطيعة أم مناورة
أية سياسة لتونس في مفاوضاتها مع صندوق النقد الدولي؟

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

يبدو أن ملف تونس مع صندوق النقد الدولي يسير نحو مزيد التأزم ، فالطريق لنيل القرض الذي تحتاجه البلاد للخروج من أزمتها الاقتصادية لا يزال طويلا ومعقدا، وكل المؤشرات تؤكد بأن عدم حصول تونس على القرض في أقرب الآجال سيعقّد الوضع أكثر إلى ما لا يحمد عقباه. فالصندوق اشترط برنامج إصلاحات كامل يمكّن الحكومة التونسية من الحصول على القرض المطلوب، ولكن يبدو أن عدم ثقة الأطراف المشرفة على الصندوق فيما يتعلق بقدرة تونس على الالتزام بجدول الإصلاحات عطّل هذا الملف باعتبار ان بعض الشروط قُوبلت بردود فعل رافضة داخليا خاصة فيما يتعلق برفع الدعم وما يمكن أن ينجرّ عنه من ضرب للقدرة الشرائية لدى الشرائح الهشّة والمتوسطة.

سياسة ضبابية

وجاء تصريح رئيس الجمهورية قيس سعيد خلال الشهر الحالي المتعلقة بالاتفاق مع صندوق النقد الدولي بمناسبة إشرافه على ذكرى وفاة الزعيم الراحل الحبيب بورقيبة بمدينة المنستير، والتي اعتبر فيه أن «الإملاءات التي تأتي من الخارج تؤدي إلى مزيد التفقير مرفوضة، وأن البديل هو أن يعوّل التونسيون على أنفسهم وأنّ السلم الأهلي ليس أمرا هيّنا» قطعا من ساكن قرطاج مع صندوق النقد الدولي. كما بدا للبعض أن سعيد لديه حلول بديلة حتى يتحدث بكل المبلغ سيكون كاملا وليس على أقساط.

من جهته اعتبر الأستاذ الجامعي الخبير الاقتصادي، رضا الشكندالي بأن تصريح رئيس الجمهورية عقّد الوضعية مع صندوق النقد الدولي وأثرّ على سياساته تجاه تونس. ويضيف لـ«القدس العربي» بالقول: «فقد راجع الصندوق تقديراته على مستوى النمو الاقتصادي إلى الترفيع بالنسبة إلى النمو العالمي والعديد من الدول في العالم، ولكن بالنسبة لتونس رجّح هذا التحيين نحو النزول بما ان نسبة النمو الاقتصادي التي قدرّها في تشرين الأول/ أكتوبر 2022 كانت 1.6 في المئة، أما الآن فقدرها في حدود 1.3 في المئة». وهذا يعني حسب محدثنا، بأن الصندوق ليست له ثقة في ان الحكومة التونسية ستمضي في الإصلاحات الاقتصادية. وبالتالي لا يمكنه أن ينطلق في الموافقة حول القرض المزمع تقديمه إلى تونس. وأضاف: «صندوق النقد الدولي ليس متفائلا بما فيه الكفاية حول مستقبل المفاوضات حول القرض مع تونس بالرغم من التصريحات – التي اعتبرها دبلوماسية – من طرف مسؤولي الصندوق».

سياسة الحكومة

وفيما يتعلق بسياسة الحكومة التونسية مع هذا الملف أجاب شكندالي بالقول: «ما وقع في اجتماعات الربيع ليس واضحا ولم تصرّح الحكومة بفحوى هذه التحركات على مستوى الوفد التونسي. ولكن منذ أن سافر الوفد للمشاركة في اجتماعات الربيع كان عليه ان يشتغل على نقطة مهمة جدا وهي تأجيل رفع الدعم بالنسبة للسنة الحالية إلى السنة المقبلة. خاصة أن هذا التأجيل ليس متضاربا مع الاتفاق التقني الذي وقعّ مع خبراء الصندوق لأن الأسعار العالمية للنفط دون فرضية ميزانية الدولة بكثير. وكل دولار تحت فرضية ميزانية الدولة يربح ميزانيتها بـ 141 دولارا كاملة. وبالتالي لا فارق بين فرضية ميزانية الدولة والأسعار العالمية للنفط الحالية تقريبا والتي تعطي هامشا من الربح لميزانية الدولة يساوي نفس قيمة المبلغ الذي وقع الاتفاق عليه مع خبراء الصندوق حول رفع الدعم عن المحروقات». وهذا حسب محدثنا «مهم جدا لأن الوضع الحالي يتسم بتضخم مالي عال جدا ولا يسمح بتنزيل هذا الإصلاح خاصة على مستوى رفع الدعم عن الوقود».

أية سيناريوهات؟

أما فيما يتعلق بالفرضيات المتوقعة أو البديل أمام تونس إذا تعثرت في التوصل إلى اتفاق أجاب بالقول: «ان كان للحكومة من بديل فلا بد ان تفصح عنه ولكن حتى الآن ليس هناك بديل، وقد قدمت في قراءة مؤخرا بديلا عن المفاوضات مع صندوق النقد الدولي وتتكون من أربع محاور كاملة. وإذا لم تقدم الحكومة التونسية بديلا فليس هناك من خيار سوى المزيد من الاقتراض الداخلي والذي سيرهق النظام البنكي ويهدّد صلابته ويمكن أن يؤدي ذلك إلى فقدان الثقة تجاه البنوك ويؤدي إلى مظاهر رأيناها في الأزمة اللبنانية عندما أعلنت الحكومة الإفلاس. وشاهدنا البعض يقتحمون البنوك لأخذ مدخراتهم وهو سيناريو مخيف».

تلك الثقة التي تجعله يوجه سهام نقده إلى مؤسسة مالية دولية كبرى ويتهمها ضمنيا بفرض الإملاءات والبحث عن تفقير التونسيين وضرب السلم الأهلي.

لكن حضور وفد اقتصادي من الحكومة التونسية في اجتماعات الربيع لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، والتصريحات التي رافقت تحول هذا الوفد الوزاري إلى واشنطن، جعل البعض يتحدثون عن امكانية وجود سياسة مناورة تقوم بها تونس الرسمية للضغط على الصندوق والقائمين عليه للموافقة النهائية على هذا القرض. كما ان تصريحات مدير إدارة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى في صندوق النقد الدولي تصبّ في اتجاه ان تونس وخلافا لما صرح به رئيس جمهوريتها لم تتراجع عن رغبتها في نيل القرض.

فقد أكد أزعور في تصريح لوسيلة إعلام تونسية أن الصندوق لم يتلق طلبا رسميا من السلطات التونسية بالتراجع عن القرض وبالتالي فإنه ماض في برنامجه لدعم تونس. كما أكد أزعور خلال مؤتمر صحافي على هامش اجتماعات الربيع بواشنطن أن صندوق النقد أمضى على موافقته على برنامج إصلاحات الحكومة التونسية منذ 6 أشهر، وأن الصندوق يتواصل مع حكومة نجلاء بودن للموافقة على تمويل تونس لتنفيذ برنامج إصلاحاتها.

المزيد من التنازلات

ولعل ما يعيق الموافقة النهائية على هذا القرض الذي أثار كل هذا الجدل هو بالأساس عدم اقتناع صندوق النقد الدولي بأن الخطة الإصلاحية التي اقترحها الطرف التونسي ستمكّنه من سداد أقساط قرضه في الآجال. لأن ما يعني الصندوق بالأساس ليس تحول تونس إلى بلد متقدم بل أن تكون لها القدرة على سداد أقساط القرض في الآجال وبعد ذلك لا يبدو أن الشأن التونسي سيعنيه كثيرا. وبالتالي فهو ينتظر المزيد من التنازلات من الطرف التونسي على حساب الجوانب الاجتماعية غير مبال بأين التونسيين ومعاناتهم فيما يتعلق بتراجع القدرة الشرائية وتدني مستوى المعيشة. كما يرى البعض أن المماطلة في منح الصندوق للقرض يعود إلى عدم رضا الدول الفاعلة والمؤثرة فيه وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية على سياسات الرئيس قيس سعيد. إذ عبّرت واشنطن في أكثر من مناسبة وعلى لسان أكثر من طرف عن خشيتها من تراجع تونس عن المكاسب الديمقراطية التي تحققت خلال السنوات الماضية نتيجة للسياسات المتبعة من الرئيس. وصدرت هذه التصريحات عن فاعلين في السياسات الأمريكية منهم الرئيس ووزير الخارجية ويعض مساعديه بالإضافة إلى نواب في الكونغرس الأمريكي.

ولعل ما يثير الاستغراب أن البنك الدولي والذي تجمع بينه وبين صندوق النقد الدولي روابط هيكلية حتى ان البعض يعتبره أداة تنفيذية لذلك، يوافق باستمرار على تمويل تونس بدون وضع الشروط التي يضعها الصندوق. فعلى سبيل المثال فقد وافق مجلس المديرين التنفيذيين للبنك منذ قرابة الشهر على منح تونس قرضا بقيمة 370 مليون دينار تونسي وذلك لتمويل مشروع «مساندة المؤسسات الصغرى والمتوسطة لتحقيق الانتعاش الاقتصادي» وحدّد أجلا قريبا لضخ السيولة المالية وأكد أيضا على أن

الأزمات الاقتصادية أثرت على طبيعة عمل 95.2 في المئة من العمال الفلسطينيين في لبنان

عبد معروف

كشف استطلاع رأي إلكتروني أطلقته في بيروت، منظمة «ثابت» لحق العودة، بالتعاون مع لجنة العودة وشؤون اللاجئين في المؤتمر الشعبي الفلسطيني أن نسبة 95.2 في المئة من العمال أثرت الأزمات في لبنان بشكل سلبي على طبيعة عملهم.

وأشار الاستطلاع أن نسبة 63.5 في المئة من العمال المستطلعين ما زالوا في عملهم الحالي فيما 36.5 في المئة منهم تركوا عملهم بسبب الأزمة الاقتصادية والمالية التي تشهدها البلاد.

وحول دفع المستحقات المالية من تعويضات وغيرها بعد انتهاء العقد الوظيف كانت النسبة كبيرة جدا حيث بلغت نحو 92.3 في المئة من الموظفين لم يحصلوا على مستحقاتهم المالية.

وحول ما إذا كانت الأزمة قد أثرت على نوع العمل فإن 58.2 في المئة من العمال قد تغيرت طبيعة عملهم كتخفيض الرواتب وزيادة ساعات العمل بالإضافة التي تغيير بالمهام والمسؤوليات.

وأعرب 63.2 في المئة من العمال عن شعورهم بالتضييق عليهم في العمل، بالإضافة أن الأكثرية من العمال ما زالوا يتقاضون الراتب بالليرة اللبنانية حيث بلغت نسبتهم ما يقارب 84.2 في المئة وأن 75.3 في المئة من العمال لا يشمل راتبهم بدل المواصلات.

وحول ما إذا كان الراتب الحالي يكفي لسد الاحتياجات المعيشية الأساسية فقد عبر 85.6 في المئة منهم بأن الراتب لا يكفي، وحول أولويات الإنفاق في حياة العمال المعيشية فقد رأى 85.6 في المئة منهم بأن الطعام هو الأولوية فيما بلغت نسبة الكهرباء 82.7 في المئة والمواصلات بنسبة 69.2 في المئة، ثم العلاج والأدوية بنسبة 57.7 في المئة، ثم المدارس حيث سجلت 53.8 في المئة، تبعها خدمة الاتصالات والإنترنت51 في المئة، ثم أجرة المنزل 43.3 في المئة، والنسبة الأخيرة كانت للثياب بنسبة 26.9 في المئة.

فيما تنوعت آراء الآخرين حول طبيعة الانفاق، بمساعده الأهل والاخوة المتزوجين ودفع الأقساط الجامعية.

حيث بلغ نسبة 44.2 في المئة من العمال ينفقون بين 10–20 مليون شهرياً، بينما أفاد 34.6 في المئة بأن التكلفة أكثر من 20 مليونا، فيما رأى 17.3 في المئة بأن التكلفة بين 5–10 ملايين، والنسبة المتبقية 3.8 في المئة كانت أقل من 5 ملايين.

وحول كيفية التعامل مع التحديات الاقتصادية والمالية في الحياة المعيشية، 78.8 في المئة من المستطلعين استغنوا عن بعض الاحتياجات، ونسبة 75 في المئة منهم أرشدوا في الإنفاق، وأجاب ما نسبته 44.2 في المئة بأنهم وقعوا في أزمة ديون، و29.8 في المئة منهم باعوا بعض المقتنيات والأثاث، وتقاربت النسبة 28.8 في المئة بأنهم طلبوا مساعدة من الأقارب، وكانت النسبة المتبقية 22.1 في المئة بطلب المساعدة من الجمعيات.

كما وأظهرت الأرقام أن 68.3 في المئة من المستطلعين ليس لديهم مدخول آخر غير عملهم، غير أن 31.7 في المئة كان لديهم مدخول آخر.

والجهات الداعمة لهم توزعت بين «الأونروا» 63.4 في المئة، الأقارب 14.6 في المئة، وتساوت النسب بين دعم المغتربين وأهل الخير بـ 12.2 في المئة منهم.

وفي السؤال حول الاحتياجات الأساسية لتحسين الظروف المعيشية، اعتبر المستطلعون بأن زيادة الرواتب والأجور والقبض بالدولار، وادراج العائلات المتعففة بشؤون الأونروا، وإيجاد فرص عمل بمردود أفضل، وزيادة عمل الجمعيات الإغاثية والتكافل الاجتماعي، من شأنها تحسين الظروف المعيشية.

وفي السياق، تشير تقارير المؤسسات والمنظمات الحقوقية العاملة في الوسط الفلسطيني في لبنان، إلى أن الأزمة الاقتصادية التي يشهدها لبنان منذ عام 2019 فاقمت بشكل خطير معاناة اللاجئين الفلسطينيين الذين يُكابدون البؤس وآلام اللجوء وحالات القهر وارتفاع نسبة الفقر والبطالة وسوء التغذية وعدم القدرة على شراء الأدوية.

وأكدت على أن اللاجئين الفلسطينيين الذين يمنعهم القانون اللبناني من ممارسة أغلب المهن، هم من بين الفئات الأكثر تضرراً من الأزمة الاقتصادية المستمرة منذ نحو أربع سنوات في لبنان.

في هذا الإطار، يكشف عبد القادر كابولي، أمين سر الاتحاد العام لنقابات عمال فلسطين/فرع لبنان أن «معدل البطالة في المخيمات الفلسطينية كان يبلغ حوالي 40 إلى 50 في المئة، وبعد الأزمة الاقتصادية التي نشأت في لبنان هبوط الليرة اللبنانية وحالة التعبئة العامة على أثر جائحة كورونا التي ألمت بالعالم أصبحت نسبة البطالة لدى اللاجئين في لبنان حوالي 90 في المئة، وآلاف العمال متخوفون من فقدان عملهم نهائياً في ظل حالة الانزلاق المستمرة وعدم القدرة على معالجة الأزمة».

لافتا إلى أن «أوضاع العمال الفلسطينيين الصعبة في المخيمات الفلسطينية في لبنان هي قصة قديمة جداً من تاريخ اللجوء» مضيفا، «فالنظام السياسي اللبناني مرة يعتبر الفلسطيني لاجئاً ومرة يعتبره أجنبياً، فإن كان لاجئًا له حقوق وإن كان أجنبيا له حقوق أيضاً، وبدا ذلك بارزًا في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي عام 2019 من خلال قرار وزارة العمل اللبنانية بمساواة اللاجئين بالعمال الأجانب وضرورة حصولهم على إجازة عمل».

ويتابع: «في حقيقة الأمر أن العامل الأجنبي يحتاج إلى إقامة وكفيل، بينما اللاجئ الفلسطيني ليس أجنبياً إنما هو لاجئ مقيم يحمل بطاقة اللاجئين من وزارة الداخلية والبلديات مكتوب عليها لاجئ مقيم وهذا يعفيه من الكفيل والإقامة».

وأما عن سوق العمل الذي يعمل فيه اللاجئون الفلسطينيون، فإنه من المعروف أن اللاجئ الفلسطيني المقيم في المخيمات القريبة من مدينة صيدا وصور وطرابلس، يعمل بشكل أساسي في بساتين الحمضيات المنتشرة على الساحل اللبناني، فضلًا عن أعمال أخرى يمكن أن يزاولها أي لاجئ خارج الإطار المسموح به قانونًا، كالعمل في محلات السمانة أو الميكانيك أو غيرها من الأعمال المتواضعة.

يُذكر أن القانون اللبناني يمنع اللاجئ الفلسطيني، من العمل في أكثر من 70 مهنة، كالطب والصيدلة والهندسة والمحاماة والحاسبة ورئاسة تحرير الصحف وغيرها.

من جهته، يرى محمد حسين موسى، مدير المركز الثقافي الفلسطيني في لبنان أن أزمة العامل الفلسطيني في لبنان ومنعه من العمل والتضييق عليه كانت منذ السنوات الأولى للنكبة، وذلك بسبب القوانين المجحفة بحقه، إلا أن الأزمة الاقتصادية التي يتعرض لها لبنان فاقمت بشكل خطير معاناة العامل الفلسطيني بشكل خاص ومعاناة اللاجئين الفلسطينيين بشكل عام، لأن العامل والمهني والمتخصص الفلسطيني هو لاجئ، له أهل وله أولاد وله أسرة مسؤول عنها، داعيا إلى وقفة جادة مع واقع العمال الفلسطينيين في لبنان، الذين يعيشون كباقي الفلسطينيين أوضاعا حياتية ومعيشية واجتماعية ومأساوية لا تخلو من الصعوبة.

ولفت موسى إلى أن حالة الانهيار الاقتصادي وتطورات الأزمة الاقتصادية اللبنانية انعكس بشكل سلبي وماساوي على مجمل الفلسطينيين بمن فيهم العمال، ما أدى إلى ارتفاع معدلات البطالة لتصل إلى أرقام مرتفعة مع زيادة في نسبة الفقر بين حقوق الفلسطينيين هذا مع العلم أن حوالي 50 في المئة من العمال الفلسطينيين يتقاضون أقل من الحد الأدنى للأجور، مطالبا بوقف القرارات اللبنانية التي تمنع اللاجئ الفلسطيني من حق العمل.

بدوره، يشير النقابي العمالي الفلسطيني علي محمود أبو سامح إلى أن العمال الفلسطينيين في لبنان يعيشون أوضاعا صعبة جراء القوانين اللبنانية التي تشكل قيودا على حقوقهم الإنسانية، معربا عن أسفه بسبب المعاناة التي يتعرض لها العمال الفلسطينيين الذين يقدر عددهم بين 65 إلى 70 ألفا.

وحول الأزمة الاقتصادية اللبنانية وانعكاساتها على العامل الفلسطيني في لبنان، تشير إحدى الدراسات التي أجريت سنة 2022 أن نسبة البطالة وصلت الى 80 في المئة ونسبة الفقر إلى 90 في المئة، لافتا إلى أن التعديلات التي أجرتها وزارة العمل اللبنانية في آب/أغسطس عام 2010 على قانون العمل تجاه العامل الفلسطيني، وقانون الضمان لا تلبي مطالب وحقوق اللاجئين الفلسطينيين، مشددا على أن مطالب العمال الفلسطينيين هو مساواة العامل الفلسطيني بالعامل اللبناني نظرا «لمساهمة العمال الفلسطينيين منذ اللجوء وحتى يومنا هذا في بناء الاقتصاد اللبناني ولم يشكلوا يوماً عامل منافسة لإخوانهم العمال اللبنانيين».

يرتبط موضوع عمالة الفلسطينيين في لبنان ارتباطا وثيقا بآفاق التحولات السياسية والاقتصادية التي يعيشها لبنان، انطلاقا من سياسة التعاطي مع الوجود الفلسطيني برمته. وقد شهدت هذه السياسة تغييرات جوهرية على امتداد فترة الوجود الفلسطيني في لبنان منذ العام 1948 حيث اتسمت في سنوات اللجوء الأولى بالإيجابية، حين سمحت للعمالة الفلسطينية بالعمل في معظم القطاعات. ثم ما لبث الوضع أن تغيّر تدريجيًا بسبب حالة الجمود في حل قضية اللاجئين واستمرار حالة اللجوء، وكذلك فإن التحولات السياسية والاقتصادية التي شهدها لبنان لاحقا، وما استتبعها من مخاوف أثيرت حول منافسة اليد العاملة الفلسطينية لليد العاملة اللبنانية، أدى إلى استصدار قوانين واتخاذ إجراءات لا تنسجم مع القوانين الدولية لحماية اللاجئين أو التزامات الدولة اللبنانية بهذا الخصوص، ولا مع التعامل الإيجابي الذي كان يلاقيه مختلف المهنيين اللبنانيين في فلسطين قبل نكبة عام 1948.

مدن وآثار

آثار قصر البنات السورية: تاريخ حافل وحاضر مخجل

حسام محمد

حظي الشمال السوري عبر التاريخ باهتمام منقطع النظير لدى الإمبراطوريات المتعاقبة، فرغم تقلب حقب التاريخ سلما وحربا والمتغيرات التي أحدثتها العوامل الطبيعية، إلا أن القرى الأثرية والمعالم التاريخية الحاضرة بجدرانها وتحفها وأقواسها وقلاعها تروي قصصا عن أمم سابقة تركت بصمتها في كتب الحياة رغم ما عانته هذه البقعة الجغرافية من حملات عسكرية مدمرة وتهجير حصار.

ففي الشمال الغربي السوري لوحده، تم إحصاء ما يقارب 70 معلما أثريا ما بين قلاع وحصون وقرى أثرية كاملة وغيرها من الآثار التي تعاني اليوم مع معاناة الإنسان السوري من ويلات الحروب والصراعات والإهمال. إلا أن الآثار في الحقب التاريخية السابقة وما نتج عنها، بقيت صامدة حتى يومنا هذا، حالها من حال الإنسان السوري الذي بقي صامدا يقارع مصاعب الحياة بحثا عن مستقبل لعله يكون أحسن مما هو عليه الحال هذه الأيام.

بيد أن منظمة يونسكو، أشارت في إحصائية لها، إلى أن القرى القديمة في شمال سوريا تشكل واحدة من أكثر المجموعات الأثرية استثنائية في العالم. إذ يوجد أكثر من 700 موقع من العصرين الروماني والبيزنطي تقع في منطقة شاسعة، تقع على سلسلة من هضاب الحجر الجيري المعروفة باسم كتلة الحجر الجيري.

وأشارت المنظمة إلى أن الاهتمام بهذه المواقع، ليس فقط بسبب عددها، ولكن أيضًا لأنها في حالة حفظ استثنائية. وأن التخلي عن هذه القرى التي تعود للقرن الثامن على كتلة الحجر الجيري، وصلابة المباني المصنوعة من هذا الحجر الجيري ضمنت الحفاظ عليها. تعتبر «المدن الميتة» أو القرى القديمة ذات أهمية استثنائية لأن مساحة 2000 كيلومتر مربع تقريبًا توفر صورة دقيقة لحالة الحياة الريفية في نهاية العصور القديمة، بينما، في هذه الحقبة، تنتمي معظم الآثار المحفوظة إلى المدن.

قصر البنات، هو إحدى تلك المعالم الأثرية البازغة بجمالها وهندستها الرائعة في شمال غربي سوريا في محافظة إدلب، ويعود تاريخ الموقع إلى القرن الخامس الميلادي، وهو ضمن إحدى أبرز المعالم الأثرية البيزنطية في سوريا والتي تعود إلى الحضارة المسيحية المتلاحقة.

ما هو قصر البنات؟

صنف قصر البنات في ريف محافظة إدلب ضمن قائمة المدن المنسية، أو المعروفة محليا باسم القرى الميتة، وهو عبارة عن كنيسة أثرية تعود للحقبة البيزنطية، فيما تم تسجيله على قائمة اليونسكو للتراث العالمي في عام 2011.

كما اندرج قصر البنات تحت مسمى القرية المنسية أو الميتة نتيجة للإهمال الذي تعرض له وحالات الخراب التي أصابته، ويضم القصر كنيسة وبرجا ومقبرة وأبنية، يصل ارتفاع بعضها إلى سبعة طوابق، موسومة بعبارات وكتابات يونانية وأخرى سريانية.

من المزايا التي جعل قصر البنات لامعا، وجود كنيسة بيزنطية ضخمة وهي من الكنائس الكبيرة في سوريا، حسب تقرير لموقع «الخبر» وكذلك برج مؤلف من عدة طوابق، كما يتميز الموقع بوجود ما يسمى بحجرة «قصر البنات» التي تضم كتابات يونانية، وتتألف من لوحتين حجريتين بالقرب من الطريق القديم الأثري بين حلب وأنطاكية.

وتعد مدينة الدانا التابعة لمحافظة إدلب، والتي يقع قصر البنات على تخومها من المدن السورية التاريخية العريقة والأثرية، إذ تحيط بها مجموعة من المناطق الأثرية مثل كفر حوار، قصر البنات، البرد، وتضم كنائس ومدافن وأبراج أثرية ومعاصر وخزانات ومعاصر قديمة وفي وسط المدينة يوجد مدفن دانيال وهيلانة بأعمدته المميزة وتعود الآثار للعهد البيزنطي.

وقصر البنات يتألف من طابقين، وتوجد فيه أقبية على شكل خزانات عميقة للمياه، وهي أقبية محفورة ضمن الصخر القاسي، فيما تتواجد صالة أو غرفة صغيرة في الجهة الشرقية من القصر تتخللها نوافذ صغيرة على أضلعها، ونافذة أخرى على شكل صليب ضمن الواجهة المثلثية من السقف.

كما أن كنيسة القصر تعد وفق ذات المصدر، من أكبر الكنائس في سوريا، وهي مؤلفة من بهو أوسط وبهوين جانبيين يفصل بينهما سبعة أقواس مع أعمدتها، فيما وجد على تاج عمود قريب من الحنية مرمي على الأرض كتابة يونانية تذكارية ضمن قرص، كتب عليها: «أيها المسيح ساعد كيروس المعمار الذي بنى هذه الكنيسة تحقيقاً لنذر ومات وقبره في الحنية».

أما البرج، فيقع في الباحة طبقات وهو أعلى بناء أثري في الشمال السوري، وما زالت ست طبقات من أحجاره قائمة، وتتألف من سبع غرفة واسعة وغرفتين أصغر منها.

70 معلما أثريا في الشمال الغربي السوري

إدلب الخزان الأثري

لم يحظ قصر البنات في الشمال السوري وفق الناشط المهتم بالآثار صيحي البصاص بالرعاية المطلوبة من قبل النظام

السوري، رغم وجود القصر والعشرات غيره من المعالم الأثرية في شمال سوريا، فالقصر يمتاز بضخامة أحجاره وصلابة بنيانه رغم التاريخ الطويل الذي امتد منذ تأسيسه حتى يومنا هذا.

فالمعلم الأثري، بقي صامدا ولم يتأثر بفعل التقلبات الجوية والزلزال وحتى الحروب، إلا أن النظام السوري وفق ما قاله المتحدث لـ «القدس العربي»: تجاهل قصر البنات الأثري، كما تجاهل العشرات من القرى الأثرية والمعالم التاريخية الممتدة على طول وعرض الشمال السوري.

وقال: محافظة إدلب، هي الخزان الأثري التاريخي لسوريا، نتيجة كثرة الآثار العظيمة فيها وخاصة في جبل الزاوية وما حوله، إلا أن حكومة دمشق تجاهلت قصر البنات وسواه سواء على صعيد الخدمات والرعاية الحضارية اللازمة لمنع تساقط أوقتها، أو مكافحة أعمال التهريب وتجارة الآثار، ولا حتى على الصعيد الإعلامي، فكانت المحافظة بكل ما تحتويه من حضارات تاريخية متروكة للإهمال والتغييب.

واستطرد متحدثا: «وصل الإهمال المتبع من قبل النظام السوري وحكومته إلى درجة قيام الوفود الأجنبية والسياح الغربيين بالاستعانة بدليل محلي ومترجم لمرافقتهم خلال جولاتهم السياحية في الشمال السوري ككل، وفي بعض الحالات كانوا يقومون بالاستعانة برعاة الأغنام حتى يصلوا إلى الآثار والخرائب الأثرية العريقة، وهو ما دفع بعض الجهات الغربية والسياح إلى إطلاق اسم الكتلة الكلسية أو المدن الميتة على هذه الآثار».

البصاص، أشار كذلك إلى تعرض قصر البنات لقصف عشوائي من قبل النظام والميليشيات خلال سنوات الحرب، كما نشطت أعمال الحفر والتنقيب عن الآثار بشكل عشوائي بدون أي رقابة من قبل أي جهة رسمية.

وحول إذا ما كان قصر البنات قد تأثر بالزلزال الذي ضرب تركيا والشمال السوري في شهر شباط/فبراير من العام الحالي، وألحق خسائر بشرية مروعة ونكبة في الأبنية العمرانية، قال بصاص لـ «القدس العربي»: «نعتقد أن قصر البنات ما زال صامدا بعد الزلزال، ولكن لا نملك معلومات دقيقة حول مصيره الحقيقي اليوم» مرجعا ذلك إلى سيطرة النظام والميليشيات الموالية له على المنطقة قبل 3 أعوام، وعدم توفر القدرة على الوصول إلى المعالم الأثرية أو الحضرية القائمة.

القرى القديمة شهادة استثنائية

تقدم القرى القديمة في شمال سوريا ومناظرها الطبيعية، وفق منظمة يونسكو، شهادة استثنائية على أنماط الحياة والتقاليد الثقافية للحضارات الريفية التي نشأت في الشرق الأوسط، في سياق مناخ البحر الأبيض المتوسط في جبال الحجر الجيري المتوسطة الارتفاع من الشرق الأوسط، من القرن الأول إلى القرن السابع.

كما تقدم القرى الأثرية شهادة استثنائية على هندسة المنزل الريفي ومباني المجتمع المدني والديني في نهاية العصر الكلاسيكي وفي العصر البيزنطي. إن ارتباطهم بأشكال القرى وأماكن العبادة يرسم مناظر طبيعية مميزة للانتقال بين العالم الوثني القديم والمسيحية البيزنطية.

كما تعد مثالاً بارزًا على مستوطنة ريفية مستدامة من القرن الأول إلى القرن السابع، بناءً على الاستخدام الدقيق للتربة والمياه والحجر الجيري وإتقان الإنتاج من المحاصيل الزراعية القيمة. وتشهد على ذلك الوظيفة الاقتصادية للموئل، والهندسة الهيدروليكية، والجدران الواقية المنخفضة وخطة الأرض الزراعية الرومانية المنقوشة على المناظر الطبيعية الأثرية، وفق يونسكو.

فهي تقع في كتلة صخرية كبيرة من الحجر الجيري، في شمال غرب سوريا، وتوفر حوالي أربعين قرية قديمة نظرة متماسكة وواسعة بشكل استثنائي لأنماط الحياة الريفية والقرية في أواخر العصور القديمة والعصر البيزنطي. وتم التخلي عنهم في القرنين الثامن والعاشر، ولا يزالون يحتفظون بجزء كبير من آثارهم ومبانيهم الأصلية.

تضرر السياحة في الجوار السوري

لم يكن الشعب السوري وحده المتضرر من تداعيات استخدام النظام للخيار العسكري ضد الثورة الشعبية التي طالبت برحيله في ربيع عام 2011 بل أن الآثار السورية التاريخية انضمت إلى قائمة المدن الحضرية التي نالت حظها من الآلة العسكرية والصراع الدولي القائم في سوريا، كما تضررت السياحة الأثرية في العديد من دول الجوار السوري نتيجة الحرب التي تجاوزت العقد من الزمن.

وهو ما جعل من قصر البنات الواقع في المنطقة الفاصلة على الحدود السورية التركية، خاويًا على عروشه، محرومًا من زوّاره، جراء الحرب الدائرة في سوريا.

ووفق تقرير لوكالة «الأناضول» فقد كان باستطاعة المسافرين الذهاب إلى حلب أو العائدين منها إلى تركيا، من زيارة هذا المعلم التاريخي، غير أن الحرب الطاحنة في سوريا حالت دون ذلك.

قصر البنات ضمن إحدى أبرز المعالم الأثرية البيزنطية

رئيس جمعية السياحة في هطاي صباح الدين ناجي أوغلو، أشار خلال تصريحات أدلى بها للأناضول، إلى تراجع السياحة في هطاي جنوب تركيا، لأسباب تتعلق بالحرب السورية. وأضاف أن المعالم التاريخية بالمدينة أخذت نصيبها من تداعيات الأزمة.

وقال في هذا الإطار «خير دليل على هذا، قصر البنات الواقع على الخط الفاصل بين تركيا وسوريا، حيث غدا مهجورًا حاليًا».

وأردف: «القصر بني في العصر البيزنطي وكان يستخدم لتعليم النساء، ويتألف من برج للحراسة وخزان للمياه، و8 قبور عليها زخارف صليب مكتوبة باللاتينية».

ولفت ناجي أوغلو إلى أن سياحا أجانب ومحليين، كانوا يزورون المعلم التاريخي خلال رحلاتهم إلى حلب أو خلال عودتهم منها، واستدرك أن القصر فارغ من زوّاره بسبب الأوضاع بسوريا، محذرا في ذات الوقت من احتمال انهيار أعمدة القصر لافتقاره لأعمال الترميم والعناية.

كنيسة القصر من أكبر الكنائس في سوريا

رياضة

ماذا يحدث لكبار البريميرليغ أمام ريال مدريد في دوري الأبطال؟

لاعبو ريال مدريد يحتفلون بانتصارهم في «ستامفورد بريدج»

لندن – «القدس العربي»: عادل منصور

كما كان متوقعاً، ضرب مانشستر سيتي موعدا مع ريال مدريد في نصف نهائي دوري أبطال أوروبا، بعد خروجه سالما من ملحمة «أليانز آرينا» بتعادل إيجابي بهدف لمثله في القمة الختامية لإياب الدور ربع النهائي، وسبقه بـ24 ساعة، مارس مازنغر الأبطال هوايته المفضلة، مستعرضا قواه البيضاء الجبارة في «ستامفورد بريدج»، بانتصار تقليدي في أرض الإنكليز بثنائية البرازيلي رودريغو، وأيضا بنفس القسوة والغلظة في اغتيال المنافس وتحطيم معنوياته في ذروة الهجوم على حامي العرين تيبو كورتوا. بينما في الجهة الأخرى، سيلتقي ميلان بالجار العدو الإنتر، بذكريات الحروب الأوروبية القديمة بينهما في بداية الألفية.

قانون مدريد

«ريال مدريد عاقبنا لأن كرة القدم تدور حول استغلال الفرص، ونحن لا نتمتع بالعامل الحاسم في الوقت الراهن. دفعنا اللاعبين إلى الأمام وتمكن ريال مدريد من إلحاق الضرر بنا مرتين»، بهذه الكلمات البسيطة، أعطى لاعب تشلسي كونر غالاغر، شرحا مبسطا لأسباب سقوط فريقه أمام ريال مدريد بنفس نتيجة ذهاب «سانتياغو بيرنابيو»، رغم التحسن الملحوظ في الأداء الجماعي، مقارنة بأول ثلاث هزائم تحت إمرة مدربه المؤقت فرانك لامبارد، بما فيها مباراة الريال الأولى، ولو أن أصغر مشجع للبلوز قبل شيوخ النقد والتحليل، كان ينتظر ويتوقع ظهور الفريق بنسخة أكثر إقناعا مما كان عليها في العاصمة الإسبانية، كأقل رد فعل بعد الهزيمة، بجانب التسلح بحناجر أكثر من 40 ألف مشجع، يُقال عنهم «يحركون الصخر»، وتجلى ذلك في الأفضلية الزرقاء في الشوط الأول، والتي لم يُحسن الفريق اللندني استغلالها كما ينبغي، وفي أوقات فارقة في أحداث المباراة، تماما كما تفنن جواو فيليكس، في إهدار الانفراد الصريح مع الحارس البلجيكي، وفرصة ماسون ماونت الضائعة في آخر لحظات الوقت المحتسب بدلا من الضائع في الذهاب. الفارق هذه المرة، أن رجل الشوط الأول نغولو كانتي، هو من تكفل بإضاعة فرصة العودة إلى المباراة والحياة، بتسديدة يفوح منها المعنى الحرفي لكلمة «الرعونة»، على الرغم أنه سدد الكرة بأريحية وبدون ضغط وهو على بعد خطوات من منطقة الست ياردات، فيما أناب ماركو كوكوريا عن ماونت، في اللقطة المفصلية في المباراة، والتي كان بطلها كالعادة كورتوا، بتصد من كوكب آخر، مسترجعا لحظاته الخارقة أمام تشلسي والخصوم الإنكليز في حملة الرابعة عشرة، وهذا ما جعلنا نشعر في بعض اللحظات، وكأننا نشاهد مباراة العام الماضي وليست مباراة على الهواء مباشرة، إلى أن وضح الفارق، بتبادل الأدوار بين كريم بنزيمة، صاحب الهاتريك الشهير بينهما في رمضان الماضي على نفس الملعب، وبين الساحر البرازيلي رودريغو غوش، الذي على ما يبدو، بدأ يجني ثمار بركة وسحر أسطورة بلاده رونالدو دي ليما، منذ لقطة التبارك بساق الظاهرة في كأس العالم قطر 2022.

الهدوء والاندفاع

الشيء الثابت، أن سوبر فرانك خاض معركة الميرينغي، وهو في وضع لا يُحسد عليه، دعك من مسألة التأخر بهدفين نظيفين في المباراة الأولى، بل فتش عن صداع عدم الاستقرار وتوابع التخبط الإداري والطاقة السلبية المسيطرة على غرفة خلع الملابس وباقي التفاصيل التي نعرفها جميعا، ومع ذلك، يُحسب للمدرب نجاحه في لملمة اللاعبين، كما شاهدنا في تحررهم داخل الملعب، استجابتهم المقبولة لإستراتيجيته، التي ترتكز على فكرة اللعب بثلاثة مدافعين، وأمامهم خمسة بأدوار متبادلة مع ثنائي الهجوم الوهمي، وكان له ما أراد من الناحية المعنوية، على الأقل بكسب احترام الجماهير، برؤية ولمس الروح القتالية التي كان عليها البلوز، خاصة في أول نصف ساعة، رافعا شعار «اللعب الكل في الكل»، بتضحية بدنية هائلة، ظهرت في فورة اللاعبين وحماستهم في الدقائق الأولى، على أمل أن تسير الخطة كما رسمها المدرب، بأخذ الأسبقية بأي ثمن قبل الذهاب إلى غرفة خلع الملابس بين الشوطين، لتبقى الأمور معلقة وقابلة لكل الاحتمالات حتى إطلاق صافرة النهاية، وشاهدنا كيف بالغ تشلسي في عملية الضغط المتقدم على الريال، لدرجة تحرير الظهيرين الطائرين ريس جيمس وكوكوريا، بتعليمات واضحة ووضوح الشمس في ظهيرة الصيف، بالتقدم على طول الخط إلى الأمام لمعاونة ثلاثي الوسط إنزو فرنانديز وماتيو كوفاسيتش ونغولو كانتي في عملية الضغط المتقدم، لحرمان منظومة كارلو أنشيلوتي، من مصدر قوتها بالتدرج السليم بالكرة من أحد الظهيرين أو محوري الدفاع إلى توني كروس أو لوكا مودريتش، لكن بمجرد أن خارت قواهم، انكشفت الفوارق الفردية وما يميز الكبير المدريدي عن باقي منافسيه في الكأس ذات الأذنين، وهو ذاك الإبداع والابتكار الذي يُحاكي الذكاء الاصطناعي في وسط الملعب، مدعوما بالنكهة البرازيلية، التي يحلم بها أي مدرب في العالم، متمثلة في بيبيتو وروماريو العصر الحديث، فينيسيوس جونيور ورودريغو غوش، اللذين يجمعان بين مدرسة العشوائية والاستعراض الفردي، أو بعبارة أخرى، كرة الشوارع والحواري، وبين الانضباط والالتزام التكتيكي داخل الملعب، بتطويع الموهبة لخدمة الفريق والمنظومة الجماعية، بالمثل الذي ضربه رودريغو في لقطة هدفه الأول، الذي وضع حجر أساسه بمجهود فردي لا يُصدق، بضربة مزدوجة من على خط وسط الملعب، انتهت بمراوغة على طريقة رقصة السامبا، وانطلاقة عنترية نحو مربع العمليات، أكملها بتمريرة حريرية

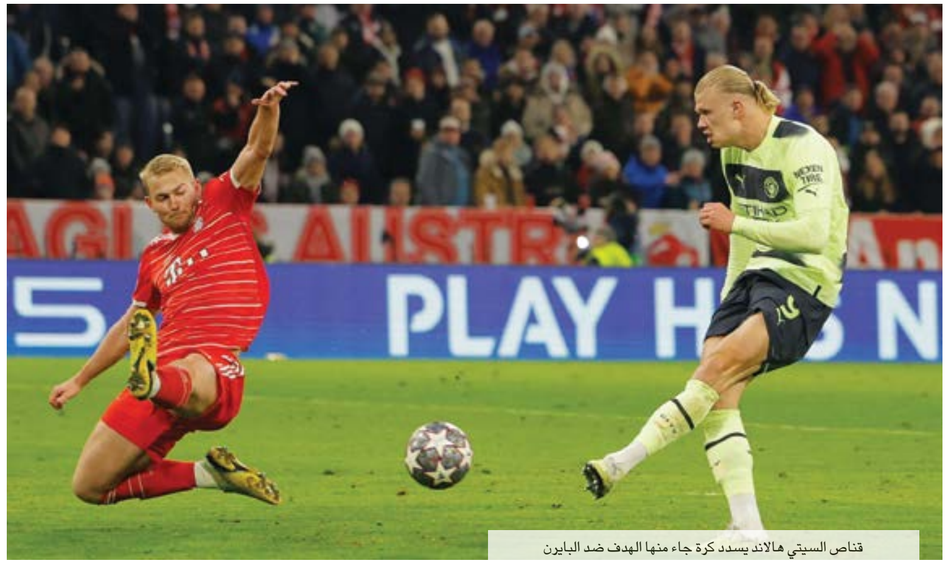

قناص السيتي هالاند يسدد كرة جاء منها الهدف ضد البايرن

بين الشوطين، ظل الدفاع متماسكا وصامدا بنفس الصورة التي كان عليها في الشوط الأول، رغم إقحام جواو فيليكس ورحيم ستيرلنغ ومودريك في الشوط الثاني، وهذا لا يعكس سوى التقارب الكبير في مستوى وجودة المدافعين، والسؤال الذي يفرض نفسه: هل سيستمر ريال مدريد في تكرار مشاهد تفوقه على ممثلي البريميرليغ؟

نضوج سماوي

مثل قمة الريال وتشلسي، لم تسفر موقعة «آليانز آرينا» عن ريمونتادا رمضانية، وهذا كان متوقعا، ليس فقط لتفوق مانشستر سيتي على بايرن ميونيخ بثلاثية مذلة في ذهاب ملعب «الاتحاد»، بل لتفاوت منحنى كلا الفريقين، بصعود صاروخي كالعادة لفريق بيب غواردیولا في نفس الكأس في مباراتي ثمن النهائي، في ما يمكن اعتبارها بمثابة الإستراتيجية الجديدة التي يتبعها الميستر كارليتو في هذه الحملة، والتي ترتكز على فكرة حسم بطاقة التأهل في أوقات مبكرة، بدلا من سيناريوهات الموسم الماضي، التي كانت قائمة على «الريمونتادا» والتشويق حتى آخر لحظات الأشواط الإضافية. وفي كل الأحوال، يظل القاسم المشترك، هو سلاح الخبرة والحضور الطاغي للقميص الأبيض في مثل هذه المواعيد، حيث يكون من الصعب على أي فريق، الوقوف أمام الأدريناليين المدريدي، وفي رواية أخرى، شخصية وهيبة البطل، التي اكتسبها اللوس بلانكوس من تاريخه الأسطوري في بطولته المفضلة، وشاهدناه مساء الثلاثاء، في هدوء وبرودة فالفيردي ومودريتش وكروس وفيني وكريم وغوش، في أوقات استعراض القوة المفرطة، بما يمكن وصفه هيمنة مطلقة على الكرة، والتعامل مع المباراة، وكأنها سهرة ودية أو مباراة في دورة رمضانية. والعكس 180 درجة، بالنسبة لرباعي الدفاع كامافينغا ودانيي كارفخال وإيدير ميليتاو وديفيد آلابا، كمقاتلين قادمين من العصور الوسطى، هدفهم الوحيد منع الكرة من الاقتراب من منطقة الجزاء، وحتى بعد استبدال الدولي النمساوي آلابا بالألماني أنطونيو روديغر للقائد كريم بنزيمة، بيد أن الجزائري الأصل، لم يكن في أفضل حالاته، وربما أصابته عين الحسود، بعد توهجه في شهر رمضان للعام الثاني على التوالي، وربما لتأثره بالإصابة الطفيفة التي أجبرته على مغادرة الملعب، لكن في الأخير، جنى رودريغو ثمار تعبه، بهدية لا تقدر بثمن من فينيسيوس، لم يجد صعوبة في إيداعها في شباك الحارس الإسباني كيبا أريزابالاغا.

إستراتيجية جديدة

بوجه عام، اتفق أغلب النقاد والمتابعين، على أنه لم يكن بالإمكان أفضل مما كان بالنسبة لفرانك لامبارد وفريقه. ورغم الهزيمة التي كانت متوقعة مسبقا، إلا أنها لم تخف أو تقلل من الشجاعة التي أظهرها البلوز أمام «بابا البطولة»، حتى أنها قد تصنف كواحدة من أفضل مباريات الفريق هذا الموسم، وربما الأفضل على الإطلاق منذ بداية العام الجديد، الى جانب الانتصار المقنع على بوروسيا دورتموند في إياب الدور السابق. وكما أشرنا أعلاه، لولا لحظات كورتوا الخارقة والتسرع في إنهاء الهجمات، لأخذت المباراة منحنى آخر، إلى جانب تسلل اليأس والإحباط داخل اللاعبين، بعد انتهاء مفعول المخدر المدريدي، الذي يحفظه عالم كرة القدم، بترك زمام الأمور للمنافس، ثم بتثبيت الحقنة المخدرة في جسد لاعبي ومشجعي الخصم، بتلك الإيحاءات الوهمية، بأنه في طريقه لاستقبال هدف واثنين، ثم فجأة وبدون سابق إنذار، يُصيبهم بكل أنواع السكتات والذبحات الكروية، بأسلوبه الخطير على أصحاب القلوب الضعيفة، في معاقبة كبار أوروبا بوجه عام وعمالقة البريميرليغ على وجه الخصوص، بالإجهاز عليهم في أوج لحظات قوتهم وشعورهم بالاقتراب من هز شباك أفضل حارس مرمى في العالم. الأمر يكون أشبه بالضربة القاضية التي تطرح المنافس أرضا، وتجعله يعجز على الوقوف مرة أخرى، مثلما شاهدنا حسرة فوفانا ولامبارد وكيبا وكل من التقطت العدسات رد فعلهم بعد استقبال هدفي رودريغو، وقبلهم يورغن كلوب ومحمد صلاح والبقية في ليفربول، في لحظات التجرع من مرارة نفس الكأس في مباراتي ثمن النهائي، في ما يمكن اعتبارها بمثابة الإستراتيجية الجديدة التي يتبعها الميستر كارليتو في هذه الحملة، والتي ترتكز على فكرة حسم بطاقة التأهل في أوقات مبكرة، بدلا من سيناريوهات الموسم الماضي، التي كانت قائمة على «الريمونتادا» والتشويق حتى آخر لحظات الأشواط الإضافية. وفي كل الأحوال، يظل القاسم المشترك، هو سلاح الخبرة والحضور الطاغي للقميص الأبيض في مثل هذه المواعيد، حيث يكون من الصعب على أي فريق، الوقوف أمام الأدريناليين المدريدي، وفي رواية أخرى، شخصية وهيبة البطل، التي اكتسبها اللوس بلانكوس من تاريخه الأسطوري في بطولته المفضلة، وشاهدناه مساء الثلاثاء، في هدوء وبرودة فالفيردي ومودريتش وكروس وفيني وكريم وغوش، في أوقات استعراض القوة المفرطة، بما يمكن وصفه هيمنة مطلقة على الكرة، والتعامل مع المباراة، وكأنها سهرة ودية أو مباراة في دورة رمضانية. والعكس 180 درجة، بالنسبة لرباعي الدفاع كامافينغا ودانيي كارفخال وإيدير ميليتاو وديفيد آلابا، كمقاتلين قادمين من العصور الوسطى، هدفهم الوحيد منع الكرة من الاقتراب من منطقة الجزاء، وحتى بعد استبدال الدولي النمساوي آلابا بالألماني أنطونيو روديغر

مهاجم الانتر لاوتارو يحتفل بتأهل فريقه

الملابس، لكن المفاجأة الحقيقية، كانت في الشخصية التي بدا عليها السكاي بلوز، كفريق بنفس عقلية ومستوى أصحاب الباع والتاريخ في الكأس ذات الأذنين، وليس ذاك الفريق الهش والضعيف قاريا، الذي يخذل جماهيره بالخروج أمام منافسين صف ثاني في أوروبا، أمثال موناكو وليون، وهذا يمكن اعتباره، أشبه بثمار تعب وعمل غواردیولا الطويل الأجل في الجزء السماوي لعاصمة الشمال، إلى جانب انفتاحه على التغيير، بالتنازل الملموس عن أفكاره المقدسة، التي كانت ترتكز حتى وقت قريب، على مبدأ الهيمنة والاستحواذ والتطرف الهجومي، الذي كان يدفع ثمنه بالشوارع الفارغة في خطوطه الخلفية، بينما الآن، وتحديدا في سهرة الأربعاء أمام كبير الكرة الألمانية، شاهدنا فريقا واقعيا، لا يكترث لامتلاك الكرة أو تدويرها بالصورة المحفورة في الأذهان عن فرق غواردیولا، بل يطبق مقولة كوكب الشرق «واثق الخطى يمشي ملكا»، معتمدا على ثلاثة مدافعين بخصائص ووظائف قلب الدفاع، وأمامهم جوني ستونز، في دور لاعب الوسط المساند لرودري على الدائرة، ومدافع رابع في أوج لحظات الضغط البافاري، تقريبا نفس الفكرة التي طبقها في مباراة الذهاب، لكن الفارق هذه المرة، أنه أضاف بعض التعديلات، لغلق كل الطرق أمام ليروي ساني وجمال موسيالا وكينغسلي كومان وبقية أسلحة البايرن، بإعطاء تعليمات للألماني إلكاي غندوغان، بالبقاء على مسافة قريبة من ستونز وبالمثل كيفن دي بروين في الوسط السماوي، حتى هالاند كنا نشاهده على خط الدائرة، لاستغلال سرعته في الهجمات المرتدة، وحالة الارتباك التي كان عليها مراقبه أوباميكانو، الذي خاض واحدة من أسوأ مبارياته في مسيرته الاحترافية، بكم أخطاء وهفوات من النوع الساذج يصعب هضمها في مباراة 90 دقيقة، منها التسبب في ركلة جزاء، والسقوط من الخوف والذعر أمام السفاح النرويجي في لقطة الهدف، كأنه كان يقوم بدور اللاعب رقم 12 في الفريق الإنكليزي.

وبدرجة أقل، يتحمل ساني ورفاقه المهاجمين جزءا من مسؤولية الخروج، بعد فشله في استغلال أكثر من فرصة كانت كفيلة بإحياء آمال الفريق في الصعود قبل استقبال هدف هالاند، منها انفراد صريح وجها لوجه مع الحارس إيدرسون في بداية المباراة، ربما كان أسهل من الانفراد الآخر الذي أهدره في بداية الشوط الثاني في مباراة الذهاب، وهذه ما تعرف بالتفاصيل البسيطة، التي تصنع الفارق في إقصائيات الأبطال، وفي رواية أخرى، مفاتيح أو شفرة التعامل مع الأميرة الأوروبية، التي تسلح بها ميلان في معركته الشعواء مع نابولي في ثلاثاء ملعب «دييغو أرماندو مارادونا»، تلك المباراة التي انتهت بنفس نتيجة صدام «آليانز آرينا»، بهدف في كل شبكة، وكانت شاهدة على قيمة وأهمية عودة الحارس مايك مانيان، الذي تقمص دور كورتوا مع الريال، بفاصل من التصديات المذهلة، بما في ذلك ركلة جزاء من كفاراتسخيليا، قبل أن يتمكن أوسيمين من إدراك هدف التعديل في الدقيقة 90، كان الحارس الفرنسي عاد من إصابته في الوقت المثالي، ليقود الفريق للوصول لنصف النهائي للمرة الأولى منذ زمن بارتولو ماليديني ونيستا وريكاردو كاكا وكارلو أنشيلوتي في العام 2007، لتضمن إيطاليا مقعدا في المباراة النهائية لدوري الأبطال، منذ هزيمة يوفنتوس أمام الريال في نهائي نسخة 2017، بعد هروب أفاعي الإنتر من كمين بنفيكا، بانتهاء مباراة إياب «جوسيبي مياتزا»، بالتعادل الإيجابي بثلاثة أهداف في كل شبكة، ليجدد النيراتزوري اللقاء مع شريك الملعب، للمرة الثالثة في هذه البطولة، بعد تفوق الروزونيري في المرتين السابقتين، الأولى وهي الأشهر في نصف نهائي 2003، والتي انتهت بالصورة الأرشيفية لكوستا كورتا وماتيرادزي، وهما يناظران النيران تلتهم في مدرجات الملعب، والثانية في ربع نهائي 2005، وحسمها زعيم البلاد على المستوى القاري، بفوز اقتصادي بثنائية نظيفة في الذهاب وبثلاثية بلا هوادة في العودة، فمن يا ترى سينتزع بطاقة مقارعة الفائز من ريال مدريد ومانشستر سيتي في نهائي ملعب «أتاتورك»؟ هذا ما سنعرفه في منتصف الشهر المقبل.

كيف عاد رياض محرز الى

لندن – «القدس العربي»:

توقف محارب الصحراء رياض محرز، عن ممارسة هوايته المفضلة، بالجمع بين صناعة الأهداف وتقديم التمريرات المفتاحية وبين الاحتفال بهز شباك الخصوم، مع ظهور مؤشرات عودته إلى المربع الصفر، أو بعبارة أخرى إلى شبح ما كان عليه قبل كأس العالم قطر 2022، بتكرار مشاهد جلوسه على مقاعد البدلاء في أكثر من مباراة، من دون منحه ولو دقيقة لعب واحدة، آخرها الإبقاء عليه كبديل غير مستخدم أمام بايرن ميونيخ في موقعة إياب ربع نهائي دوري أبطال أوروبا، التي انتهت بالتعادل الإيجابي بهدف لمثله، تماما كما حدث في ذهاب ملعب «الاتحاد» الأسبوع قبل الماضي.

صحوة 2023

لا يُخفى على أحد، أن قائد المنتخب الجزائري، عانى الأمرين في بداية الموسم، بتحوله إلى لاعب بديل على طول الخط، خاصة في حملة الدفاع عن لقب البريميرليغ للمرة الثالثة على التوالي، الى درجة أنه لم يظهر سوى 4 مرات فقط ضمن التشكيلة الأساسية في نفس البطولة حتى وقت استدعاء اللاعبين للمونديال القطري، من إجمالي 370 دقيقة لعب في أول 16 جولة، خرج منها بهدف وحيد في شباك ساوثهامبتون، في نزهة الجولة العاشرة، التي حسمها السيتي برباعية اقتصادية، ليعود بصورة مغايرة بعد كأس العالم، كلاعب أساسي وحاسم في أسابيع تشديد الخناق على آرسنال وبداية إقصائيات الكأس ذات الأذنين، وتجلى ذلك في التحسن الملموس في أرقامه، بتسجيل 4 أهداف وصناعة مثلها في 7 مباريات، بخلاف مساهمته في الاستعراض على لايبزيغ الألماني في ذهاب وإياب الدور ثمن النهائي، بتسجيل هدف في المباراة الأولى، وصناعة واحد من سباعية «الاتحاد»، ومنذ ذلك الحين، بدأ يختفي بريق أبو البنات، إلى أن أوشك على كسر حاجز الشهرين، من دون أن يترك بصمته في شباك المنافسين، تحديدا منذ هدفه في لايبزيغ في فبراير / شباط الماضي، وقبله هدفه في أستون فيلا في الشهر ذاته على المستوى المحلي، تلك المباراة التي تقمص خلالها دور البطولة المطلقة، بتسجيل هدف وصناعة آخر من أصل 3 أهداف سجلها الفريق في مقابل هدف سكن شباك الحارس البرازيلي.

سياسة الفيلسوف

«أفهم تماما أن الجميع يريد المشاركة، وأفكر أكثر في اللاعبين الذين لم يلعبوا مثل رياض محرز وأيمريك لابورت وسيرجيو غوميز وكالفن فيليبس، الجميع يريد اللعب وأن يبذل قصارى جهده، أفهم تماما رغبتهم في مساعدة الفريق، لكن كل مباراة مختلفة ورأيت في مواجهة بايرن ميونيخ وشعرت بالحاجة إلى مشاركة جوليان ألفاريز والآخرين، لهذا السبب أنا هنا»، هكذا أجاب بيب غوارديولا، على سؤال أحد الصحافيين حول أسباب عدم الاعتماد على محرز في مباراة بايرن ميونيخ الأولى. صحيح كلماته لا تبدو مقنعة، لكنها تؤيد سياسته التي يتبعها منذ عودة اللاعبين من كأس العالم، مثل ذكائه في استغلال طاقة محرز وجاهزيته للعب بصفة مستمرة، لعدم شعوره بالتعب أو الإجهاد، كباقي زملائه العائدين من الدوحة، وهذا في حد ذاته، يفسر التفاوت الواضح بين المخزون البدني للميغا ستار الجزائري وتأثيره في الثلث الأخير في فترة ما بعد كأس العالم، وبين لياقته البدنية وأرقامه على المستوى الفردي في الأسابيع القليلة الماضية. والآن وبعد حصول بيرناردو سيلفا وجاك غريليش وجوليان ألفاريز على الراحة الكافية بعد المونديال، بدأ يستنفد قوتهم وطاقتهم في الوقت الحالي، كجزء من خطته لتطبيق مبدأ المداورة، حفاظا على لياقة اللاعبين وسلامتهم حتى نهاية الموسم.

تراجع وعلامة استفهام

واحدة من الأمور، التي تعكس تراجع دور محرز في الآونة الأخيرة، الانخفاض الكبير في عدد دقائق مشاركته محليا وقاريا في شهري مارس / آذار الماضي وأبريل / نيسان الحالي، بواقع 125 دقيقة الشهر الماضي، وأكثر بحوالي 100 دقيقة هذا الشهر، بفضل مشاركته لمدة 90 دقيقة كاملة أمام ليفربول وليستر سيتي إلى جانب 56 دقيقة في التشكيلة الأساسية أمام ساوثهامبتون. ومع ذلك، اكتفى بتمريرة واحدة حاسمة أمام أحمر الميرسيساید، وهي الأولى منذ مساهمته الأخيرة أمام أستون فيلا في عيد الحب، لكن ما أثار استغراب ودهشة النقاد والمتابعين، ما يقوم به بيب من تبادل في الأدوار، بإشراك محرز في الدوري الإنكليزي الممتاز، والإبقاء عليه في مقاعد البدلاء على مرتين أمام بايرن ميونيخ، رغم سجل النجم الجزائري الحافل في مثل هذه المواعيد، كلاعب أثبت مرارا وتكرارا، قدرته على صنع الفارق أمام الكبار والعظماء، على غرار تأثيره العظيم في نصف نهائي الموسم قبل الماضي، باصطياد باريس سان جيرمان 3 مرات في مباراتي الذهاب والإياب، وأدائه الرائع أمام ريال مدريد الموسم الماضي، الذي كلله بالهدف السينمائي في شباك الاخطبوط تيبو كورتوا، وغيرها من السهرات الأوروبية، التي جعلته يضمن مكانه في التشكيل الأساسي لبيب في الأبطال لفترات طويلة، قبل أن يغدر عليه، ويحرمه مرة أخرى من فرصة اللعب ولو دقيقة واحدة أمام بايرن ميونيخ في غضون أسبوع.

ضحية التحديث

تشمل أسباب عودة رياض إلى المربع الصفر مع الفيلسوف الكتالوني، تخلي المدرب عن إستراتيجيته التقليدية، باللعب بأربعة مدافعين في الدفاع وأمامهم ثلاثة أو اثنين في الوسط وثلاثة في الهجوم، منهم جناح أيمن وآخر أيسر بالمواصفات العصرية، وتحوله إلى الاختراع الجديد، بالاعتماد على ثلاثة مدافعين بخصائص محور الدفاع، وعلى اليمين ظهير بنزعة هجومية وبالمثل في الرواق الأيسر، وهذا جعل محرز ينسحب من دائرة المنافسة على مكان في التشكيل الأساسي، والاكتفاء بالاستعانة به في أوقات المداورة وضغط اللعب كل 3 أيام، لعدم حاجة الخطة للاعب بمواصفاته، مطلوب منه عدم التوقف عن الركض بطول الملعب، والقيام بأدواره الدفاعية في عملية الضغط واستخلاص الكرة بدون ارتكاب أخطاء على أكمل وجه. ومن الواضح، أن غوارديولا على قناعة تامة، أن القصير البرتغالي، هو الخيار الاستراتيجي في هذا الدور في الوقت الراهن، إلى أن يتخلى المدرب عن رسمه التكتيكي الحالي، الذي لا يتناسب مع المعدلات البدنية لصاحب الـ32 عاما، أو يبتكر له دورا في الخطة الحالية، أو يعود لخططه القديمة باللعب بأربعة مدافعين، وبالتبعية ستعود ثنائية كايل ووكر ومحرز، التي كانت في الأمس القريب، تشكل واحدة من أهم مصادر القوة والحلول غير المتوقعة للسكاي بلوز، والسؤال الآن: هل سيستعيد أفضل صانع ألعاب أفريقي في تاريخ البريميرليغ بريقه ولحظاته الإبداعية التي كان عليها في فترة ما بعد كأس العالم؟ أم سيعاني لاسترجاع مخزونه البدني ويرفع الراية البيضاء أمام تحديث الفيلسوف؟ نتمنى كل التوفيق للساحر الجزائري في ما تبقى من الموسم.

المربع الصفر مع غوارديولا؟

هل غوارديولا أعظم مدرب في تاريخ كرة القدم؟

عندما يفكر عاشق كرة القدم بأنجح وأعظم مدربي كرة القدم، مباشرة يتبادر الى الذهن عدد الألقاب التي أحرزها كل مدرب، بل ينصب التركيز على عدد الألقاب التي أحرزها في مسابقة دوري أبطال اوروبا، رغم أن هذه ليست سوى نصف الحقيقة.

طبعا سيتم ذكر مدربين أحرزوا لقب دوري الأبطال أكثر من مرة على غرار الايطالي كارلو أنشيلوتي الذي يطمح الى احراز هذا اللقب للمرة الخامسة وهو على رأس ريال مدريد، مثلما يتم ذكر مدرب مانشستر يونايتد السابق السير اليكس فيرغسون أو الايطالي جيوفاني تراباتوني الذي كان أول مدرب يحرز خمسة ألقاب أوروبية مختلفة، والبعض قد يتذكر الايطالي أريغو ساكي صانع أمجاد ميلان في الثمانينات، والبرتغالي جوزيه مورينيو الذي نعت نفسه بـ«السبيشال وان»، لكن كل هؤلاء الذين حققوا انجازات مثيرة مع أنديتهم، كم منهم نعتبره مدرباً بمعنى الكلمة، أو «كوتش»، ترك بصمة هائلة على عالم كرة القدم؟ الجواب لن يكون أي منهم قريباً من الاسباني بيب غوارديولا مدرب مانشستر سيتي الحالي.

البعض ينتظر من غوارديولا تحقيق لقب جديد في دوري الابطال قبل نعته بـ«الناجح» او «الفلتة»، رغم انه أبرع مدرب في جيله يترك بصمة في العالم التكتيكي للعبة، أي انه رائد ومفكر ومبتكر بالمعنى الكوري، وهؤلاء قلة في عالم اللعبة. وهؤلاء بالنسبة لي هم المدربون الحقيقيون، والبقية ربما مدراء وقياديون.

فمثلاً مدرب ارسنال السابق الفرنسي آرسين فينغر لم يفز بدوري الابطال، لكن ما فعله في عالم اللعبة كان هائلاً خصوصا في الكرة الانكليزية، حيث غير الثقافة السائدة بين اللاعبين في نهاية التسعينات، وأدخل أنظمة صحية وغذائية غيرت من مستوى اللاعبين، وأثرت على قدراتهم البدنية والذهنية بالايجاب، على غرار المدرب الأرجنتيني مارسيلو بيلسا الرائد في الحركة التغييرية في عالم اللعبة، ومنهم تعلم غوارديولا «هوس» تكتيك كرة القدم.

في ألمانيا اشتهر المدرب السابق لمانشستر يونايتد رالف رانغيك بفكره، بل الى اليوم يعتبر الاب الروحي للأسلوب الشهير بـ«الضغط العالي» او «غيغن بريسنغ»، ومنه أخذ الفكرة كل المدربين الألمان، وابرزهم مدرب ليفربول الحالي يورغن كلوب، ومدربا البايرن الحالي توماس توخيل، والسابق يوليان ناغلسمان، حتى مدرب منتخب المانشافت هانزي فليك، رغم أن رانغنيك لم يحرز ألقاباً كبيرة، لا أوروبية ولا محلية، لكنه مدرب «رائد ومبتكر»، أي أنه مدرب حقيقي ترك تأثيراً هائلاً على اللعبة.

وعندما نفكر حقيقة بمدرب أحرز ألقابا كبرى في أكثر من دوري قوي، وايضا يعتبر مدرباً «مفكراً» و«مبتكراً»، فان غوارديولا يأتي على قمة هؤلاء، ولهذا يعتبر أفضل مدرب في عالم اللعبة. فحتى في صغره عندما رحل عن برشلونة قرر اللعب لفرق في عوالم مختلفة عن التي عرفها، فلعب للأهلي القطري، قبل ان ينهي مسيرته مع دورادو المكسيكي حيث تعرف عن قرب على أساليب مختلفة، فكانت له زيارات عدة الى بيليسا، حيث اشتهرت قصة جلوسهما لساعات طويلة حول مائدة الطعام، وهما يتناقشان في انواع الخطط الكروية المختلفة وكيفية تطبيقها، باستخدام ما ظهر أمامهما من اطباق ومعالق وسكاكين وممالح، لتقريب الصورة وتوضيحها خلال النقاش، وحتى قبل تعيينه مدربا لبرشلونة، كان يأخذ الوقت لزيارة لندن والنزول ضيفاً عن فينغر في نادي أرسنال، حيث يمضيان ساعات معا يشاهدان لقطات ومقاطع فيديو للعديد من الأفكار والخطط التكتيكية.

ولهذا عندما نرى غوارديولا يعطي تعليمات للاعبيه خلال سير المباراة، فان عقله لا يتوقف عن تطوير اللاعبين وأخذهم الى آفاق غير مسبوقة، ورغم ان هذا حلم كل لاعب، فان ليس كل لاعب يكون مرحباً به في عالم غوارديولا، فهو له نظرة خاصة لنوعية اللاعبين الذين يريدهم، فأول قرار أخذه عندما عين مدرباً لبرشلونة في 2007، كان التخلي عن ثلاثة أساطير، وهم رونالدينيو وايتو وديكو، لأنه أراد بناء فريق ضمن معايير انضباطية صارمة، لم يشعر ان هذا الثلاثي سيكون قادراً على الالتزام بها، فبنى الفريق حول الثلاثي ميسي وتشافي وأنييستا، وشاهد العالم حينها أروع خطة، والتي اشتهرت بـ«التيكي تاكا».

اليوم مع مانشستر سيتي، ومنذ استلم تدريب الفريق في 2016، ما زال يجري التغييرات التكتيكية المثيرة وغير المسبوقة، على غرار طريقة اللعب 3–2–4–1، بعدما ضحى بأدوار الأظهرة، فسمح لأبرعهم كانسيلو بالرحيل الى البايرن وأكثرهم خبرة ووكر بالجلوس احتياطيا، لانه يريد الظهير أن يقوم بدور لاعب الوسط المدافع. وهي خطة بدأ عدد من المدربين في تقليدها على غرار مدرب آرسنال ارتيتا، ويحاول كلوب تطبيقها في ليفربول بتعديل دور الكسندر أرنولد.

رغم عبقرية غوارديولا، الا انه لطالما يعد عدو نفسه اللدود، عندما يفكر أكثر من اللازم، أو ما نسميه بالعامية «يتفلسف»، وهذه الفلسفة قادته في السنوات الماضية الى سقوط السيتي أمام فرق مغمورة في دوري الابطال، بسبب ادخاله تغييرا تكتيكيا مفاجئا ارتد بالسلب عليه، لكن رغم هذا يبقى غوارديولا رائداً ومفكراً ومبتكراً، وربما أعظم مدرب في كرة القدم.

@KhaldounElcheik

الوجه القبيح للكرة الإيطالية يطل مجدداً ليكبح نفحات التطور!

لندن – «القدس العربي»:

عاشت الكرة الإيطالية أياماً سعيدة بعد ضمان تأهل فريق من «سيريا آ» الى المباراة النهائية لدوري أبطال أوروبا للمرة الأولى منذ 2017، عندما يتصارع قطبا مدينة ميلانو، الانتر وميلان، في الدور نصف النهائي على مكان في نهائي إسطنبول، لكن مع كل تطور وتقدم يطل الوجه القبيح للكالشيو وهو العنصرية بأشكال متعددة.

مع الهتافات العنصرية التي ندّد بها مهاجم الإنتر الدولي البلجيكي روميلو لوكاكو في الأسبوع الماضي في مدينة تورينو، واصلت كرة القدم الإيطالية عجزها عن وقف التجاوزات والتوترات في ملاعبها حيث تضاعفت الحوادث في الأسابيع الأخيرة، وتعرض لوكاكو لـ«إهانات عنصرية» من جماهير يوفنتوس خلال تعادل الفريقين (1–1) في ذهاب نصف نهائي كأس إيطاليا عندما سجل بنفسه هدف التعادل من ركلة جزاء متأخرة على أرض يوفنتوس، لكنه طرد بعد نيله انذاراً ثانياً اثر احتفالاته المستفزة أمام جماهير المضيف عندما وضع اصبعه على فمه مطالبا اياهم بالصمت ثم مشاجرة مع اللاعبين.

وقال مايكل يورمارك رئيس وكالة الإدارة الرياضية «روك نايشن سبورتس انترناشونال» المسؤولة عن مصالح اللاعب البلجيكي، ان الأخير لم يرغب في استفزاز المشجعين المنافسين بهذه الحركة التي كان قد «احتفل بها سابقا خلال هزه الشباك»، وأضاف: «التصريحات العنصرية تجاه روميلو لوكاكو من جماهير يوفنتوس أكثر من بغيضة ولا يمكن قبولها»، موضحا في رسالة منشورة على مواقع التواصل الاجتماعي: «قبل، خلال وبعد تنفيذ ركلة الجزاء، وقع ضحية هتافات عنصرية معادية ومثيرة للاشمئزاز، احتفل بطريقته الاعتيادية بعد التسجيل». وتابع: «يستحق روميلو اعتذاراً من يوفنتوس، يتعين على السلطات الإيطالية الاستفادة من هذه الفرصة لمحاربة العنصرية، بدلا من معاقبة الضحية».

وفي مقطع فيديو بثته وسائل إعلام إيطالية، تُسمع هتافات عنصرية من أنصار يوفنتوس. وأغرب إنتر ميلان عن «تضامنه» مع نجمه. وقال يوفنتوس في بيان صحافي أنه «كعادته يعمل مع الشرطة لتحديد المسؤولين عن الإيماءات والصيحات العنصرية» في ليلة الثلاثاء قبل الماضي.

إدانة لاتسيو

كما دانت رابطة الدوري الإيطالي «بشدة كل فصول التمييز العنصري وأي شكل من أشكال التمييز»، مؤكدة أن «الأندية ستعرف كيفية تحديد الجناة واستبعادهم مدى الحياة من ملاعبها». كما دعا وزير الرياضة الإيطالي أندريا أبودي والاتحاد البلجيكي لكرة القدم إلى محاربة العنصرية في تغريدتين على «تويتر».

وهذه ليست المرة الاولى التي تعاني منها إيطاليا من العنصرية في ملاعبها مع هذه الحادثة التي وقعت بملعب «أليانز ستاديوم» في تورينو، حيث تعرض حارس مرمى ميلان الدولي الفرنسي مايك مينيان للإهانة في أيلول/ سبتمبر 2021، لكن حادثة لوكاكو حدثت في سياق متوتر مع تكاثر الحوادث التي تتسبب فيها الجماهير المتعصبة. وقررت رابطة الدوري الإيطالي معاقبة قطبي العاصمة لاتسيو وروما بسبب سلوك مشجعيهما: هتافات معادية للسامية خلال دربي العاصمة في آذار/ مارس الماضي بشأن لاتسيو، وشعارات عدائية بالنسبة لروما في مباراته ضد سامبدوريا الاحد الماضي في الدوري. وعوقب لاتسيو بإغلاق جزئي للملعب الأولمبي مع وقف التنفيذ «أخذا بالاعتبار السلوك التعاوني للاتسيو مع القوات الأمنية على تحديد المسؤولين ومنع تكرار هذه الأفعال الدنيئة». وسبق للاتسيو المشهور باستضافة مدرجاته لبعض المشجعين الفاشيين الجدد، خوض مباراة بدون «الترأس» في كانون الثاني/ يناير الماضي، بعد صيحات عنصرية خلال المباراة أمام المضيف ليتشي ضد لاعبيه الأسودي البشرة الفرنسي صامويل أومتيتي والزامبي لاميك باندا.

توترات نابولي

تم تغريم روما ثمانية آلاف يورو، وهي عقوبة مخففة بفضل لفتة مدربه البرتغالي جوزيه مورينيو عندما تدخل ليطلب من جماهير النادي وقف «الأغنية المهينة» ضد مدرب سامبدوريا الصربي ديان ستانكوفيتش والتي تصفه فيها بـ«الغجري». وكتبت صحيفة «لا غازيتا ديلو سبورت» في افتتاحية أن «مورينيو أعطى درساً، يجب الآن اتباعه فقط»، معربة عن أسفها لأن الفاعلين في الدوري الإيطالي «يفضلون غالبا خفض رؤوسهم وإغلاق أعينهم».

وبالإضافة إلى هذه الحوادث، هناك توترات منتظمة بين المشجعين. وبعد اشتباكات عنيفة على طريق سريع في أوائل كانون الثاني/ يناير الماضي، تم منع جماهير روما ونابولي من حضور مباريات فريقيهما خارج القواعد لمدة شهرين حتى منتصف آذار/ مارس الماضي. وفي نابولي، وعلى الرغم من الأجواء الاحتفالية في المدينة بسبب اقتراب فريقهم من الظفر بلقب السكوديتو، كانت التوترات واضحة أيضا قبل استضافة ميلان في دوري الابطال وبعدها. واحتج بعض المشجعين من «الترأس» نابولي قبل المباراة خصوصا ضد أسعار تذاكر مباريات الفريق في مسابقة دوري أبطال أوروبا. وذكرت وسائل الإعلام أن بعضهم التزم الصمت خلال المباراة وظهرت توترات مع مشجعي النادي الآخرين. وصرح رئيس نابولي أورييلو دي لاورينتيس قائلا: «إنهم ليسوا مشجعين حقيقيين، إنهم جانحون نسمح لهم بالذهاب إلى الملعب».

مجتمع

غزة: إطلاق مبادرة «أنتي آمنة» لتعليم الفتيات على مهارات الإنقاذ البحري

إسماعيل عبدالهادي

مع تكرار حالات الغرق خلال موسم الصيف على شاطئ بحر غزة، ولاسيما تسجيل الجهات المختصة العديد من حالات الغرق في صفوف الفتيات على ساحل البحر خلال الصيف الماضي، وتسجيل العديد من الحالات بشكل متكرر خلال الأعوام الماضية، نظمت الهيئة الفلسطينية للتنمية دورة مكثفة في السلامة البحرية والإسعافات الأولية تحت عنوان «أنتي آمنة» وذلك بمشاركة مجموعة من الفتيات لتعليمهن على السباحة وفهم طبيعة البحر وتقلباته، وكيفية التعامل مع حالات الغرق الخاصة بالنساء وإنقاذ حياتهن.

ويعتبر شاطئ بحر غزة المتنفس الوحيد لسكان قطاع غزة وخاصة للنساء، فهو مناسب من حيث التكاليف المادية للأسر التي تعاني واقعاً اقتصادياً مريراً في ظل تردي مستويات المعيشة، فيما تلجأ النساء للسباحة والاستجمام في مناطق بعيدة عن تواجد الرجال نظراً للعادات الاجتماعية المحافظة، والتي تمنع نزول الفتيات للسباحة بشكل مختلط داخل مياه البحر، ونتيجة لقلة خبرة النساء في مهارات السباحة، فإن الكثير من حالات الغرق والموت سجلت مؤخراً من الفتيات.

ووفق فرق الإنقاذ البحري التابعة لجهاز الدفاع المدني، فإن فرق الإنقاذ البحري سجلت غرق 4 حالات على شاطئ بحر غزة خلال موسم الصيف الماضي، ومن بين الغرقى فتاتان بالإضافة إلى إنقاذ 244 حيث كانت هذه النسبة هي الأعلى مقارنة بالمواسم الماضية، ويعود ذلك لعدم التزام المصطافين بتعليمات فرق الإنقاذ خلال السباحة، وتراجع الخبرة والمهارة لدى المصطافين بالسباحة وكيفية التعامل مع التيارات والأمواج المرتفعة.

ومنذ سنوات تطالب مؤسسات خاصة بالنساء بضرورة تنظيم بلديات قطاع غزة دورات تدريبية على مهارات الإنقاذ البحري، كون أن غالبية كبيرة من النساء في غزة، يلجأن للبحر لتفريغ الضغوط الحياتية والنفسية الواقعة عليهن، ولاسيما أنهن يمارسن السباحة في أوقات المساء مع غروب الشمس، وهي الفترة التي يكون البحر فارغا من قبل الرجال.

أميرة سعيد (26 عاماً) واحدة من عشرات الفتيات ممن أيدن تنظيم دورات مكثفة خاصة بالنساء للتعليم على مهارة السباحة والإنقاذ البحري، وينبع إصرار الفتاة على تعلم هذه المهارات بعد أن فقدت عائلتها ثلاث فتيات غرقاً على شاطئ البحر خلال السنوات الماضية، بالإضافة إلى تعرض إحدى صديقاتها للغرق، والتي كادت أن تفارق الحياة ونجت بعد تلقيها علاجا مكثفاً.

تقول أميرة لـ«القدس العربي»: تمكنت وبعد عناء من البحث، من الالتحاق بمشاركة عدد محدود من الفتيات بدورة السباحة والإنقاذ البحري، والتي ينظمها شبان مختصون في مهارات الإنقاذ على شاطئ بحر غزة للتأهيل وفهم طبيعة البحر وتقلباته، بالإضافة إلى مشاركة فرق صحية في الدورة لتعليم الفتيات كيفية التعامل مع حالات الغرق وتقديم الإسعافات الأولية.

وأضافت أن الدورة حالياً تقدم معلومات للملتحقات بها حول طبيعة مياه البحر وأين تكمن المخاطر أثناء السباحة والتي تؤدي إلى الغرق، بالإضافة إلى تقديم إرشادات حول السلامة وكيفية التعامل مع حالات الغرق، ومن ثم الاستعداد للتدريب العملي مع حلول موسم الصيف داخل مياه البحر.

أما سمر محمود(30 عاماً) فهي ترغب بالالتحاق والمشاركة في دورات مختصة بتأهيل منقذات، ولكن طبيعة العادات والتقاليد داخل المجتمع، والتي تفرض على الفتاة عدم الانخراط في مهن ومهارات يحتكرها الرجال، تقيد حرية مشاركتها والكثير من الفتيات ممن يرغبن بالحصول على الدورات وممارسة هواية السباحة بشكل آمن.

من جهته يقول المدرب شاكر أبو عمرو إن فكرة التوجه لإعداد فرق إنقاذ بحري خاصة بالنساء، إيجابية وتحظى بقبول كبير داخل المجتمع كما الرفض من البعض، فمن شأن مشاركة الفتيات في الإنقاذ تحقيق التكاملية مع المنقذين الرجال.

وأشار في حديثه لـ«القدس العربي» إلى أن عملية اختيار الفتيات للبدء بتعليم مهارات السباحة، تبدأ باجتيازهن لاختبارات نظرية مهمة لاختيار المؤهلات للدورة، ومن ثم البدء بالاختبارات العملية كون أن مهارة السباحة تتطلب لياقة بدنية عالية، ومن ثم البدء بالتطبيق من خلال النزول لشاطئ البحر.

ولفت إلى أن فرق الإنقاذ من الرجال تواجه صعوبة كبيرة في التعامل مع حالات الغرق من النساء على شاطئ البحر، لرفض أهالي الفتيات أن يتعامل معهن منقذون رجال بالإجراءات الصحية الواجبة بعد انتشالهن من الغرق، ما يستوجب وجود منقذات يستكملن المهمة على الشاطئ بالتدخلات الصحية الميدانية، لذلك وبعد تصاعد حالات الغرق بشكل متكرر في كل عام، استوجب الأمر إيجاد حلول لحفظ أرواح الراغبات في السباحة في البحر.

وتعتبر رياضة السباحة من أكثر الأنواع التي تروح عن النفس بالنسبة للنساء، لكن مع تكرار حالات الغرق وبحثا عن الخصوصية، تجد النساء في الشاليهات المنتشرة بشكل واسع والمزودة بأحواض سباحة، المكان الأنسب لممارسة الهواية وتفادي المخاطر الناجمة عن النزول للبحر.

كعك العيد

المكونات

ثلاثة أكواب دقيق
نصف ملعقة صغيرة حب الهال
ثلاث ملاعق صغيرة بذور اليانسون
ثلاثة أرباع كوب زيت نباتي
ثلاث ملاعق صغيرة سكر
ملعقة صغيرة خميرة فورية
نصف كوب ماء

مكونات الحشوة:
500 غرام من معجون التمر
ملعقة كبيرة سمن
ملعقة كبيرة زيت الزيتون
ملعقة طعام يانسون
ملعقة قرفة
ملعقة صغيرة حب الهال

طريقة التحضير

تحضير حشوة التمر:

نعجن التمر مع جميع التوابل والبهارات حتى نحصل على معجون جاهز للاستخدام، ثم نقسم التمر لقطع كروية صغيرة بحجم حبة الجوز.

تحضير العجينة:

نضيف الدقيق مع حب الهال واليانسون، ثم الزيت ونفرك بأطراف الأصابع حتى يبدو كالفتات المتكتل. نذوب السكر مع الخميرة ونضيف إلى الخليط السابق ونعجن حتى تتكون لدينا عجينة متماسكة.

تشكيل العجينة:

نقسم العجينة لكرات ثم ندحرجها على سطح مستو حتى نحصل على شكل طولي. ثم نفرد العجينة بشكل رقيق.

نفرد التمر على شكل أصابع طولية ونضعه في منتصف العجينة على أن تكون الحشوة أقصر من العجينة بمقدار اسم من الجهتين.

نغلق العجينة من الأطراف جيداً، ونلف أطرافها على بعضها ونضغط قليلاً.

نخبز بفرن شديد السخونة لمدة عشر دقائق حتى يتحمر.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

دراسات: زيادة الملح تضر بالجهاز المناعي

زيادة استهلاك الملح تؤدي إلى أمراض وعلل عديدة، منها ارتفاع ضغط الدم وإجهاد الكلى وضعف العظام. دراسة في جامعة ألمانية وجدت ضرراً جديداً.

وتوصي منظمة الصحة العالمية بألا يزيد استهلاكنا اليومي من الملح، واسمه الكيميائي كلوريد الصوديوم، عن خمسة غرامات؛ لأنه يقف وراء العديد من الأمراض والعلل كارتفاع ضغط الدم، الذي يزيد بدوره من خطر الإصابة بالسكتة الدماغية والنوبات القلبية، ويجهد الكلى ويحدث تغييرات في ميكروبيوم الأمعاء.

ووفق معطيات معهد روبرت كوخ، يستهلك الكثير من الناس في ألمانيا أكثر مما هو موصى به: استهلكت النساء ثمانية غرامات يومياً في عام 2021 والرجال حتى عشرة غرامات.

وكثرة الملح تعيق عمل الخلايا البالعة المهمة في الجهاز المناعي، كما أظهرت دراسة نُشرت في عام 2020 في مجلة Science Translational Medicine فلدى الفئران التي تم تغذيتها بأطعمة عالية الملوحة، كانت الالتهابات البكتيرية أكثر حدة.

كما أظهر المشاركون في الدراسة على البشر ممن تناولوا ستة غرامات من الملح يومياً ضعفاً في جهاز المناعة، كما أورد الموقع الإلكتروني الألماني تي-أونلاين.

كما يؤدي زيادة كلوريد الصوديوم في الجسم إلى المبالغة في رد فعل الجهاز المناعي وتوجيهه بشكل خاطئ لآليات الدفاع عن الجسم، كما هو الحال مع أمراض المناعة الذاتية مثل التصلب المتعدد، وفق ما كشفته دراسة حديثة نشرت في المجلة التخصصي.

وتعمل الخلايا التائية المنظمة (الكابحة) على إعادة تنظيم الجهاز المناعي بعد القضاء على العدوى بنجاح. عندما يتم تعطيل هذه الآلية، يمكن أن تتطور أمراض المناعة الذاتية، مما يؤدي إلى التهاب وتلف الأنسجة.

وفحص باحثون في «معهد المناعة التجريبية» في جامعة بون الألمانية تأثير زيادة الملح على عمل الخلايا التائية المنظمة. ورصد الباحثون أن تم إنتاج طاقة أقل في الخلايا التائية المنظمة (الكابحة) وهذا بدوره أدى إلى ضعف وظيفة الخلايا المناعية، كما أكد البروفيسور كريستيان كورتس وهو أحد القائمين على الدراسة.

تأثير زيادة الملح على عمل الخلايا التائية المنظمة (الكابحة) لا يتوقف على أمراض المناعة الذاتية، بل يتعداه إلى أمراض السرطان والقلب والأوعية الدموية، غير أنه مطلوب مزيداً من البحث لتحليل تلك العلاقة، حسب ما قال كريستيان كورتس، ونقل عنه الموقع الإلكتروني الألماني تي – أونلاين. (DW)

الحمل

تكون موضع ثناء في الأيام المقبلة

الثور

عدم تقبلك لآراء الزملاء يجلب لك مشاكل

الجوزاء

من الممكن أن تزيد مسؤولياتك بالعمل

السرطان

وضعك الصحي أكثر من جيد

الاسد

تتمتع بالقوة والشجاعة

العذراء

لا تحاول استفزاز الشريك

الميزان

ركز على هدفك واسع لتحقيقه

العقرب

لا تدخل بمتاهة التفاصيل

القوس

أحد الزملاء يقدم المساعدة

الجدي

عامل الناس كما تحب أن يعاملوك

الدلو

تمتلك رغبة قوية بالتمتع بالهدوء

الحوت

أحلامك كبيرة جداً

جديد الطب

ثلاثة عوامل تؤدي لتزايد الإصابة بالنوع الثاني من داء السكري

قالت دراسة علمية حديثة إن هناك ثلاثة عوامل رئيسية تقف خلف الارتفاع العالمي الكبير في عدد المصابين بالنوع الثاني من داء السكري خصوصا عند الرجال مقارنة بالنساء، وصغار السن مقارنة بكبار السن. فما هي هذه العوامل؟

فقد أكدت أبحاث لعلماء في كلية الطب بجامعة تافتس الأمريكية أن سوء التغذية أدى إلى ظهور 14.1 مليون حالة جديدة من مرضى السكري من النوع الثاني في جميع أنحاء العالم في عام 2018 وحده.

ونظرت الدراسة في 11 عاملاً من العوامل الغذائية المتنوعة لكنها خلصت إلى أن ثلاثة منها كانت أسبابًا رئيسية لإصابة الأشخاص بداء السكري من النوع الثاني.

وقالت جامعة تافتس إن هذه العوامل تشمل: عدم تناول الحبوب الكاملة بشكل كاف، والإفراط في تناول الأرز والقمح عالي درجة الاستخلاص، والاستهلاك المفرط للحوم المصنعة. وأضاف الباحثون أن العوامل الأخرى، مثل استهلاك الكثير من عصير الفاكهة، كان لها تأثير أقل.

وجد الباحثون أن تناول الكثير من الأطعمة غير الصحية كان دافعًا للإصابة بمرض السكري من النوع الثاني على المستوى العالمي أكثر من عدم تناول الأطعمة الصحية، خاصة للرجال مقارنة بالنساء، والأشخاص الأصغر سنًا مقارنة بكبار السن، وسكان الحضر مقابل سكان الريف.

وكشفت الدراسة التي نشرت بمجلة «نااتشر ميديسن» أن سوء التغذية كان مسؤولاً عن 70 في المئة من جميع الحالات الجديدة للإصابة بالسكري من النوع 2 في عام 2018 حسب ما نشر موقع محطة «سي إن إن».

وأشارت مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها في الولايات المتحدة «CDC» إلى أن هناك 37 مليون أمريكي يعانون من مرض السكري، 90 في المئة منهم على الأقل مصابون بالنوع الثاني منه، حسب موقع محطة «اية بي سي» نيوز.

وعلى الصعيد العالمي، ارتفع عدد مرضى السكري من 108 مليون في عام 1980 إلى 422 مليونًا في عام 2014 وهو ما يمثل أحدث نتائج منظمة الصحة العالمية، حسب ما ذكر موقع «تن نيوز».

ويقول داريوش مظفريان المؤلف الرئيسي للدراسة وأستاذ التغذية في جان ماير في جامعة تافتس: «تشير دراستنا إلى أن انخفاض جودة الكربوهيدرات هي المحرك الرئيسي لمرض السكري من النوع 2 الذي يُعزى إلى النظام الغذائي على مستوى العالم، مع وجود تباين مهم باختلاف الدولة ومع مرور الوقت».

ويضيف الباحث: «تكشف هذه النتائج الجديدة المجالات الحاسمة التي يجب التركيز عليها سواء على المستوى الوطني أو العالمي لتحسين التغذية وتقليل الأعباء المدمرة لمرض السكري.»

وطور مظفريان وفريقه نموذجًا بحثيًا عن أنواع الغذاء التي تناولها الناس بين عامي 1990 و2018 وطبقه في 184 دولة. ووجدت الدراسة أنه مقارنة بعام 1990 كان هناك 8.6 مليون حالة إصابة بمرض السكري من النوع الثاني بسبب سوء التغذية في عام 2018.

وقدرت الدراسة أن 7 من أصل 10 حالات من مرض السكري من النوع الثاني في جميع أنحاء العالم في عام 2018 كانت مرتبطة بخيارات الطعام السيئة.

ولاحظ مؤلفو الدراسة أن الدراسات السابقة حددت أن 40 في المئة من حالات السكري من النوع 2 على مستوى العالم تُعزى إلى نظام غذائي دون المستوى الأمثل. وقال الباحثون إن هذه الدراسة مختلفة لأنها وجدت أن الحبوب عالية الاستخلاص على وجه التحديد كانت عاملاً رئيسياً في التسبب في مرض السكري من النوع الثاني. (Dw)

هل يؤجج ارتفاع الأسعار الخلافات العائلية وحالات الانفصال في ألمانيا؟

يتسبب شح الأموال أحيانا في انفلات الأعصاب لدى بعض الناس بسبب قلقهم على أوضاعهم الاقتصادية. يستشعر الألمان هذا بشكل ملحوظ خلال أوقات التضخم وأزمات الطاقة، حيث تلتهم أسعار الكهرباء والغاز المرتفعة الكثير من أموالهم، كما لا يجدون هوادة في أسعار المواد الغذائية. وبوجه عام، ارتفعت أسعار المستهلكين في ألمانيا بنسبة 7.4 في المئة في آذار/مارس الماضي على أساس سنوي. لكن كيف يؤثر هذا الوضع الضاغط على العلاقات؟ هل يتشاجر الأزواج من أجل المال أكثر الآن؟ هل من المتوقع حدوث موجة طلاق؟

إذا صدقنا نتائج الاستطلاع الحديث الذي أجرته خدمة المواعدة عبر الإنترنت «إيليت براتنر» فإن موضوع المال يمثل نقطة خلاف مستدامة في عُشر العلاقات بألمانيا تقريبا. فبحسب نتائج الاستطلاع، قال 11.4 في المئة من إجمالي 4386 مشاركا خلال شهري تشرين الأول/أكتوبر وتشرين الثاني/نوفمبر من العام الماضي إنهم كثيرا ما يتشاجرون مع شركاء حياتهم حول المال والنفقات. وتظهر الأرقام أيضا أن حوالي ربعهم قال إنهم بالكاد يستطيعون تغطية نفقاتهم دون دعم من شركائهم.

ومن اللافت للنظر أيضا – وفقا للاستطلاع – أن النساء أكثر عرضة للاعتماد المالي على شركائهن مقارنة بالرجال. وبالتالي فإن الوضع الحالي يؤثر بشكل خاص على النساء المتزوجات واللاتي لديهن أطفال. وفي المقابل، لا تشكل حالة الزواج أو إنجاب أطفال فارقا في الوضع بالنسبة للرجال. وقد يرجع السبب في ذلك بالنسبة للأزواج الذين لديهم أطفال على وجه الخصوص إلى أن النساء غالبا ما يجلعن أولوية الأسرة مقدمة على وظائفهن، في حين أن الرجال غالبا ما يكونون قادرين على مواصلة حياتهم المهنية دون أي انقطاعات تُذكر.

لكن هل يمكن أن تؤثر الاعتمادية المالية على العلاقة؟ نعم أحيانا، حيث يقول مستشار العلاقات الزوجية ميشائيل ماري «إذا كان لا يمكن العيش ماديا ووجوديا إلا سويا، فإن المشاعر والشغف يفقدان أهميتهما». وحسب ماري، لا توجد إجابة عامة حول ما إذا كان يمكن إنقاذ علاقة غير سعيدة في مثل هذه الحالة، موضحا أن الأمر يتوقف على الزوجين، حيث قال: «بصورة مبدئية لا أقدم النصح للأزواج، لكنني أرافقهم عبر المواقف الحياتية الصعبة كمساعد إصلاح».

ويرى ماري أن المسائل المالية لا تزال من الموضوعات التي يستشعر بعض الأزواج الحرج من خوض حديث فيها، مشيرا إلى أن حوالي 10 في المئة من الأزواج الذين يطلبون مشورته جاءوا إليه بشأن مسائل مالية. يقول ماري: «عندما تظهر عواقب الصمت، غالبا ما يكون اللجوء إلى المحامي أكثر من اللجوء إلى مستشار الأزواج».

هذا الأمر تعرفه جيدا أيضا المحامية المتخصصة في قانون الأسرة ببرلين، إيفا بيكر. خلال العام الماضي كان عليها في كثير من الأحيان التعامل مع حالات لم يعد من الممكن فيها إنقاذ العلاقة، لكن الانفصال الفعلي يمثل تكلفة باهظة على الطرفين. تقول بيكر إن هناك حاجة متزايدة لتقديم المشورة للأزواج المنفصلين عاطفيا ولكنهم يواصلون العيش في شقة واحدة لأنهم لا يستطيعون تحمل تكلفة شقتين، موضحة أن الأمر في برلين أيضا له علاقة بنقص المساكن. ومع ذلك، ترى بيكر أن هذا الوضع يحمل بصمة أزمة الطاقة والتضخم الحالي. تقول بيكر، التي تترأس أيضا لجنة قانون الأسرة في نقابة المحامين الألمان: «لقد ساءت الأمور منذ بداية حرب أوكرانيا».

وأشارت بيكر إلى أن الوضع أصبح أكثر صعوبة، خاصة بالنسبة لذوي الدخل المتوسط والمنخفض، لأنهم لا يعرفون كيف يتعاملون مع تكاليف الانفصال، موضحة أن هذه المشكلة ليست جديدة، ولكن نتيجة لأزمة الطاقة والتضخم، أصبح الناس الآن أكثر توترا لأنهم صاروا الآن مضطرين أيضا للتعامل مع الزيادة العامة في تكلفة المعيشة.

وغالبا ما يرتبط الانفصال – خاصة بالنسبة للمتزوجين – بتكاليف عالية. لا يشمل ذلك إيجار الشقة الجديدة فحسب، بل أيضا إعالة الشريك السابق أو الأطفال المشتركين. توضح بيكر أن تكاليف المعيشة تصبح مخصصة لأسرتين عند الانفصال على الرغم من بقاء الدخل كما هو.

ومع ذلك، ليس من الممكن بعد تحديد كيف ستؤثر الأزمة الحالية على معدل الطلاق في ألمانيا، والتي كانت تميل في السنوات الأخيرة إلى الانخفاض. وحسب بيانات مكتب الإحصاء الاتحادي، بلغت حالات الطلاق عام 2021 في ألمانيا 142 ألفا و800 حالة، بتراجع قدره 0.7 في المئة مقارنة بعام 2020 ومنذ عام 2012 انخفض عدد حالات الطلاق سنويا، باستثناء زيادة طفيفة في عام 2019 .

تقول المعالجة المتخصصة في العلاقات الزوجية دانيلا بيرنهارت إن العديد من العوامل تتفاعل بشكل مبدئي في النزاعات الخاصة بالعلاقات، وأضافت: «في معظم الأحيان يتراكم الإحباط على مر السنين لدرجة لم يعد التجاهل وغض الطرف والتفويت يجدي معها نفعا» موضحة في المقابل أن الخلاف التزايد حاليا حول المال هو الذي يسبب التفاقم.

وقالت: «وبما أن الأسباب الفعلية ليست تكاليف الطاقة، فلن تتحسن العلاقة تلقائيا إذا هبطت الأسعار مرة أخرى». وبوجه عام تنصح بيرنهارت الأشخاص في العلاقات المثقلة بالنزاعات بعدم التغاضي عن المشكلات، وقالت: «التحمل ليس فكرة جيدة. الحياة أقصر من تبديدها في علاقة سيئة».

(د ب أ)

منوعات

مسلسل «النار بالنار»: محنة الإنسان في مجتمع ينخره فساد السلطة والعنصرية

مروان ياسين الدليمي

في مسلسل «النار بالنار» إنتاج مشترك سوري لبناني 2023 تأليف رامي كوسا وإخراج محمد عبد العزيز، تتحرك موضوعته في منطقة ملغمة تتعلق بما انتهت إليه طبيعة العلاقة المعقدة بين الشعب السوري واللبناني بعد أن فرضت عليها السياسة سطوتها خلال الخمسين عاما الماضية، فتركت عليها آثارا وجروحا عميقة ليس من السهل تجاوزها ونسيانها، بدأت منذ منتصف سبعينات القرن الماضي عند بداية الحرب الأهلية في لبنان وما شهدته من تورط أطراف عربية في مستنقعها، وكان للدور السوري نصيب كبير بما شهدته من تطورات مؤلمة لم تنته أوجاعها حتى هذه اللحظة، تأتي في مقدمتها قضية عشرات اللبنانيين الذين تم اختطافهم عند الحواجز العسكرية أثناء وبعد الحرب اللبنانية، وربما أشدّها كانت خلال فترة سيطرة قوات الردع العربية /السورية على لبنان. جدير بالإشارة أن هذه القوات أنشئت عام 1976 بناء على قرارات اتخذت في مؤتمر قمة الرياض باعتبارها قوات حفظ سلام عربية لكنها تحولت مع تدهور الأوضاع إلى قوات سورية، مما يعني أنها دخلت بشكل أو بآخر طرفا في الصراع الدائر. إلاّ أن الزمن السردي لأحداث المسلسل تجري في الزمن الراهن، خلال الأشهر التي أعقبت انفجار مرفأ بيروت في الرابع من شهر آب (فبراير) 2020 لتكون بالتالي على تماس مما يجري اليوم في لبنان وما يعصف به من أزمات خانقة اقتصادية وسياسية ومجتمعية.

إذا ما نظرنا إلى مسار تطور الإنتاج الدرامي التلفزيوني السوري منذ مطلع سبعينات القرن الماضي وصولا إلى ما وصل إليه اليوم، لابد لنا من أن نلاحظ أن الخط البياني يميل إلى النمو والنضج في كافة تفاصيل الإنتاج، ويكاد أن ينفلت في العديد من نتاجاته عن نمطية ما يتم تقديمه في البلدان العربية وفي مقدمتها مصر، رغم أن الإنتاج المصري يتباين في مستوياته بما يقدمه من مسلسلات خلال مسيرته الطويلة والرائدة في المنطقة العربية التي كانت قد بدأت مطلع ستينات القرن الماضي متزامنة مع بداية البث التلفزيون في مصر، والتباين يبدو موزعا بين أعمال كبيرة ومهمة وأخرى متواضعة، وهذه الحالة تبدو طبيعية ولا تنتقص منه إزاء الكم الكبير الذي تضخه ماكنة الإنتاج سنويا، والتي تتفوق فيها على بقية البلدان العربية، وبكل الأحوال يبقى الإنتاج المصري يبعث دائما على التفاؤل عليها خلال العشر سنوات الماضية، لكنها جديدة في كافة الاختصاصات الفنية من كتاب إلى مخرجين وتقنيين.

ما يجد الإشارة إليه في مسلسل «النار بالنار» أن معظم أحداثه تمحورت في فلك لوحدها، بما فيها من إشارات ذكية في الحلقات الرئيسة للإنتاج، ما يدفع المراقب إلى أن يتابعها وفي داخله اطمئنان على أنها تملك صياغتها الخاصة بها، ونكهة جميلة لها حضورها اللافت، ابتداء من الموضوعات التي تطرحها، والرؤى الفنية التي تقدم من خلالها، وبشكل عام في هذا الخصوص يمكن القول إنها تتسم بالجرأة على مستوى الشكل والمضامين، قد لا تكون من حيث الكم قادرة على أن تتفوق على الإنتاج المصري، وهذا يعود إلى أسباب مرتبطة بطبيعة الأوضاع السياسية المضطربة التي مرت حي شعبي صغير يقع ضمن شارع فرعي ضيق، تتوزعت على جانبيه دكاكين صغيرة يكافح أصحابها من أجل البقاء على قيد الحياة، وفوق الدكاكين تقبع شقق صغيرة وكأنها علب سردين تكاد أن تضيق على من يسكنها، وفي زواياها تعيش شخصيات المسلسل، منها ما ترزح تحت ثقل أحلام ثورية مكسورة مثل شخصية الصحافي الشيوعي جميل (طارق تميم) الذي يصاحبه الفشل في حياته الزوجية وفي مهنته فيعجز حتى عن تأمين لقمة عيشه، وهذا ما يدفعه دائما إلى أن يجرب حظه في لعبة اللوتو والاستدانة من أصدقائه ومن عمران المرابي، والقابلة العجوز دكتورة تفيدة (هدى شعراوي) التي حولت شقتها إلى مكان يلتقي فيه لاعبو القمار، ومريم (كاريس بشار) اللاجئة السورية التي فقدت أي أثر لزوجها بعد أن تم اعتقاله من قبل النظام خلال انفجار التظاهرات في سوريا عام 2011 فلجأت بشكل غير رسمي إلى لبنان على أمل أن تهاجر إلى ألمانيا عن طريق الأمم المتحدة، وعزيز (جورج خباز) معلم الموسيقى الذي لا يشغله أي شيء في الحياة سوى العثور على والده الموسيقي الذي تم خطفه عند أحد الحواجز السورية خلال الحرب اللبنانية قبل ثلاثين عاما، حتى أنه يتخلى عن حياته العاطفية ولم يعد يعير أهمية لسارة (زينة مكي) التي تكن له حبا جارفا وتحاول بكل طريقة أن يبادلها هذا الحب، وزكريا (طوني عيسى) المتطرف اللبناني الذي ينتمي لخلية سرية إسلاموية والمكلف من قبلها بصنع عبوات والغام ناسفة، والحلاق العجوز الذي خصص جانبا من صالونه ليمارس مسؤولية مختار الحي لأنه توارث هذه المسؤولية عن ابائه وأجداده.

ملامح الإنتاج الدرامي السوري

تبدو الدراما السورية كما لو أنها تدور في إطار واضح وعميق، لم يخرج عما يدور في الواقع اللبناني من إشكالات يعاني منها، في ظل ما يشهده هذا البلد من انهيار عام من أعلى قمة الهرم إلى قاع المجتمع.

جاءت حكاية العمل لتقدم لنا عيّنات مما يعيشه المجتمع اللبناني من دوامة خانقة، عبر حبكة درامية تحاكي الواقع بما ينعكس عليه من قهر وفساد وصراعات، وهذا ما يضع المسلسل من حيث موضوعته، في مواجهة الواقع، انسجاما مع وظيفة الدراما الأساسية. أما من حيث الحبكة فإن السيناريو قد فرش مساحة واسعة من التفاصيل، ووزع عليها مجموعة كبيرة من الشخصيات تشتبك مع بعضها بعلاقات متقاطعة، وهذه السعة رغم صعوبة الإمساك بخيوطها والحفاظ على نمو إيقاع صراعاتها، إلاّ أنها جاءت في صياغة محبوكة بتناغم وسلاسة كما أنها خلت من الترهل في بنائها، ما يستدعي الإشادة بالمخرج السوري محمد عبد العزيز، لأنه تمكن من خلق ميزان جمالي وهو ينسج دائرة من العلاقات الدرامية بين جميع الشخصيات، سواء الرئيسية أو المساندة والثانوية أيضا، وهذا يشير إلى أن هناك جهدا كبيرا في جلسات القراءة والتحضير لتحليل الشخصيات والاشتغال على بنائها قبل فترة طويلة من بدء التصوير، انعكس على ما قدمه جميع الممثلين من أداء احترافي اتسم بالعمق والبساطة، بدءا من كاريس بشار وعابد فهد وجورج خباز وجمال العلي وطارق تميم وهدى شعراوي وساشا دحدوح وبقية الممثلين.

اختار المؤلف كوسا أن تدور تفاصيل والتنافس بين الأعمال الدرامية، بل طيلة أشهر السنة، فحقيبة الإنتاج السوري غالبا ما تفاجئنا سنويا بعدد من الأعمال الدرامية التي تتمرد على القوالب الجاهزة في الشكل والمحتوى، وتترك لدى المتلقي إحساسا بقوة الفن وقدرته على أن يخاطب الوجدان بلغة قريبة منه ومن الواقع الذي يعيشه وهي بذلك تؤكد على ضرورة الفن للحياة طالما ينهض على فكرة مواجهة ما يبدو معقدا وعلى درجة من الحساسية كما هو الحال في مسلسل «النار بالنار».

في حبكة هذا العمل جاءت إحالة رمزية الحكاية الدرامية على الواقع في لبنان بشقيها الذاتي والاجتماعي، على قدر كبير من الموفقية، بالشكل الذي منح المتلقي فرصة أن يتابع قلقَ الشخصيات وهي تبحث عن منفذ للخلاص من أزماتها الشخصية، ما عزز من واقعية العلاقات المحبوكة بينها في حكايته في حي شعبي لبناني فقير يقيم فيه سوريون لجأوا إليه بعد أن تدهورت الأحوال في بلدهم إلى جانب سكانه اللبنانيين، بينهم من ولد في لبنان فاكتسب الجنسية اللبنانية إلى جانب الجنسية السورية، مثلما هي شخصية المرابي عمران (عابد فهد) الذي يكاد أن يُسيطر على الحي بأكمله، نتيجة علاقات التخادم التي تجمعه مع أمراء حرب سابقين وشخصيات متنفذة في المؤسسات الأمنية، يساعده على ذلك ظرف اقتصادي بائس يحيط بسكان الحي، وهذا ما أتاح له فرصة أن يمارس دور المرابي مقتربا بذلك من شخصية شايلوك المرابي في مسرحية «تاجر البندقية» لوليم شكسبير، حتى أنه لم يتردد في أن يمارس القتل والتزوير وتهريب البشر والنفط لأجل أن يعوض ما عاناه من شقاء في طفولته وشبابه. وبناء على هذه البنية الدرامية فقد أوجد السيناريو بيئة مكانية واقعية، كشف من خلالها طبيعة ما يواجهه السوريون من تفرقة واضطهاد عنصري، نتيجة لما خلفته الحرب اللبنانية من تركة ثقيلة ما زالت تلقي بظلالها القاتمة على العلاقة بين السوريين واللبنانيين من سكان الحي، رغم أن الاثنين كانا ضحية من أشعلها وأدام نيرانها.

نحن أمام عمل درامي كبير، نجح في تعرية ما وصلت إليه محنة الإنسان في مجتمع ينخره فساد السلطة وغاب عنه الأمن والأمان وارتفعت فيه وتيرة العنف والكراهية والعنصرية، فبدا المجتمع بشرائحه المتوسطة والفقيرة حائرا وعاجزا عن الوصول إلى سفينة خلاص تأخذه إلى بر الأمان.

«السد» فيلم أساسه الطين والإنسان الصامت والمكتوم والصورة هي التعويض

علي شرّي: رغبت بفهم منطق السدود والصراع على الماء وسد مروي وناسه أوحيا بالفيلم

علي شرّي

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

في أعماله جوامع مشتركة ينطلق منها ليبني فيلماً على أسس صلبة. الأرض هي البداية، ويليها الماء والطين أو التراب. علي شرّي مخرج صاحب رؤيا خاصة في تقديم أفكاره. هو الفنان الآتي من النحت ومن التشكيل وعالم الرقمنة. يقدّم أعماله السينمائية بلغة فنية خاصة جداً من شأنها استيلاد سيل من الأسئلة.

يُدرك علي شرّي أن أفلامه ليست ذات شعبية مُطلقة، لكنها بالنسبة له تحاكي الإنسان بماضيه وحاضره وتطلعاته المستقبلية. مع فيلم «السد» الذي خرج إلى الشاشات مؤخراً، خاطب الإنسان الذي يعمل بصمت ودون كلل لتحصيل عيشه، وفي شتى الظروف والأحوال. راح إلى سد مروي في السودان وجعل من عمّال الطوب نجوم فيلمه. عمّال سمتهم العمل والصمت، وكأن شقاء الجسد يحتاج لأن يتوج بشقاء الروح.

مع المخرج والكاتب علي شرّي هذا الحوار:

○ يشغلك التعبير بكل المتاح بين يديك من خبرات ومهارات والإنسان هو المحور كما قال فيلم «السد»، الناس معذّبون هل لاح ضوء من مكان ما؟

● لست أدري إن كنت أمتلك جواباً على هذا السؤال الصعب. نعيش عنفاً في أكثر من مكان ومنه لبنان، حيث عشت كما غيري حروباً متعددة، وأعتقد أن الفن يشكّل عاملاً مساعداً لتحمُّل كل ما يحيط بنا. والفن يساعدنا لفهم كيفية تداخل التجربتنا الشخصية مع تجارب الآخرين حولنا. نعتقد خطأ ان ما نعيشه مستجد، لكنه جزء من تاريخ، ومن المنطقة والإنسانية. لست أدري إن كان للفن دور في بث الأمل، لكنه دون شك يساعد في تحمُّل الواقع. نحن نحتاج الجمال رغم كافة الصعاب، ونحتاج لإنتاج أشياء جميلة.

○ بعد فيلمين قصيرين قدمت فيلمك الروائي الأول «السد» رمزيات مشاهده ناطقة أكثر من أبطاله، هل هو انحياز إلى حرفتك الأولى البصريات؟

● أكيد. هو رهان على نطق الصورة من دون كلام. مكونات الفيلم من موسيقى وصوت وزمن المشاهد، جميعها يُصدد سرد قصة. باعتقادي أن الفيلم يشبه منطق الحلم أكثر من تقديمه للواقع. كل منا يستيقظ صباحاً فإن كان قد شاهد حُلماً، يعمل لتفسيره كي يفهم الواقع. هذا ما أراه من علاقة للسينما بالواقع، أنها تنتمي لمنطق الحلم أيضاً، وتمكننا أكثر من فهم الواقع.

○ كم تأثر تكوين مشاهد الفيلم بخلفية تكوين اللوحة التشكيلية؟ جمعت بين المطر والهواء والرمال والنار؟

● عناصر الماء والهواء والنار والتراب بالنسبة لي مدخل للتمكن من بناء وفهم القصة والتاريخ. يُنتج التاريخ مواد ويترك أثره على العائلة في حدث ما. فنحن الآن نلتقي ونتحاور في مكان لا تزال آثار تفجير الرابع من آب حاضرة فيه. هذا التفجير حدث تاريخي غيّر شكل المدينة. يمكننا بناء مدخل لتلك الأحداث بالنظر إلى العناصر، وكيف للنار والماء أن تشكّل مدخلاً لفهم ما حدث. العناصر هي لبُّ الفيلم وبالتأكيد مبعثها اهتماماتي وانشغالاتي وخاصة النحت. في النحت أستعمل التراب والطين وهي عناصر أساسية في الفن الذي أنجزه. في فيلم السد التركيز على عنصر الطين. فالعمّال يصنعون الطوب منه. والإنسانية جمعاء تنتمي للطين بدءاً من خلق آدم. وفي التوراة خُلقت الغولا من الطين. وإنكيدو صديق كلكامش مخلوق من الطين. على الدوام رأت الإنسانية في خليط الماء والتراب بداية لنخلق ونصنع منهما عوالم مختلفة عن عالمنا. وما يقوم به ماهر في الفيلم هو خلق عالم مختلف عن العالم القمعي الذي يعيش فيه. يعيش ماهر من الطين، وكذلك يستعمله لخلق عوالم تختلف عن ما يعيشه من قمع وديكتاتورية.

○ كل من شاهد وسيشاهد «السد» له حشرية السؤال لماذا علي شرّي اللبناني أمام سد مروي السوداني؟

● صحيح. سدّ مروي هو أحد السدود الثلاثة التي تنتج الكهرباء على النيل، وهو الذي أخذني إلى السودان. إلى مروي هناك سد أسوان في مصر، وسد النهضة الكبير في أثيوبيا والذي أدى ولا يزال إلى صراع بين مصر وأثيوبيا على كميات المياه. رغبت بفهم الصراع على الماء وزيارة مناطق السدود وخاصة سد مروي الذي انجز سنة 2009. لم يكن الفيلم هدفاً، وحين التقيت بالعمال وأمضيت وقتاً معهم، أوحى المكان وناسه بالفيلم السينمائي. كل فيلم أنجزه يجب أن يكون مزروعاً بالأرض أي أن نقطة البداية مكان وأرض وجغرافية وتاريخ، ومن خلال تلك العناصر أبني قصتي. بالنسبة لي كلبناني وبعد كارثة الرابع من آب لا يزال الجرح كبيراً وطرياً، ومن الصعوبة مقاربة الحدث بفيلم سينمائي. الابتعاد بالزمن والجغرافيا عن الجرح والوطني الكبير قد يسهل الطريق لبناء فن عليه.

○ فقط المرمضة هي المرأة الوحيدة في السد، لماذا كل هذا الغياب؟

● هو الواقع الذي يعيش فيه العمال. كنت مهتماً بإظهار غياب المرأة. نفهم من ماهر أنه يخاطب حبيبته عندما يتيح له الهاتف. بعد تصوير الفيلم تزوج ماهر من حبيبته. في الواقع العمل في الطوب موسمي، والعمّال يقيمون في مكان العمل بين 9 و10 أشهر، ومن ثم يعودون إلى قراهم. يتوقف العمل لشهرين أو ثلاثة خلال الصيف بسبب فيضان النهر حيث يتشكل الطمي. ينخفض الماء في ايلول/سبتمبر وتنطلق دورة العمل. هذه الإقامة الطويلة تشكل تلك العلاقة بين العمّال. فهم منظمون ويديرون أمورهم بشكل تعاوني ويتناوبون على إعداد الطعام. وفي الوقت عينه كل منهم يعيش وحدته. ومن هنا منبع الصمت في الفيلم. يهدف العمّال للعمل وتحصيل المال والعودة إلى قراهم. ومزيداً من العمل والإنتاج يعني مزيداً من تحصيل المال. وغياب المرأة مرده لهذا الواقع. وحده مشهد المرمضة تعتني بجرح ماهر كسر هذا الغياب.

○ بطل فيلمك ماهر الخير يصارع الطين ويدلكه صعوداً والمطر ينهمر. ما هي مندرجات هذا الصراع والغضب المتفجر من يديه وعينيه؟

● لسنا على علم بما يبنيه ماهر بعيداً عن موقع العمل. وفي موقع العمل يبني الفرن الذي يشوي حجارة الطوب. في الصحراء كان ماهر يبني كفنان بعيداً عن إرادة الخالق. في حركته هذه كان يُخرج ما بداخله. شعور الوحشة ليس تعبيراً بسيطاً، بل هو مستمد من الوحش أو المكان الموحش الذي تسكنه الوحوش. برأي إنها الوحدة التي تُخرج الوحش الذي بداخلنا. وبالعودة إلى الشعر الجاهلي قرأنا عن الصحراء التي تظهر فيها الكائنات والوحوش، والشجرة الناطقة، فالمتخيل مع الصحراء هو المكان الذي تظهر فيه كائنات أخرى، أي هو مكان للخيال. مع المشاهد التي ظهر فيها ماهر وحيداً في الصحراء كنّا حيال المساحة المتخيلة.

○ بالإجمال شخصيات الفيلم راضية بحالها وحده ماهر يبحث عن شيء ما، لماذا هذا التفاوت في مشاعر الشخصيات؟

● العمّال جميعهم بصدد تأمين عيشهم، وتالياً حياة عائلاتهم في القرى. يختلف ماهر عن الآخرين لأنه يحمل مشروعاً ويحاول الخروج من دوّامة العمل. أن يكدح الإنسان ليل نهار في سبيل العيش فهذا هو القمع بحد ذاته، والذي تنفذه أنظمة قمعية كما نظام البشير، إنه القبول والرضوخ بهدف تأمين لقمة العيش. لكنّ ماهر يحمل طموحاً آخر. السد فيلم يسير وفق سرديتين. الأولى يخطها ماهر، والثانية نسمعها عبر الراديو وتتمثّل بفصول الثورة التي اندلعت في الخرطوم، لإسقاط ديكتاتور استمر 30 سنة في الحكم. إن سألتني هل للخيال أن يشكل مشروعاً سياسياً للتغيير؟ الجواب نعم. نحن فشلنا في 17 تشرين 2019 لأننا لم نتمكن من تخيُّل النظام البديل. الرؤيا المستقبلية تستدعي خيالاً يؤدي لعمل سياسي.

○ برأيك كيف انعكست الثورة في الخرطوم على عالم العزلة القائمة قريباً من سد مروي؟ وما هو الرابط بينهما؟

● حدث أننا تواجدنا في الموقع لدى اندلاع الثورة، شاهدنا متابعة العمال للثورة عبر الراديو والتلفزيون دون أي تعليق، وكأن الأمر لا يعنيهم. هناك شعرت كيف بات هذا الحدث الكبير وسقوط البشير بعد 30 سنة من الحكم، حدثاً صغيراً في حياتهم. سألت العمّال عن التغيير الذي تركه سقوط البشير في حياتهم فكان الجواب «باتت الحياة أكثر كلفة... ارتفعت الأسعار». شعرت وكأن الأمور تسير عبر زمنين. الزمن السياسي الذي تسير الأحداث وفقه، والزمن الأطول الذي يعود لآلاف السنوات، حيث العمّال يجهدون في صناعة الطوب، إنه الزمن الحالي والزمن المرتبط بالتاريخ.

○ لماذا تقصّدت كتم الغضب لدى العمّال؟

● لديهم غضب ورضوخ في مكان ما، يشعرون بالظلم ولا يعبرون، وحده ماهر يُظهر انفعالاته. ربما يرى العمّال أنهم غير قادرين على التغيير، رغم شعورهم بالظلم.

○ في فيلمك «القلق والحفّار» قرأت دون مشاهدة أنك تبحث في سيرورة عالمك، ماذا تقول في انحداره الكبير الحاصل؟

● أحاول البحث في النُظُم التي تمارس القمع والظلم. صحيح أن المقموعين غير مسؤولين عن القمع والظلم، إنما تغيير الواقع يجب أن ينطلق منهم. فالظالم لن يعمل للتغيير. «القلق» الذي أنجزته سنة 2013 فيلم يتناول الفوالق الزلزالية الثلاثة التي يقع عليها لبنان وعدم جهوزيته للمواجهة. حمل الفيلم معنى مجازي بتناوله الخطر الكامن في الأرض، لمقاربة الخطر فوق الأرض. للأسف نحن بمواجهة الخطر فوق وتحت الأرض. الفيلم عبارة عن بحث في كيفية العيش في قلق دائم. طموحي محاولة لفهم العالم وليس تغييره.

○ وماذا عن «الحفار»؟

● فيلم يتتبع حارساً لمقابر أثرية عمرها خمسة آلاف سنة في الإمارات العربية. كل ما في الأرض نُقل إلى المتحف، وبقيت الحفر. إنه رجل من باكستان يحرس الحفر الفارغة منذ عشرين سنة. بالتأكيد تحتاج المتاحف الوطنية لبناء سردية تاريخية للأوطان، أما الحداثة التي تبني متحفاً، فهي قائمة على المحرم كما نكش القبور ونقل الرفاة إلى المتحف الوطني. قالت الحداثة بأن بناء التاريخ يحتاج لمتاحف، والمتاحف تحتاج للدليل. «الحفّار» يتتبع فقط المسار المهني اليومي المكلّف به الحارس، وأهمه الحفاظ على المكان كما هو كي يبقى لنا تاريخ. والسؤال كيف لنا في لبنان بناء تاريخ لمدينة بيروت التي لاحقها الدمار سبع مرّات؟ وهل لنا الاتفاق على قصة موحدة للوطن؟ وهل هذا ممكن من خلال ممارسات الدمار والعنف؟

فرقة حسب الله الموسيقية الأثر المحفوظ في الوجدان المصري

كمال القاضي

رغم انتشارها وذيوع صيتها في الأوساط الشعبية في أحياء القاهرة القديمة، إلا أن تاريخها من حيث البداية والنشأة والتأسيس يُعد مجهولاً بالنسبة للغالبية العُظمى من الجمهور، لا سيما الشباب الذين انصرفوا عن هذا اللون من الفن التراثي القديم وانشغلوا بأغاني الفيديو كليب ومطربي الإيقاعات السريعة والراقصة.

احتلت فرقة حسب الله الموسيقية موقع الصدارة لعدة عقود فلم يكن هناك من ينافسها في إحياء الأفراح الشعبية والمناسبات العائلية بمُختلف أنواعها، فالفرقة التي أسسها محمد حسب الله أحد أفراد فرقة السواري في عهد الخديوي عباس حلمي عام 1860 وخرجت من شارع محمد علي أشهر معالم وسط العاصمة، ارتبط اسمها ونشاطها بالفن التلقائي ومهارة أعضائها في العزف على آلات النفخ النحاسية والخشبية، فالمؤسس والرائد وصاحب الفرقة كان من أمهر العازفين على آلة الكلارينيت.

ولأن الفن الموسيقي بطبيعته قابل للتطوير والتجويد لم يتوقف أعضاء الفرقة عند حدود الموهبة الربانية في ممارسة هواياتهم كعازفين وإنما خضعوا للدراسة الأكاديمية على يد أساتذة إيطاليين مُتخصصين في علم النوتة الموسيقية وتدريس الصولفيج والفوكاليز والإيقاع وأتموا دراستهم في هذا الصدد، ثم احترفوا بعد ذلك العزف وصاروا مُتحكمين في أدواتهم مُتمكنين من الأداء، يمتلكون ثقافة موسيقية رفيعة المستوى علماً وتذوقاً.

ولما كانت الفرقة بقيادة محمد حسب الله قد صنعت لنفسها مكانه واكتسبت شهرة واسعة داخل نطاق شارع محمد علي والمناطق الشعبية المجاورة، وامتدت أصداؤها إلى كل ربوع القاهرة، أتتها الفرصة للعمل في الدول العربية لإحياء أفراح الأثرياء وعلية القوم، ولعل الفرصة هذه توافرت للفرقة بعد نجاحها في إحياء فرح الأميرة زاهية حفيدة محمد علي باشا، الأمر الذي زاد من شهرتها وثقة الأعيان والطبقة الأرستقراطية في فنها وأداءها واللون الذي تُقدمه بطريقة بديعة وبسيطة.

لقد تميز الأعضاء العازفين بالفرقة بإتقان العزف على آلات النفخ كما أسلفنا، فضلاً عن تميزهم في استخدام الطبول ذات الأحجام الكبيرة والمتوسطة والصغيرة وتمكنهم من مزج الأصوات الإيقاعية للطبول مع ألحان الآلات النحاسية في هارموني يبعث على البهجة والمُعايشة الكاملة مع الأصوات الصادرة عن الآلات المُختلفة.

ولشدة الأثر القوي الذي أحدثه الفن الشعبي لفرقة حسب الله نال صاحبها الجاويش محمد، العازف السابق بفرقة السواري رُتبة الباشوية من الخديوي إسماعيل كنوع من التقدير للأداء الفني وخصوصية الألحان الفريدة من نوعها آنذاك، بالإضافة إلى إعجاب الخديوي بدأب ونشاط الأسطى والفنان حسب الله الذي عكف على فنه وتابع مسيرة فرقته وأعضائها وارتقى بهم من حيز البيئة الشعبية بالحواري والأزقة القديمة بالقاهرة إلى الأوساط الراقية في مصر والعالم العربي. ولأن الموسيقى كفن لا تعرف الطبقية وليست مقصورة على فئة بعينها، راج إبداع فرقة حسب الله في كل مكان ووصلت أنباؤه إلى كبرى العائلات فتهافت البكوات والهوانم على الفنان التلقائي مؤسس الفرقة الشعبية الشهيرة وعرف طريقه إلى الصالونات الثقافية وصار حديث الصحف والمجلات وعظمت ثروته وازدادت أناقته، حتى أنه كان يرصع جذائه الجلدي الطويل بقطع من الذهب وصار مشهوراً بمُبالغته في المظهر المُبهر والبذخ الشديد في الإنفاق على مُقتنياته الشخصية إلى الحد الذي عرضه للإفلاس عند تقدمه في السن وتفكك فرقته وضعف أدائها وعودتها مرة أخرى إلى حيث بدأت، الأحياء الشعبية واقتصار نشاطها على الأفراح البلدي وإحياء المُناسبات التقليدية المعهودة لدى العائلات المتوسطة والبسيطة.

لكن برغم التدهور الملفت للفرقة جراء إسراف صاحبها وسفهه لم تفقد رصيدها من الشهرة حتى بعد وفاة محمد حسب الله فقيراً مُعدماً، فقد تداولت الأوساط الشعبية سيرة الرجل العبقري الذي تحول من مجرد عسكري بسيط يقوم بالعزف في فرقة السواري ضمن مجموعة من العازفين إلى فنان كبير ذائع الصيت حاصل على لقب باشا من الخديوي إسماعيل شخصياً.

هذا التاريخ الطويل للفرقة الموسيقية ومؤسسها ظل باقياً إلى الآن بفعل الترويج السينمائي والتلفزيوني للفن الذي أصبح علامة تجارية ومأركة فنية مُسجلة. فقد ظهرت فرقة حسب الله في مئات الأفلام والأعمال الدرامية بالزي الرسمي الذي يُميزها، حيث السترة المائل لونها للصفار البهت «الكاكي» والقبعة الدائرية يحوافها العريضة والحذاء الأسود الطويل اللامع ذو الرقبة والمُزركش من الأمام والأجناب.

وهناك على وجه التحديد فيلم شهير بطولة عبد الحليم حافظ وصباح وحسين رياض وزينات صدقي بعنوان «شارع الحب» جسد فيه عبد السلام النابلسي شخصية حسب الله صاحب الفرقة الموسيقية الذي اكتشف المُطرب الصاعد عبد المنعم «عبد الحليم» وقدمه للأوساط الفنية فنجح نجاحاً باهراً.

وقد أشارت أحداث الفيلم إلى اسم الفرقة للتنويه عن دورها وأهميتها، كجزء من التاريخ الموسيقي والفولكلور المصري القديم الباقي أثرة والمحفوظ إلى الآن في مكتبة دار الأوبرا المصرية.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الرابعة والثلاثون العدد 10964 الأحد 23 نيسان (أبريل) 2023 – 3 شوال 1444 هـ
Volume 34 - Issue 10964 Sunday 23 April 2023

انهيار تصنيف مطعم فرنسي بعد مرور ماكرون

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

خلال زيارته هذا الأسبوع إلى منطقة هيرولت، توقف الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بشكل مفاجئ عند أحد المطاعم في بلدة بيرول، لشرب بيرة على الشرفة دون إبلاغ مدير المطعم مسبقا. غير أنه منذ ذلك الحين، تتهاطل، على غوغل ومنصات التواصل الاجتماعي، التعليقات السلبية والتقييمات السيئة للمطعم، ما أدى تدهور تصنيفه على الإنترنت.

المطعم Peña Pil Pil شهد منذ هذه الزيارة المفاجئة للرئيس إيمانويل ماكرون، انخفاضاً حاداً في تصنيف/تنقيط غوغل الخاص به: فقد انتقل من 5/5 إلى 5/1.6 في غضون ساعات قليلة.

هذا التصنيف السيئ مصحوب بتعليقات غير ودية: «أقل فاتورة 49.3 يورو (في إشارة إلى تفعيل الرئيس للمادة التي تحمل هذا الرقم لتمرير إصلاحه المثير للجدل لنظام التقاعد بالقوة دون تصويت البرلمان) وهي مكلفة للغاية بالنسبة للأشخاص الذين لا يمتلكون شيئا، اعبروا الشارع وستجدون ما هو أرخص وأفضل بكثير». يمكننا أن نقرأ أيضاً من بين التعليقات في الساعات الأخيرة: «حضور سيء للغاية.. لقد شوهد طغاة فرنسا هناك. الطعام جيد، لكن اللحظة أهدرها هذا المتعصب».

أصحاب المطعم قالوا إنهم لم يكونوا أصلا على علم بقدوم الرئيس إيمانويل ماكرون الذي فاجأهم بدورهم. ويقول أحد العاملين في المطعم إنه لم يكنِ بوسعهم إلا الترحيب برئيس جمهورية أو وزير، بعيداً عن كل شيء.

في مواجهة موجة الكراهية هذه، حشد سكان بلدة بيرول، بدورهم ، آراء عديدة هذه المرة إيجابية، من أجل الدفاع عن مطعم بلدتهم ورفع تصنيفه أو تنقيطه العام. ومن التعليقات نقرأ: «كل دعمي لهذا المطعم الذي لا يستحق على الإطلاق هذه القسوة. إنه مكان ممتاز ومكان لطيف للغاية في بيرول القديمة!». وقد بدأ تصنيف المطعم في الارتفاع بالفعل وسط هذه التعليقات الإيجابية من سكان بيرول وأماكن أخرى.

ويواجه الرئيس الفرنسي منذ أسابيع مظاهرات احتجاجية في جميع أنحاء فرنسا على خلفية تمرير قانون التقاعد الذي يلقى رفضاً سياسياً واجتماعياً واسعين. وقد شهدت شعبيته هذا الأسبوع تراجعاً إلى أدنى مستوياتها منذ وصوله إلى السلطة قبل ستة أعوام، حيث تضررت صورته إلى حد كبير بعد سن إصلاح نظام التقاعد وأصبحت المقالي والأواني رمزا لمعارضة إصلاحه لنظام التقاعد المثير للجدل ولشخصه، إذ تُرافَق زيارته الميدانية بقرع المقالي. ورد ماكرون على ذلك، قائلا: «المقالي تستخدم في المطبخ.. وأنها لن تقدم فرنسا».

إقالة رئيسة تحرير مجلة ألمانية
بسبب «مقابلة» زائفة عبر الذكاء الاصطناعي مع مايكل شوماخر

أقالت مجموعة «فونكه» الألمانية الإعلامية أمس رئيسة تحرير مجلة شعبية ألمانية، نشرت مقابلة مزيفة تم إنشاؤها بواسطة الذكاء الاصطناعي مع بطل العالم السابق «للفورمولا 1» مايكل شوماخر.

كما قدمت مجموعة «فونكه» التي تنشر المجلة، اعتذارا لعائلة شوماخر.

وقالت بيانكا بولمان، المديرة الإدارية لمجلات فونكه: «كان يجب ألا تُنشر مطلقا هذه المقالة عديمة الذوق والمضللة، فهي لا تتوافق بأي حال من الأحوال مع معايير الصحافة التي نتوقعها نحن وقراؤنا من ناشر مثل فونكه».

وجاء في بيان من مجموعة «فونكه» أن آنا هوفمان، رئيسة تحرير مجلة «دي أكتويل» «أُعفيت من مهامها اعتبارا من اليوم» وكانت تشرف هوفمان على صحافة المجلة منذ عام 2009 .

وأحدثت القصة التي نُشرت هذا الأسبوع في «دي أكتويل» ضجة في الأوساط الإعلامية الألمانية، وأثارت نقاشا حول مخاطر الذكاء الاصطناعي.

وكانت الصفحة الأولى من المجلة عبارة عن صورة لشوماخر مع عنوان: «مايكل شوماخر: المقابلة الأولى!». وكتب عنوان أصغر أدناها: «يبدو حقيقيا بشكل مخادع». ويتضح داخل المجلة أن الأمر يتعلق بمقابلة مزيفة تم إنشاؤها بواسطة موقع إلكتروني يستخدم أدوات الذكاء الاصطناعي.

ويدرك معظم عشاق شوماخر أن المقابلة ملفقة تماما، حيث يعيش شوماخر في عزلة تامة منذ إصابته بإصابة دماغية كبيرة أثناء التزلج في عام 2013 وخلَّف الحادث آثارا صحية شديدة وطويلة الأمد. ولم يظهر علنا منذ ذلك الحين.

وأشارت «المقابلة» بشكل مضلل إلى أن شوماخر 54/ عاما/ كشف تفاصيل شفائه. (د ب أ)

مهرجان «سومو بكاء الأطفال» يعود بعد توقف لأربع سنوات بسبب الجائحة

بعد توقف لأربع سنوات بسبب الجائحة، عاد مهرجان «سومو بكاء الأطفال» الذي يتواجه فيه عشرات الأطفال اليابانيين وهم يبكون، فيما يُعتقد أنه يحسّن من صحتهم.

وفي هذا المهرجان، يتنافس طفلان في كل جولة بزيّ رياضة السومو، فيما يرفعهما والداهما ليتواجها على حلبة لهذه الرياضة في معبد سينسوجي الواقع في العاصمة طوكيو.

ويحاول أعضاء فريق المهرجان وهم يرتدون أقنعة «أوني» جعل الطفلين يبكيان، ويفوز الطفل الذي يبدأ بالصراخ أولاً فيما يُعلن حكم سومو يرتدي اللباس التقليدي ويحمل مروحة خشبية في يده، اسم الفائز.

وتقول هيساي واتانابي، وهي أم لطفلة تبلغ ثمانية أشهر، «يمكننا معرفة حالة الطفل الصحية من خلال سماع طريقة بكائه. لكن طفلتي قد تشعر اليوم بتوتر ولا تبكي كثيراً، إلا أنني أرغب في الاستماع إلى بكائها الصحي».

ويُقام مهرجان «سومو بكاء الأطفال» في مختلف معابد اليابان، في خطوة ترمي إلى إسعاد الآباء والمتفرجين.

وأشار رئيس اتحاد أساكوسا للسياحة الذي يتولّى تنظيم الحدث شيغمي فوجي إلى أنّ «بعض الأشخاص قد يعتبرون أنّ المسابقة مروعة لأنها تجعل الأطفال يبكون» مضيفاً «لكن في اليابان، نعتقد أن الأطفال الذين يبكون بشدّة يكبرون بصحة جيدة».

وتابع أنّ «هذا النوع من المسابقات يُنظم في مناطق يابانية كثيرة».

وشارك في مهرجان «سومو بكاء الأطفال» 64 طفلاً، على ما ذكرت الجهة المنظمة.

إلا أنّ قواعد المهرجان تختلف بين المناطق، ففي حين يُعلَن أول طفل يبكي فائزاً في بعض الأماكن، يُعتبر من يصرخ أولاً هو الخاسر في مناطق أخرى.

(أ ف ب)